الشرح الموجز الممهد

لتوحيد الخالق الممجد

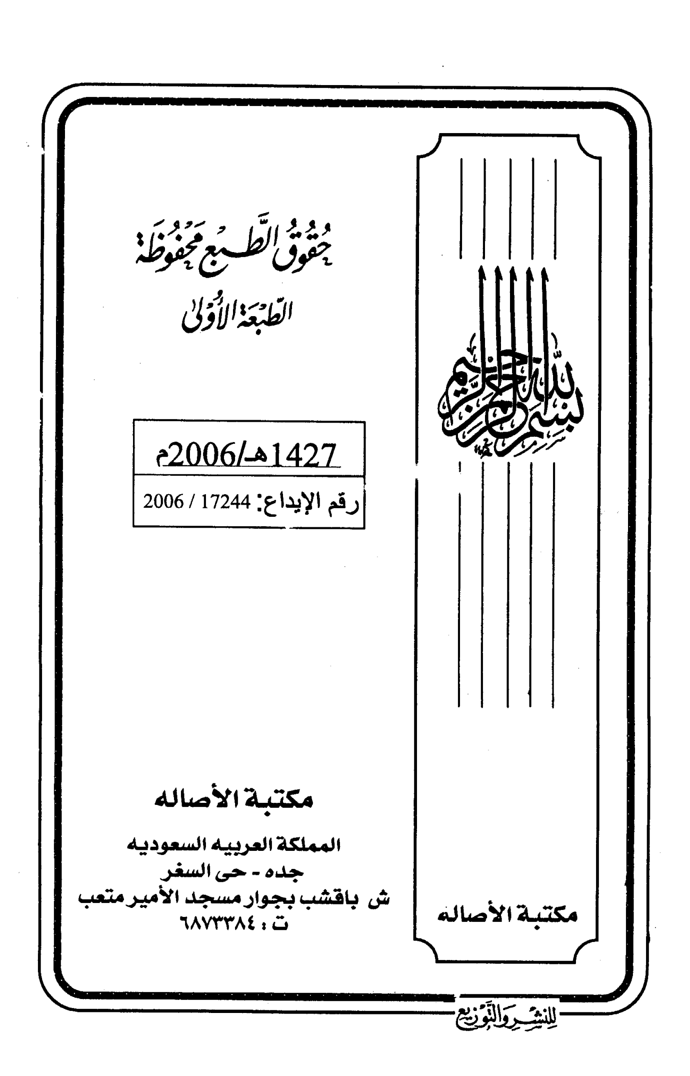
الذي ألفه شيخ الإسلام

محمد ﷺ

تأليف
الشيخ العلامة
أحمد بن يحيى النجمي

اعتنى به
حسن بن منصور الدغريري

مكتبة الأصالة



حُقوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَة

الطَّبعَة الأُولى

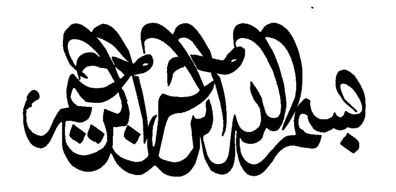
1427هـ/2006م

رقم الإيداع: 17244 / 2006

مكتبة الأصاله

المملكة العربيه السعوديه
جده - حى السغر
ش باقشب بجوار مسجد الأمير متعب
ت : ٦٨٧٣٣٨٤

مكتبة الأصاله
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن التوحيد هو قاعدة الإسلام التي عليها يُبنى، وشرطه الذي به يُقبل، وبه تُقبل الحسنات، وبه تُغفر السيئات، وبه يدخل العبد الجنة، وبه ينجو من النار، ومن أجله وقعت الخصومة بين الرسل ومشركي العباد، ومن أجله جردت سيوف الجهاد، ومن أجله خُلقت الجنة والنار.

وبنقيضه وهو الشرك تُحبط الأعمال؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ۝٦٦﴾ [الزمر: ٦٥- ٦٦].

وكل ذنب من الذنوب مغفور إلا (الشرك؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝١١٦﴾ [النساء: ١١٦]. وبالشرك يُحرم العبد من الجنة، ويتحتم عليه الخلود في النار.

لذلك فإن العناية بالتوحيد أهم المهمات، وأوجب الواجبات، وتركه والإعراض عنه، وعن تعلُّمه أعظم البليات، ومن أجل ذلك؛ فإن الواجب على كل عبد أن يتعلمه، ويتعلم ما يناقضه وينافيه أو ينقصه، ويقدح فيه.

ولما كان من أحسن ما ألف فيه كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن

عبد الوهاب رحمه الله، الذي جدد الله به عقيدة التوحيد في نجد في القرن الثاني عشر الهجري، وهو يحتو على ستة وستين بابًا، وقد شرح من قبل بعض أبنائه، وأحفاده، وتلامذته، وغيرهم.

وقد طلب مني بعض طلاب العلم الحريصين أن أشرحه لهم، ولم يقنعوا بقراءة الشروح القديمة، بل أصرَّوا عليَّ أن أملي عليهم شرحًا من عندي، فاستعنت بالله تعالى، وأمليت عليهم ما حضرني، فكتبوا، وكانوا يعطون بعض المشايخ الراغبين في الخير، والحريصين على نشر العلم؛ ليكتبه لهم على الحاسب الآلي (الكمبيوتر)، وحين انقطع الأول لغيبةٍ طويلةٍ، واصل معي الثاني على الطريقة الأولى، والحمد لله على التمام.

والمهم أنه قد جاء شرحًا مفيدًا مختصرًا في بابه، وافيًا بالمقصود إن شاء الله.

وسميته: «الشرح الموجز الممهد لتوحيد الخالق الممجد الذي ألَّفه شيخ الإسلام محمد».

والحمد لله على ذلك، ونسأل الله أن يرزقنا الإخلاص فيما نأتي ونذر.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبها
أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النَّجمي
في ٢١/ ٧/ ١٤٢٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم

كتابُ التوحيد

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ الآية [النحل: ٣٦].

وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ الآية [الإسراء: ٢٣].

وقوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ الآية [النساء: ٣٦].

وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ الآيات [الأنعام: ١٥١ ـ ١٥٣].

قال ابنُ مسعود: من أراد أنْ ينظر إلى وصيّة محمّد ﷺ التي عليها خاتمهُ، فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾[1] الآية.

وعن مُعاذ بن جبل قال: كنتُ رديفَ النبيِّ ﷺ على حمارٍ، فقال لي:

---

(١) حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه الإمام الترمذي رحمه الله في «سننه» في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأنعام بلفظ: «**من سره أن ينظر إلى الصحيفة التي عليها خاتم محمد...**» الحديث، وقال عنه الترمذي: حديثٌ حسنٌ غريب، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع»، وقال عنه: ضعيف الإسناد.

«يا معاذ! أتدري ما حقُّ الله على العباد؟ وما حقُّ العباد على الله؟». قلتُ: الله ورسوله أعلم.

قال: **«حقُّ الله على العباد: أنْ يعبدوه ولا يُشركوا به شيئًا، وحقُّ العباد على الله: أنْ لا يُعذِّبَ من لا يشركُ به شيئًا»**.

قلتُ: يا رسول الله! أفلا أُبشِّر الناسَ؟ قال: **«لا تُبشِّرْهم فيتَّكلوا»**[(٢)]. أخرجاه في «الصحيحين».

فيه مسائل:

الأولى: الحكمةُ في خلق الجنِّ والإنس.

الثانية: أن العبادة هي التوحيدُ، لأن الخصومة فيه.

الثالثة: أن من لم يأتِ به لم يعبدِ الله. ففيه معنى قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾ [الكافرون: ٣].

الرابعة: الحكمةُ في إرسال الرسل.

الخامسة: أن الرسالة عمَّت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألةُ الكبيرةُ: أن عبادة الله لا تحصلُ إلا بالكفر بالطاغوت. ففيه معنى قوله: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٦].

الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عُبدَ من دون الله.

(٢) وأمَّا حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه فقد أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في كتاب: الجهاد، باب: اسم الفرس والحمار، وأخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا.

التاسعة: عظمُ شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف، وفيها عشر مسائل؛ أولها: النهيُ عن الشرك.

العاشرة: الآياتُ المحكماتُ في سورة الإسراء؛ وفيها ثماني عشرة مسألة؛ بدأها الله بقوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء: ٢٢]، وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩]، ونبهنا الله سبحانه على عِظَم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩].

الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تُسمَّى: آية الحقوق العشرة، بدأها الله تعالى بقوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

الثانية عشرة: التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته.

الثالثة عشرة: معرفة حقّ الله علينا.

الرابعة عشرة: معرفة حقّ العباد عليه إذا أدّوا حقّه.

الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

السادسة عشرة: جوازُ كتمان العلم للمصلحة.

السابعة عشرة: استحبابُ بشارة المسلم بما يسرُّه.

الثامنة عشرة: الخوفُ من الاتكال على سعة رحمة الله.

التاسعة عشرة: قول المسئول عما لا يعلم: «الله ورسوله أعلم».

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعضٍ.

الحادية والعشرون: تواضعه ﷺ؛ لركوب الحمار، مع الإرداف عليه.

الثانية والعشرون: جواز الإرداف على الدابة.

الثالثة والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل.

الرابعة والعشرون: عِظَمُ شأن هذه المسألة.

الشرح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد:

اللهم يا مُعلم إبراهيم علمني، ويا مُفهم سليمان فهمني، اللهم علمنا ما ينفعنا، وارزقنا العمل بما علمتنا.

(كتاب التوحيد):

التوحيد: مصدر وحَّد يوحد توحيدًا، والمقصود به توحيد الله ﷻ أي تخصيصه بالعبادة وحده دون سواه، وذلك يكون نتيجة اعتقاد العبد بوحدانية الله ﷻ في ذاته، وصفاته، وأسمائه، ونعوت جلاله؛ المتضمن لاتصافه بالألوهية المطلقة لهذا الكون، والتصرف المطلق فيه، وأنه هو المستحق لأن يوحده العباد بأفعالهم.

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، علمًا بأن العبادة هي الحكمة التي خلق الله الجن والإنس من أجلها، فقال - جلَّ من قائل -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾، فالعوالم العاقلة ثلاثة:

١- عالمٌ كله خيرٌ لا شرَّ فيه؛ وهم الملائكة.

٢- وعالمٌ كله شرٌّ لا خير فيه؛ وهم الشياطين.

٣- وعالمٌ جبله الله على الخير والشر، والخير فيه أغلب، وعالمٌ آخر جبله الله على الخير والشر، والشر فيه أغلب.

فعالم الجن والإنس هم الذين جبلهم الله على الخير والشر، خلقهم لعبادته، والشياطين نوع من الجن، ولكنهم تمردوا، وصاروا كلهم شرًّا، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾، فالشياطين هم من جنس الجن، فالله خلق عالمي الإنس والجن، للعبادة كما أخبر في هذه الآية، فمنهم من تحققت فيه العبادة وهم المؤمنون، ومنهم من لم تتحقق فيه، بل كانوا معاندين ومكابرين وهم الكفار بجميع أنواعهم، وحسبنا أن نعلم أن الله خلقنا للعبادة، وأن الواجب علينا أن نحقق ما خلقنا الله من أجله، والعبادة هي طاعة مع خضوع وذلة لله الواحد القهار، يشعر العابد بأنه مُحتاج إلى الإله الذي عبده، فيعبده مستشعرًا حاجته إليه، ولما كانت الأمم يغلب عليها الجهل، والخمول، والنسيان، والاشتغال بالدنيا الحاضرة، والغفلة عن الدار الآخرة، بعث الله الرسل في كل أمة ليبينوا لهم ما خُلقوا له، وما أُوجدوا من أجله.

قال - جلَّ من قائل -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

فأخبر ﷻ أنه بعث الرسل إلى العباد يأمرونهم بعبادة الله وحده، واجتناب الطاغوت.

والطاغوت: مشتقٌّ من الطغيان، وقد قال ابن القيم رحمه الله: «الطاغوت: هو كل ما تجاوز به العبد حدَّه من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاعٍ»، فمن عُبِد مع الله؛ فقد عبد بغير حق، ومن اتبع بأن قَدَّم الناسُ متابعته على متابعة أوامر الله، فقد اتبع بغير حق، ومن أُطيع بأن تركت طاعة الله لطاعته، فقد أُطيع بغير حق، وهذا هو المقصود من قول ابن القيم: «الطاغوت هو ما تجاوز به العبد حدَّهُ من معبودٍ أو متبوعٍ أو مُطاعٍ».

وقوله جل وعلا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ المراد بقضى: حكم

أي حكم حكمًا شرعيًّا بألا يعبد الناس إلا إياه.

أما القضاء الكوني: فتقع فيه المخالفة لهذا القضاء أي للقضاء الشرعي، فالله ﷻ قضى وجود الكفر والشرك كونًا ومنعه شرعًا، فهذا القضاء الذي أخبر الله عنه في هذه الآية المراد به الأمر، وهو يوافق قوله ﷻ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ﴾ [يوسف: ٤٠] أي بأنه أمر أمرًا شرعيًّا بعبادته وحده دون سواه، وهو التوحيد الذي بعثت به الرسل.

ثم قال: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ أي: إحسانًا إليهما؛ لأنهما أحسنا إليك أيها العبد، والكلام على بر الوالدين وطاعتهما يأتي بعد الأمر بتوحيد الله سبحانه وتعالى؛ لأنه هو المُنعم المتفضل وأعظم الناس عليك نعمةً بعد الله هما والداك اللذان ربياك، وأنعما عليك بالراحة، والسكن في حضنهما، وتعبا من أجلك، وسهرا لراحتك.

وفي الآية الأخرى وهي آية النساء: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾، فهنا اقترن الأمر بالعبادة بالنهي عن الشرك حتى ولو شيئًا يسيرًا، فقوله: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ﴾ نهي عن الشرك كله قليله وكثيره، صغيره وكبيره؛ لأنه نكره في سياق النهي، فهي تعُم.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ﴾... إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾، فهذه الآيات وغيرها قد تواردت على الأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك، وهذا هو ما بُعثت به جميع الرسل من أولهم نوح إلى آخرهم محمد ﷺ.

فالمناهي العشر التي وردت في آخر سورة الأنعام أولها الشرك بالله، والشرك عظيم؛ لأنه مُحرم على صاحبه دخول الجنة، ومحتَّمٌ عليه دخول النار والخلود فيها.

أما قول ابن مسعود رضي الله عنه: «من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي

عليها خاتمه؛ فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾. . . إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

فأخبر أن تلك الوصية التي أمره الله ﷻ بأن يتلوها على أمته المبتدأة بالنهي عن الشرك، والمنتهية بالاستقامة على الصراط المستقيم يجب أن نعيرها اهتمامًا عظيمًا، ونعرفها حقَّ المعرفة؛ لأن الله ﷻ صدَّرها بقوله: قل يا محمد: ﴿تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، فذكر المناهي العشر، وأولها، وأعظمها: (الشرك بالله).

أما حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟**» فقلت: الله ورسوله أعلم!! قال: «**حق الله على العباد: أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله: ألا يُعذب من لا يشرك به شيئًا**»، فقلت: يا رسول الله، أفلا أُبشر الناس؟ قال: «**لا تُبشرهم فيتكلوا**». [أخرجاه في «الصحيحين»].

الخلاصة:

أن حقَّ الله على العباد أن يعبدوه لا يشركوا به شيئًا، يفردوه بالعبادة، ويبتعدوا عن الشرك به، ثم إذا هم حققوا هذا الأمر، وتركوا الشرك صغيره وكبيره، فإن حقهم عليه سبحانه ألا يعذبهم، فمن مات وهو لا يشرك بالله شيئًا، فقد وعده الله بأنه لا يُعذبه، أي لا يُعذبه بنار الكافرين والمشركين التي يُخلد أصحابها فيها.

أما إن مات على التوحيد، ولكن عنده كبائر اقتضت حكمة الله أن يُعذب بها، فإنه يُعذب بنار غير نار المشركين، بل يُعذب بنار الموحدين، ثم يخرج منها، ويدخل الجنة، والأمر في ذلك إلى الله ﷻ، فهو المالك

للعباد، والمتصرف فيهم، علمًا بأن هذا الحق الذي وعد الله به عباده إن هم عبدوه هو حقٌّ التزمه على نفسه، ووعد به عباده، ولم يُلزمه به أحدٌ سواه.

ولذلك نقول: إن هذا الحق حق أوجبه الله على نفسه هو؛ ولم يوجبه عليه غيره، ووعد به عباده إن هم عبدوه ووحدوه دون سواه. - وبالله التوفيق-.



(١) بابُ
فضلِ التوحيد وما يكفِّر من الذنوب

وقولِ الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ الآية [الأنعام: ٨٢].

وعن عُبادةَ بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من شهد أنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، وأنَّ عيسى عبد الله ورسوله، وكلِمَتُه ألقاها إلى مريمَ، وروحٌ منه، والجنَّةَ حقٌّ، والنارَ حق؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»**[٣]. أخرجاه.

ولهما في حديث عِتْبان: **«فإنَّ الله حرّم على النار من قال: لا إله إلَّا الله؛ يبتغي بذلك وجهَ الله»**[٤].

وعن أبي سعيد الخُدريِّ رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: **«قال موسى: يا ربِّ! علِّمني شيئًا أذكُرك وأدعوك به. قال: قُل يا موسى: لا إله إلَّا الله. قال: يا ربِّ! كلُّ عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى! لو أنَّ السمواتِ السبعَ**

---

(٣) متفق عليه: فالحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ ولفظ الحديث للبخاري، وأخرجه الإمام مسلم رحمهما الله في كتاب، الإيمان، باب: الدليل على أنَّ من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا.

(٤) الحديث أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب: الصلاة، باب: المساجد في البيوت، وفي كتاب: الجمعة، باب: صلاة النوافل جماعة وفي كتاب: الأطعمة، باب: الخزيرة، وفي كتاب: الرقاق، باب: العمل الذي يبتغى به وجه الله، فيه سعدٌ، وفي كتاب: استتابة المرتدين، باب: ما جاء في المتأولين، وأخرجه الإمام مسلم في«صحيحه» في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أنَّ من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، وفي كتاب: المساجد، باب: الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر.

وعامِرَهُنَّ غيري، والأرضينَ السبعَ في كِفَّةٍ، ولا إله إلَّا الله في كِفَّةٍ؛ مالت بهِنَّ لا إله إلَّا الله»[٥]. رواه ابنُ حبان، والحاكم وصححه.

وللترمذي ـ وحسَّنه ـ عن أنس: سمعتُ رسولَ ﷺ يقول: **«قال الله تعالى: يا ابن آدم! إنَّك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لَقيتني لا تُشرك بي شيئًا، لأتيتك بقُرابها مغفرة»**[٦].

فيه مسائل:

الأولى: سعة فضل الله.

الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله.

الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب.

الرابعة: تفسيره الآية التي في سورة الأنعام.

---

(٥) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في «صحيحه» في (ج١٤/ ١٠٢) برقم الحديث (٦٢١٨)، وأخرجه الإمام الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» في (ج١/ ٧١٠) برقم الحديث (١٩٣٦) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرجه الإمام أبو يعلى في «مسنده» في (ج٢/ ٥٢٨) برقم الحديث (١٣٩٣) وصححه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» في (ج١١/ ٢٠٨).

(٦) الحديث أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» في كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وأخرجه الإمام الترمذي في كتاب: الدعوات، باب: فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرج الحديث ابن ماجه في كتاب: الأدب، باب: فضل العمل، وأخرجه الإمام الدارمي في كتاب: الرقاق، باب: إذا تقرب العبد إلى الله وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» في كتاب: «الأنصار» بترقيم إحياء التراث رقم (٢٠٨٠٨) و(٢٠٨١٤) و(٢٠٨٦٠) و(٢٠٨٦٩) و(٢٠٩٦١) و(٢٠٩٩٤) و(٢١٠٥٥) كلها من طريق أبي ذر رضي الله عنه.

الخامسة: تأمل الخمس اللواتي في حديث عُبادة.

السادسة: أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده، تبين لك معنى قول: «لا إله إلَّا الله»، وتبين لك خطأ المغرورين.

السابعة: التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان.

الثامنة: كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل «لا إله إلا الله».

التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيرًا ممّن يقولها يخفّ ميزانه.

العاشرة: النص على أن الأرضين سبع كالسملوات.

الحادية عشرة: أن لهنّ عُمَّارًا.

الثانية عشرة: إثبات الصفات، خلافًا للأشعرية.

الثالثة عشرة: أنك إذا عرفت حديث أنس، عرفت أن قوله في حديث عتبان: «**فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلَّا الله، يبتغي بذلك وجه الله**» أنَّ ترك الشرك، ليس قولها باللسان.

الرابعة عشرة: تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدَي الله ورسوليه.

الخامسة عشرة: معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله.

السادسة عشرة: معرفة كونه روحًا منه.

السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.

الثامنة عشرة: معرفة قوله: «**على ما كان من العمل**».

التاسعة عشرة: معرفة أن الميزان له كفتان.

العشرون: معرفة ذِكر الوجه.

الشرح

للتوحيد فضلٌ عظيمٌ، من فضله أنه لا يُقبل عملٌ واحدٌ إلا به، ولا يكون العبد مؤمنًا إلا به.

ومن فضله أن الله ﷻ يُكفر الذنوب لمن تجنَّب الشرك بالله؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ومن فضائله أنه هو الذي يحصل به الأمن للعبد يوم القيامة، ومن فضائله أن الله يهدي أصحابه إلى الحق، ومعرفة طريق الهدى؛ لقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

ثم أورد الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

هذه الآية فيها الإخبار بأن أهل التوحيد الذين حققوه، ولم يخلطوه بشركٍ هم الذين يجمع الله لهم بين الأمن من مخاوف الدنيا والآخرة، والاهتداء للحق، وكلما كان العبد محققًا لذلك كلما كان أوفر للأمن والاهتداء بسبب تحقيقه للتوحيد، وتجنبه للشرك كله كبيره وصغيره، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه فسَّر الظلم هنا بما جاء في آية لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

إذًا فالظلم المقصود به هنا هو الشرك، وليس المعاصي، فالكل للكل، والحصة للحصة، فإذا نقص توحيد العبد بتعاطيه شيئًا من الشرك فإنه ينقص

أمنه واهتداؤه.

وعن عبادة بن الصامت ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**». [أخرجاه].

(عبادة بن الصامت الأنصاري ﵁) هو أحد النقباء ليلة العقبة، وأحد أصحاب رسول الله ﷺ المشهورين، وأحد أصحاب بدرٍ، مات بالرملة سنة ٣٤هـ، وله ٧٢ سنة.

قال: قال رسول الله ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله**».

يشترط في شهادة أن لا إله إلا الله شروطٌ لا بد من توفرها فيمن ينطق بها:

١- بأن يكون عارفًا بمعناها، وهو النفي والإثبات.

٢- ومن شروطها العلم المنافي للجهل، وهو مقتضى ما ذكرته من العلم بها؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

٣- ومن شروطها اليقين المنافي للشك بألا يشك في ذلك أي في وحدانية الله بالألوهية.

٤- ومن شروطها القبول المنافي للرد بأن يكون قابلًا لمعناها، وما تقتضيه.

٥- ومن شروطها الانقياد المنافي للترك بأن يكون منقادًا لما تقتضيه.

٦- ومن شروطها الإخلاص المنافي للشرك.

٧- ومن شروطها الحب المنافي للبُغض.

٨- والصدق المنافي للكذب.

إذًا يشترط في قائلها أن تتوفر فيه هذه الشروط، بأن يكون على علم بما تقتضيه، وهي تقتضي وحدانية الله بالألوهية، وأنه لا يشاركه فيها أحد.

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسراء: ٤٢]، فمن نطق بهذه الشهادة عارفًا بمعناها، عاملًا بمقتضاها، نافيًا لما نفت، مُثبتًا لما أثبتت، مؤكدًا وحدانية الله، وعدم الشريك له بقوله: **«وحده لا شريك له»**.

ونطق بشهادة أن محمدًا رسول الله موقنًا بأن محمدًا عبد الله ورسوله، لا يقبل الله من أحد دينًا ولا عبادة لم تكن من طريقه - صلوات الله وسلامه عليه -، فمن نطق بهاتين الشهادتين على نحو ما ذُكر؛ فذلك هو الناجي من عذاب الله الحاصل على ثوابه وجنته.

ومن مكملات هذا الاعتقاد:

«وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه»، وتلك الكلمة هي قوله تعالى لعيسى: ﴿كُن﴾، كما يقول ﷻ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩]، وبهذه الشهادة تنفى عقيدة النصارى فيه التي هي عقيدة البنوة، والتثليث؛ حيث اعتقدوا في عيسى أنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، فغالوا فيه، ووضعوه في غير موضعه، وتنفى بذلك أيضًا عقيدة اليهود الذين زعموا أنه ولد زنا، وعلى الجميع من اليهود والنصارى من الله ما يستحقون من الغضب والمقت، والمسلم يبرأ إلى الله من هذه العقائد، ويعترف بعقيدة التوحيد لله، وبأنه ليس له ولدٌ ولا صاحبة، وأن الجنة حق؛ وهي جزاء الموحدين المتقين، والنار حق؛ وهي جزاء المشركين الكافرين؛ من اعتقد هذه العقيدة عاش بخير، ومات بخير، وأدخله الله الجنة على ما كان منه من

العمل، علمًا بأن شهادة أن لا إله إلا الله لا تُقبل إلا بالكفر بالطاغوت، والإيمان بالله.

معنى قوله ﷺ: «**أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**» أي أنه سيكون مآله إلى الجنة سواءٌ كان قبل عذاب أو بعد عذاب، المهم أن نهايته أي نهاية من يموت على التوحيد والإيمان تكون إلى الجنة، وهو تحت المشيئة، فإن مات مُصرًّا على الكبائر، فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه بقدر ما يستحق من العذاب، ثم أخرجه من النار، وأدخله الجنة.

أما إذا مات ولم يكن عنده كبائر مُصرٌّ عليها حتى ولو كان قد تعاطى شيئًا من الكبائر، ثم تاب، ومات على التوبة، فإنه يرجى له أن يدخله الله الجنة بدون عذاب؛ لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١].

قوله: ولهما في حديث عتبان رضي الله عنه: «**فإن الله حرَّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**» على أن المراد بالنار هنا نار الكفار التي يُخلد من دخلها فلا يخرج منها أبدًا، وإما أن يحمل قوله: «**حرَّم على النار**» أي حرَّم على قائل ذلك الخلود في النار، وأن كل موحد نهايته الجنة.

قوله: وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**قال موسى: يا رب، علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به...**» الحديث.

يؤخذ من هذا عظم كلمة التوحيد، وأنها تعدل كل الأجرام العظام، وهي السموات السبع، والأرضين السبع، ومن فيهن، وما بينهما؛ تعدلها في الوزن، بل وتزيد عليها، وما ذلك إلا لعظمة من شهد له بوحدانية الألوهية - جل وعز من إله-.

قوله: وللترمذي وحسنه عن أنس رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا**

تشرك بي شيئًا؛ لأتيتك بقرابها مغفرة».

قراب الأرض: أي ما يقارب ملأها.

وهذا الحديث تضمن أن من لقي الله ﷻ بالتوحيد؛ فإنه يرجو من الله ﷻ المغفرة.



(٢) بابُ من حقَّق التوحيدَ دخل الجنَّةَ بغير حساب

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المؤمنون: ٥٩].

عن حُصين بن عبدالرحمٰن قال: كنتُ عند سَعيد بن جُبير، فقال: أيُّكم رأى الكوكبَ الذي انقضَّ البارحة؟ فقلتُ: أنا. ثم قلتُ: أمَا إني لم أكُن في صلاة، ولكني لُدِغتُ. قال: فما صنعتَ؟ قلتُ: ارتقيتُ. قال: فما حملك على ذلك؟! قلتُ: حديثٌ حدَّثناه الشَّعبي. قال: وما حدثكم؟ قلتُ: حدَّثنا عن بُريدة بن الحصيب، أنه قال: «لا رُقْيَةَ إلا من عين أو حُمَةٍ». قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدَّثنا ابنُ عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: **«عُرِضَت عليَّ الأُمَمُ، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرَّهْطُ، والنبيَّ ومعه الرجلُ والرجلان، والنبي وليس معه أحدٌ، إذ رُفع لي سوادٌ عظيم، فظننت أنهم أُمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه. فنظرتُ، فإذا سوادٌ عظيم، فقيل لي: هذه أُمَّتُك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنَّةَ بغير حسابٍ ولا عذاب»**.

ثم نَهضَ فدخل منزلَه، فخاض الناسُ في أولئك، فقال بعضهُم: فلعلَّهم الذين صحِبُوا رسول الله ﷺ. وقال بعضُهم: فلعلَّهم الذين وُلِدوا في الإسلام، فلم يُشركوا بالله شيئًا. وذكروا أشياءَ، فخرج عليهم رسولُ الله ﷺ فأخبروه، فقال: **«هم الذين لا يسْتَرقُون، ولا يَكْتَوُون، ولا يتطيَّرون، وعلى ربهم يتوكَّلون»**. فقام عُكَّاشة بن مِحْصَن، فقال: يا

رسول الله! ادْعُ الله أنْ يجعلني منهم، قال: «**أنت منهم**». ثم قام رجلٌ آخر، فقال: ادْعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: «**سبقك بها عُكَّاشة**»[٧].

❁ فيه مسائل:

الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد.

الثانية: ما معنى تحقيقه؟

الثالثة: ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين.

الرابعة: ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك.

الخامسة: كون ترك الرُّقية والكيّ من تحقيق التوحيد.

السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل.

السابعة: عمق علم الصحابة؛ لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.

الثامنة: حرصهم على الخير.

التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكمِّية والكيفيّة.

العاشرة: فضيلة أصحاب موسى.

---

(٧) الحديث أخرجه الإمام البخاري مختصرًا في كتاب: الطب، باب: من لم يرق، وفي كتاب: الرقاق، باب: يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب، وكذلك أخرجه الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، وأخرجه الإمام الترمذي في «سننه» رَحِمَهُ اللهُ في كتاب: صفة القيامة، باب: ما جاء في صفة أواني الحوض، وأخرجه الإمام أحمد بهذا اللفظ في «مسند» بني هاشم برقم (٢٤٤٤) بترقيم إحياء التراث، ومختصرًا في «مسند البصريين» برقم (١٩٤١٢) وفي «مسند المكثرين من الصحابة» برقم (٤٣٢٧) وبرقم (٣٨٠٩) وبرقم (٣٧٩٦).

الحادية عشرة: عرض الأمم عليه، عليه الصلاة والسلام.

الثانية عشرة: أن كل أمةٍ تُحشر وحدها مع نبيها.

الثالثة عشرة: قِلّة من استجاب للأنبياء.

الرابعة عشرة: أنَّ من لم يجبْه أحدٌ يأتي وحده.

الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم؛ وهو عدمُ الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة.

السادسة عشرة: الرخصة في الرقية من العين والحُمة.

السابعة عشرة: عمق علم السلف؛ لقوله: «قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن كذا وكذا». فعلم أن الحديث الأول لا يخالفُ الثاني.

الثامنة عشرة: بُعْدُ السلف عن مدحِ الإنسان بما ليس فيه.

التاسعة عشرة: قوله: «**أنت منهم**» عَلَمٌ من أعلام النبوة.

العشرون: فضيلة عُكَّاشة.

الحادية والعشرون: استعمال المعاريض.

الثانية والعشرون: حسن خُلُقِه ﷺ.

الشرح

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾.

أقول: تحقيق التوحيد قد يستدل له من قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ يعني لم يخلطوه بشرك، والذي لم يخلط إيمانه بشرك لا صغير ولا كبير، هذا يُرجى أنه حقق التوحيد، فإذا كان حقق التوحيد؛ فإن له الأمن المطلق، والهداية المطلقة، يعني أن من حقق التوحيد؛ ينال الدرجة العليا في الأمن والاهتداء.

فيؤخذ من تلك الآية التي سبقت في فضل التوحيد دليل في هذا الباب فيقال: أن من حقق التوحيد بحيث إنه لم يخلط إيمانه بشرك، فإنه يدخل الجنة بغير حساب، ومن خلط إيمانه بشرك أصغر أو نوع من المعاصي الكبائر أو من البدع غير المكفرة، فهو تحت المشيئة.

استدلال المؤلف رحمه الله بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ ما معنى: ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾؟ أي خاضعًا لله، ﴿حَنِيفًا﴾ مائلًا عن الشرك إلى التوحيد﴾، ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ باعتبار أن إبراهيم قد مدحه الله بأنه وفَّى ما أمره ربه؛ حيث يقول الله عز وجل: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: ٣٧]، ويقول: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، فأعطاه حقَّ الإمامة، وهذا دليل على إمامة إبراهيم عليه السلام.

ومن هنا يؤخذ أن إبراهيم قد وفَّى ما أمر الله به، وخاف على نفسه، وعلى بنيه من الشرك، فلذلك جعله الله إمامًا في التوحيد، وغيره، ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ [الممتحنة: ٤].

ثم أورد الآية الأخرى: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ هذا وصف للمؤمنين الكُمَّل، القائمين بحق التوحيد خير قيام، فهؤلاء هم النماذج العُليا الذين حققوا التوحيد، فتبوؤا أعلى المقامات عند الله ﷻ.

ثم أورد الحديث: «عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير، فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدغت. . .» الحديث.

قوله: «كنت عند سعيد بن جبير، فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟» انقضاض الكوكب الرمي به وإنارته.

قوله: «فقلت: أنا»، ولكنه خاف على نفسه من الرياء، فقال: «أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدغت»، ولكن الذي أسهرني هو أني لدغت، فأخبر بالواقع دفعًا للرياء.

فقال له سعيد بن جبير: «فما صنعت؟» قال: «ارتقيت» يعني: ماذا فعلت بعد أن لدغت؟ قال: «ارتقيت»، يعني أني رقيت نفسي. قال: «ما حملك على ذلك؟» فيه أن السلف - رحمهم الله تعالى - كانوا إذا فعل واحدٌ منهم شيئًا سأله صاحبه عن الدليل، فقوله: «ما حملك على ذلك؟» يعني ما دليلك؟ ومن أسوتك؟ قلت: «حديث حديثٌ حدثناه الشعبي. قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حُمَة».

(لا رقية) نفي للرقية، إلا أن تكون من عين، والعين هي عين العائن، وقد قال النبي ﷺ: **«العين حق»**(٨).

---

(٨) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ فقد أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» في كتاب: الطب، باب: العين حق، وأخرجه الإمام مسلم رحمهما الله في كتاب: السلام، باب: الطب والمرض والرقى، وزاد مسلم من حديث ابن عباس ﷺ في الباب: السابق: =

(أو حُمة) لدغ ذوات السموم كالحية، والعقرب.

قال: «قد أحسن من انتهى إلى ما سمع» يعني أن من انتهى إلى ما سمع، وعمل به، فهو قد أحسن.

قوله: «ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: **«عُرضت عليَّ الأمم»**... الحديث، وفيه: **«الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»**.

يؤخذ من هذا الحديث أن من تحقيق التوحيد ترك الأسباب المباحة، وهي الكي، والرقية.

وأقول: الرقية قد ورد الأمر بها، وتقريره ﷺ عليها، فهل كل رقية يكون فيها قدحٌ في التوحيد؛ أو أن الذي يقدح في التوحيد هو طلب الرقية من الغير؟!! وهذا يشعر به قوله: **«هم الذين لا يسترقون»** أي لا يطلبون الرقية من غيرهم.

أما رواية: **«لا يرقون»**[٩] فلعلها كانت وهمًا من الراوي، إذ إن من يرقي لغيره لا يكون فعله للرقية لغيره نقصًا في توحيده وتوكله.

أما كونهم يرقون أنفسهم، أو يرقى عليهم بغير طلب، فهذا لا مانع منه، وليس فيه قدحٌ في كمال التوحيد، ولكن يتمحض القدح في كمال التوحيد فيما إذا طلب الرقية من غيره.

قوله: **«ولا يكتوون»** قد ورد فعل الكي من النبي ﷺ، فقد كوى أسعد بن

= **«العين حق، ولو كان شيءٌ سابقَ القدر سبقته العين، وإذا استُغسلتم فاغسلوا»**.

(٩) جاء في فتح الباري (١١/٤٠٨) ما ملخصه: وقع في رواية سعيد بن منصور عن مسلم: **«ولا يرقون»** بدل: **«ولا يكتوون»** وقد أنكر الشيخ ابن تيمية هذه الرواية، وزعم أنَّها غلطٌ من راويها، واعتلَّ بأن الراقي يحسن إلى الذي يرقيه فكيف يكون ذلك مطلوب الترك...» اهـ بتصرف.

زرارة رضي الله عنه[١٠]، وقال: «**إن كان في شيء من أدويتكم أو يكون في شيء من أدويتكم خير، ففي شرطة محجم، أو شربة عسل، أو لذعة بنار توافق الداء، وما أُحب أن أكتوي**»[١١]، إذًا ففعل الكي جائز، وتركه من كمال التوحيد.

قوله: «**ولا يتطيرون**» أي لا يجدون الطيرة في نفوسهم، وذلك من كمال توحيدهم.

قوله: «**وعلى ربهم يتوكلون**» أي أنهم يتركون الأسباب المباحة توكلًا على الله، وهذا من كمال التوحيد.

---

(١٠) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في «سننه» في كتاب: الطب، باب: ما جاء في كراهية التداوي بالكي، ومنه، باب: الرخصة في ذلك من حديث أنس رضي الله عنه، وقد صحح هذا الحديث الإمام محمد بن ناصر الدين الألباني رحمه الله في «صحيح الترمذي» في (ج٢/ ٤٠١) وقال انظر «المشكاة» برقم (٤٥٣٤) (التحقيق الثاني) وأورد نحوه الإمام أحمد في «مسند الشاميين» برقم (١٦٧٨٧) وفيه: (حدثنا روح حدثنا زمعة بن صالح قال سمعت ابن شهاب يحدث أن أبا أمامة بن سهل بن حنيف أخبره عن أبي أمامة أسعد بن زرارة، وكان أحد النقباء يوم العقبة أنه أخذته الشوكة فجاءه رسول الله ﷺ يعوده فقال: «**بئس الميت اليهود مرتين سيقولون لولا دفع عن صاحبه، ولا أملك له ضرًّا ولا نفعًا، ولأتمحلن له، فأمر به وكوي بخطين فوق رأسه فمات**».

(١١) الحديث متفق عليه من حديث جابر رضي الله عنه فقد أورده البخاري في كتاب: الطب، باب: الدواء بالعسل وقول الله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: الآية ٦٩] وفي باب: الحجامة من الشقيقة في الرأس، وفي باب: من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو، وأورده مسلم في كتاب: السلام، باب: لكل داء دواء واستحباب التداوي بلفظ: حدثني نصر بن علي الجهضمي حدثني أبي حدثنا عبد الرحمن بن سليمان عن عاصم بن عمر بن قتادة قال جاءنا جابر بن عبد الله في أهلنا ورجل يشتكي خراجًا به أو جراحًا فقال ما تشتكي؟ قال: خرج بي قد شق علي فقال: يا غلام ائتني بحجام، فقال له ما تصنع بالحجام يا أبا عبد الله؟ قال: أريد أن أعلق فيه محجمًا قال: والله إن الذباب ليصيبني أو يصيبني الثوب فيؤذيني ويشق علي فلما رأى تبرمه من ذلك، قال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة من عسل أو لذعة بنار**» قال رسول الله ﷺ «**وما أحب أن أكتوي**» قال فجاء بحجام فشرطه فذهب عنه ما يجد».

«فقام عكاشة بن محصن، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم!! قال: **«أنت منهم»**، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: **«سبقك بها عكاشة»**.

وقد تبين من هذا الحديث أن السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب إنما نالوا هذه الدرجة بكمال توحيدهم.



(٣) باب الخوف من الشرك

وقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

وقال الخليلُ عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وفي الحديث: «**أخوفُ ما أخافُ عليكم الشركَ الأصغر**». فسئُل عنه، فقال: «**الرياء**»[١٢].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من ماتَ وهو يدعو مِن دون الله نِدًّا دخل النار**»[١٣]. رواه البخاري.

---

(١٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في «مسند باقي الأنصار» برقم الحديث (٢٧٧٤٢) وجاء فيه بلفظ: «قال عبد الله وجدت هذا الحديث في كتاب أبي بخطه حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عمرو بن أبي عمرو عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال قال رسول الله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «**الرياء إن الله تبارك وتعالى يقول يوم تجازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون بأعمالكم في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟!**».

قال الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» في (ج١/ ٣٢٣) برقم الحديث (١٥٥٥) حديث صحيح وأحال إلى «السلسلة الصحيحة» برقم (٩٥١) و«صحيح الترغيب» برقم (٢٩)، وحسَّنه الحافظ ابن حجر في «بلوغ المرام» وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (ج٤/ ٢٥٣) برقم الحديث (٤٣٠١).

(١٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٦٥] وفي كتاب: الأيمان والنذور، باب: إذا قال والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو كبر أو حمد أو هلل فهو على نيته.

ولمسلم عن جابر؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من لقيَ الله لا يُشركُ به شيئًا؛ دخلَ الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار**»(١٤).

❁ فيه مسائل:

الأولى: الخوفُ من الشرك.

الثانية: أن الرياءَ من الشرك.

الثالثة: أنه من الشرك الأصغر.

الرابعة: أنه أخوفُ ما يُخاف منه على الصالحين.

الخامسة: قُرْب الجنة والنار.

السادسة: الجمع بين قربهما في حديثٍ واحدٍ.

السابعة: أنه مَنْ لقيه لا يُشرك به شيئًا؛ دخل الجنة، ومن لقيهُ يُشرك به شيئًا دخل النار، ولو كان من أعبدِ الناس.

الثامنة: المسألة العظيمة: سؤالُ الخليل له ولبنيه وقايةَ عبادَةِ الأصنام.

التاسعة: اعتباره بحال الأكثر، لقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

العاشرة: فيه تفسير «لا إله إلَّا الله»، كما ذكره البخاري.

الحادية عشرة: فضيلة من سَلِمَ من الشرك.

---

(١٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب: الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ومن مات مشركًا دخل النار.

الشرح

مناسبته للترجمة: أن الشرك لا يغفر - نعوذ بالله من الشرك - وحقيقة الشرك: أن تدعو لله ندًّا تعتقد فيه جلب النفع أو دفع الضر، وهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ﷻ، لذلك فإنه يخاف منه، ويحذر لما له من العواقب الوخيمة السيئة.

أما في الشرك الأكبر فليس فيه خلاف أنه لا يُغفر، وأن صاحبه لا يخرج من النار، ولكن الخلاف في الشرك الأصغر، فالحلف بغير الله، والرياء العارض في العمل، هل هو داخل تحت الآية؟!! وإن كان يدخل تحت هذه الآية، فإنه يكون حكمه حكم الكبائر بأن صاحبه يعاقب، ثم يخرج من النار، ويدخل الجنة، ولكنه يخالف الكبائر في أنه لا يُغفر، بل لا بد أن يُعاقب صاحبه في النار، هذا رأي جماعة من أهل العلم.

وقال قوم آخرون: إن الشرك الأصغر حكمه حكم الكبائر مطلقًا، ولعل حديث جابر يرجح الرأي الأول، وهو أن الشرك الأصغر لا يُغفر، بل إن الله يعاقب صاحبه، ثم يخرج من النار، ويدخل الجنة لإطلاق قوله: **«ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار»**.

قوله: وقال الخليل عليه السلام: **﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾** إذا كان إبراهيم الخليل عليه السلام الذي كسَّر الأصنام، ورمي في النار بسبب ذلك، يخاف على نفسه، وعلى أبنائه من عبادة الأصنام، ويدعو الله أن يُجنبه ذلك، فغيره من باب أولى.

وفي الحديث: **«أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»**، فسُئل عنه فقال: **«الرياء»**.

وأقول: إن الرياء خطير، قلَّ أن يسلم منه العبد، وبالأخص العارض في

العمل. علمًا بأن الرياء ينقسم إلى قسمين:

الأول: وهو يعد من الشرك الأكبر، وهو الباعث على العمل، وهو رياء المنافقين؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٤٢]، فإذا كان الرياء هو الباعث على العمل بأن المرائي لا يعمل العمل إلا من أجل الرياء، فهذا من الشرك الأكبر الموجب للخلود في النار؛ كأن يكون شخصٌ يصلي إذا كان مع الناس، ويترك الصلاة إذا خلا، وفي المحل الذي لا يراه فيه أحد، فهذا هو الباعث على العمل، وهذا من الشرك الأكبر كما قلت.

الثاني: لكن إذا كان الباعث على العمل هو الإيمان، وفي أثناء العمل عرض للإنسان حب الذكر أي حب الثناء؛ كأن يقوم يصلي لله، فإذا كان هناك شخص ينظر إليه حسَّن صلاته أكثر، فهذا التحسين في الصلاة يكون من الرياء العارض في العمل، وهذا بحسب الحالات تارة يستمر فيه صاحبه فيحبط العمل، وتارة يستعيذ العبد فيه من الشيطان ويخلص نيته لله، فيكون الخلل في العمل بمقدار ما فيه من قصد الرياء - والعياذ بالله -.

ومن الشرك الأصغر: شرك الإسناد الذي يجري على اللسان من غير اعتقاد، كقولهم: لولا الكلب؛ لأتانا اللصوص، لولا كذا؛ لكان كذا، وقولهم: مطرنا بنوء كذا، وأن هذا النجم جاد من الجود، وهو الكرم؛ لأنه حصل فيه مطر كثير، ونحو ذلك.

فهذا الشرك الأصغر لا يخرج من الإسلام، ولا ينقل صاحبه إلى الكفر، لكن هل هو معرضٌ للغفران أو لا؟ هذا محل نظر كما سبق، ولأهل العلم فيه مذهبان كما سبق أن بينت ذلك.

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار**» أي يدعو مخلوقًا جعله ندًّا لله يغفر الذنوب، ويفرج

الكروب، ويحصِّل المطلوب، فلكونه جعله مساويًا لله، لذلك استحق صاحبه أن يخلد في النار، والمشرك حابط العمل؛ أي أعماله الخيِّرة كلها حابطة، فلا يقبل منه عمل خيري، لا تقبل منه حسنة، ولا تُغفر له سيئة.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال عن الأنبياء الذين ذكرهم في سورة الأنعام: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقد أفاد حديث جابر عند مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**من لقي الله لا يشرك به شيئًا؛ دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا؛ دخل النار**» أن هاتين الخصلتين موجبتان لمن مات لا يشرك بالله شيئًا دخول الجنة سواءٌ كان ذلك بدون سابق عذاب أو مع سابق عذاب، ثم تكون نهايته إلى الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا؛ وجبت له النار، وكتب عليه الخلود فيها، وحُرمت عليه الجنة إذا كان الشرك أكبر.

أما الأصغر فقد سبق الكلام عليه، ودليل الشرك الأكبر: قول الله ﷻ عن عيسى ابن مريم: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].



(٤) بابُ الدُّعاء إلى شهادة أنْ لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ الآية [يوسف: ١٠٨].

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ لما بعث مُعاذًا إلى اليمن قال: **«إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أوَّلَ ما تدعوهم إليه: شهادةُ أنْ لا إله إلَّا الله** ـ وفي رواية: **إلى أن يوحِّدوا الله** ـ، **فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمسَ صلوات في كل يوم وليلة، فإنْ هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقةً تُؤخذُ من أغنيائهم فَتُرَدُّ على فقرائهم، فإنْ هم أطاعوك لذلك، فإيَّاك وكرائم أموالهم، واتقِ دعوةَ المظلوم؛ فإنَّه ليس بينها وبين الله حجاب»**. أخرجاه(١٥).

ولهما عن سَهْل بن سعْد: أنَّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: **«لأُعطينَّ الرايةَ غدًا رجلًا يُحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه، يفتح الله على يديه»**. فباتَ الناسُ يَدوكون ليلتهم: أيُّهم يُعطاها. فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ، كلُّهم يرجو أنْ يُعطاها، فقال: **«أين علي بن أبي طالب؟»**. فقيل: هو يشتكي عينيه. فأرسلوا إليه؛ فأُتي به، فبصق في عينيه ودعا له؛

---

(١٥) أخرج الرواية الأولى الإمام مسلم رحمه الله في كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، والرواية الثانية أخرجها الإمام البخاري في كتاب: التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، وهناك رواية أخرى جاءت بلفظ: **«فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله»** فقد جاءت في صحيح البخاري في كتاب: الزكاة، باب: زكاة البقر.

فبرأ كأن لم يكن به وجَع، فأعطاه الراية، فقال: **«انفُذ على رِسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعُهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه. فوالله! لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا، خيرٌ لك من حُمْر النَّعم»**[١١٦٦].

يدوكون: أي: يخوضون.

فيه مسائل:

الأولى: أن الدعوة إلى الله طريقُ من اتبع رسول الله ﷺ.

الثانية: التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيرًا لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه.

الثالثة: أن البصيرة من الفرائض.

الرابعة: من دلائل حُسن التوحيد: كونه تنزيهًا لله تعالى عن المسبَّة.

الخامسة: أن من قُبح الشرك كونه مسبَّةً لله.

السادسة -وهي من أهمها-: إبعادُ المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم، ولو لم يشرك.

السابعة: كون التوحيد أول واجب.

(١١٦٦) الحديث أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» في كتاب: الجهاد والسير، باب: ما قيل في لواء النبي ﷺ، وفي باب: فضل من أسلم على يديه رجل، وفي كتاب: المناقب، باب: مناقب علي رضي الله عنه وهو لفظ حديث الباب:، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة ذي قَرَد وغيرها، وفي كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفيه أيضًا لفظ حديث الباب.

الثامنة: أنه يبدأ به قبل كل شيء، حتى الصلاة.

التاسعة: أن معنى «**أن يوحدوا الله**» معنى: شهادة أن «لا إله إلَّا الله».

العاشرة: أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها.

الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدريج.

الثانية عشرة: البُداءة بالأهم فالأهم.

الثالثة عشرة: مصرف الزكاة.

الرابعة عشرة: كشفُ العالم الشبهة عن المتعلم.

الخامسة عشرة: النهي عن كرائم الأموال.

السادسة عشرة: اتقاء دعوة المظلوم.

السابعة عشرة: الإخبار بأنها لا تُحجب.

الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين، وسادات الأولياء من المشقة، والجوعِ، والوباء.

التاسعة عشرة: قوله: «**لأعطين الراية...**» إلخ علَم من أعلام النبوة.

العشرون: تفْله في عينيه عَلَمٌ من أعلامها أيضًا.

الحادية والعشرون: فضيلة علي رضي الله عنه.

الثانية والعشرون: فضل الصحابة في دَوْكهم تلك الليلة، وشُغلهم عن بشارة الفتح.

الثالثة والعشرون: الإيمان بالقدر؛ لحصولها لمن لم يسع لها، ومنعها عمن سعى.

الرابعة والعشرون: الأدب في قوله: «**على رِسْلك**».

الخامسة والعشرون: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال.

السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دُعوا قبل ذلك وقوتلوا.

السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة، لقوله: «**أخبرهم بما يجب عليهم**».

الثامنة والعشرون: المعرفة بحق الله تعالى في الإسلام.

التاسعة والعشرون: ثوابُ من اهتدى على يديه رجلٌ واحد..

الثلاثون: الحَلِفُ على الفُتْيا.

الشرح

يقول الله ﷻ لنبيه ﷺ: قل لهم يا محمد: ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ أي هذه طريقتي، وهذا دأبي ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي إلى توحيده جل وعلا بالعبادة، ونبذ كل ما يدعى من دونه، سواء كانوا أنبياء أو صالحين، أو أحجارًا، أو أصنامًا، أو غير ذلك؛ لأن الله ﷻ هو الذي خلقنا وهو الذي يرزقنا، ويدبر أمورنا، وهو الذي نفوسنا بيده، وقلوبنا بين أصابعه، فلا يجوز أن تصرف العبادة لأحد سواه، ولا يجوز أن يدعى أحدٌ غيره، أو يدعى إلى عبادة غيره؛ كل ذلك مُحرَّم لا يجوز فعله.

إذن فاعلموا أيها الناس أن هذا دأبي، وهذه طريقتي، أدعو إلى الله ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ من كتاب ربي أو ما أوحاه إليَّ من السنة ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ أي اقتدى بي في هذا الطريق.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: **«إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»**، وفي رواية: **«إلى أن يوحدوا الله»**، وهذه الشهادة هي مقتضى التوحيد، إذ إنها تحتوي على نفيٍ وإثبات، فلا إله إلا الله لا معبود بحق غير الله ﷻ. «إلا الله» تُثبت العبادة لله، وأنه المنفرد بالإلوهية دون سواه.

وفي رواية: **«إلى أن يوحدوا الله»** أي يفردوه بالعبادة، **«فإن هم أطاعوك لذلك»**، وفي رواية: **«فإن هم أطاعوا لك بذلك»**[١٧] أي: وافقوك عليه، وقبلوه منك، وعملوا به، **«فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة»**.

وأقول: إن شهادة: «أن لا إله إلا الله» لا تُقبل إلا مع قرينتها شهادة أن محمدًا رسول الله، فمن لم يأت بهما فإنه لا يُعدُّ مسلمًا إلا إذا جمع إلى وحدانية الله وتفرده بها شهادة أن محمدًا رسول الله، فإن هو فعل الشهادتين بأن اعتقدهما في قلبه ونطقهما بلسانه، فهو الموحد المنقاد، ويتبع ذلك العمل بالجوارح للأعمال المقتضية لهاتين الشهادتين، والتي لا تتم الشهادتان إلا بهما، ومن ذلك أداء الصلاة، لهذا قال: **«فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة»**.

وأقول: الخمس الصلوات هي: الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والفجر، وقد أمر الله بالمحافظة عليها، فقال: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة: ٢٣٨]، والإشارة بالوسطى إلى أنها خمس، والوسطى هي العصر؛ لأنها توسطت بين صلاتي الفجر

---

(١٧) أخرجها الإمام النسائي في «سننه» في كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة، وهي رواية صحيحة صححها الألباني في «صحيح سنن النسائي» (ج٢/ ١٧٣)، وفي «صحيح سنن ابن ماجه» برقم (١٧٨٣) وقال: انظر «إرواء الغليل» برقم (٧٨٢).

والظهر في النهار، والمغرب والعشاء في الليل، والأمر بهذه الخمس الصلوات أمرٌ بكل ما يلزم لها من شرائط وفرائض وواجبات.

ثم قال: «فإن هم أطاعوك لذلك» أو «**أطاعوك بذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم**» هذه حقُّ الله في المال، كما أن الصلاة حقُّ الله في البدن، وقد أخبرهم أن هذه تؤخذ من أغنيائهم، وترد على فقرائهم، فنفعها يعود إليهم أي إخوانهم الذين يعايشونهم، وذلك حق جعله الله في أموال الأغنياء، ليواسى به الفقراء، وفي ذلك من النفع ما فيه؛ لأنه سبب في رضى الله ﷻ، وثانيًا دفع لشر هؤلاء الفقراء حتى لا يتهموا الأغنياء بالاستئثار وسبب في بركة الله ﷻ لهم في تلك الأموال التي أبقوها كما قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

ثم قال: «**فإن هم أطاعوك لذلك، فإياكم وكرائم أموالهم**» أي لا تأخذها في الزكاة؛ فتظلمهم بأخذ الكرائم التي هي أعلى من الواجب عليهم، فلا يجوز للمُصدِّق أي الذي يأخذ الزكاة أن يأخذ الكريمة، ولا يجوز للمعطي أن يبذل اللئيمة، بل يجب عليهما أن يكون الأخذ من الوسط ما بين الكريمة واللئيمة إلا في حالة أن يبذل المعطي الكريمة طوعًا من نفسه، ومن هنا يؤخذ أنه لما أمرهم بالزكاة أوضح لهم ما يجب أخذه حتى لا يتعرضوا لدعوة المظلوم؛ لقوله ﷺ: «**واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**».

- ويؤخذ من هذا الحديث البدء بالعقيدة في الدعوة.
- ويؤخذ منه أيضًا التدرج في الدعوة بحيث يبدأ الداعي بالأهم، ثم ينتقل إلى المهم
- ويؤخذ منه أن الدين شامل للحقوق البدنية والمالية.

- ❑ ويؤخذ منه نهي المصدِّق عن أخذ الكرائم.
- ❑ ويؤخذ منه أن زكاة كل قوم توزع على فقرائهم.
- ❑ ويؤخذ منه أن أموال الناس محترمة لا يجوز أخذها بغير حق.
- ❑ ويؤخذ منه أن أخذ الكرائم ظلم.
- ❑ ويؤخذ منه أن دعوة المظلوم مستجابة.
- ❑ ويؤخذ منه دليلٌ على تحريم الاشتراكية؛ نظرًا لأن أموال الناس حرام على بعضهم بعض؛ لقوله ﷺ في خطبة حجة الوداع: «**أتدرون أي يوم هذا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «**أليس بيوم النحر؟**» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «**أي بلد هذا؟ أليست بالبلدة الحرام**» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «**فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، وأبشاركم عليكم حرام، كحُرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟**» قلنا: نعم. قال: «**اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فإنه رب مُبلِّغ يبلغه لمن هو أوعى منه**»(١٨).

[رواه البخاري ومسلم].

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

«ولهما عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه...**» الحديث.

---

(١٨) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام البخاري في كتاب: الحج، باب: الخطبة أيام منى، وفي كتاب: الفتن، باب: قول النبي ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»، وأخرجه الإمام مسلمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أولًا: ترجمة الراوي: سهل بن سعد بن مالك الخزرجي الأنصاري صحابي شهير، وأبوه صحابي أيضًا، ذكر سهل أنه مات النبي ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة مات سنة ٨٨هـ، وقيل: ٩١هـ، وقد جاوز المائة.

ثانيًا: يؤخذ من قوله: **«لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»** ما كان من الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - من المبادرة إلى محبة الله ورسوله، والأخذ بالأسباب التي توجب حب الله ورسوله ﷺ للعبد.

ثالثًا: أنَّ الحرص على ما يوجب حب الله ورسوله للعبد دليل على قوة الإيمان وزيادته عند من حرص على ذلك.

رابعًا: في هذا منقبة للصحابة؛ بحرصهم على محبة الله ورسوله، ومنقبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لأنه كان هو المقصود.

خامسًا: يؤخذ من قوله ﷺ: **«يفتح الله على يديه»** منقبة أيضًا لعلي بن أبي طالب، وفضيلة له؛ حيث فتح الله خيبر على يديه، وكان قبل ذلك قد حصل في فتحها شيءٌ من الصعوبة.

سادسًا: يؤخذ من قوله: «فبات الناس يدوكون ليلتهم» معنى يدوكون: يخوضون ويتكلمون فيمن يتوقع أنه سيعطاها.

سابعًا: يؤخذ منه تسابق الصحابة على الخير، وحبهم له، وحرصهم عليه في قوله: «كلهم يرجو أن يعطاها» حتى أثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «ما أحببت الإمارة إلا يومئذ»[١٩].

---

(١٩) الأثر أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل علي ابن أبي طالب رضي الله عنه.

ثامنًا: يؤخذ من قوله: «فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه» فأُتي به» فبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع» معجزة للنبي ﷺ حيث برأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الرمد في الحال رغم ما يكون في الرمد من الصديد، والرطوبة، وكل شيء في قدرة الله سهل.

تاسعًا: في قوله: «فأعطاه الراية» يؤخذ من هذه منقبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

عاشرًا: يؤخذ من قوله: «**انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه**» يؤخذ منه الدعوة إلى الإسلام، وأن قتال النبي ﷺ وجهاده إنما كان لنشر الإسلام في ربوع الأرض.

الحادي عشر: يؤخذ منه ردٌّ على من زعموا أن الجهاد شرع للدفاع، ولم يشرع لنشر الدعوة وهذه دعوة باطلة مبطلة، بل إن الجهاد شرع لنشر الإسلام في ربوع الأرض؛ وإنقاذ البشرية من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

الثاني عشر: يؤخذ من قوله: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمْر النَّعم**» والنعم: هي الإبل، والحمر منها أفضل من غيرها، وكانت أنفس الأموال عند العرب.

الثالث عشر: يؤخذ من هذه الجملة أن ثواب الدعوة إلى الله بإدخال رجل واحد في الإسلام خيرٌ من أنفس الأموال وأحسنها.

(٥) بابُ تفسيرِ التوحيد وشهادةِ أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ الآية [الإسراء: ٥٧].

وقوله: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ الآية [الزخرف: ٢٦ ـ ٢٧].

وقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية [التوبة: ٣١].

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ الآية [البقرة: ١٦٥].

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قال: لا إله إلَّا الله، وكفر بما يُعبدُ من دون الله؛ حَرُم ماله ودمُه، وحسابه على الله ﷻ**»[٢٠].

وشرحُ هذه الترجمة: ما بعدها من الأبواب.

فيه أكبر المسائل وأهمها: وهو تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة.

وبيَّنها بأمورٍ واضحةٍ:

منها: آية الإسراء؛ بيَّن فيها الردَّ على المشركين الذي يَدْعُون

(٢٠) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب: الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة... من حديث أبي مالك الأشعري عن أبيه رضي الله عنهما.

الصالحين، ففيها بيانُ أنَّ هذا هو الشركُ الأكبر.

ومنها: آية براءة؛ بيَّن فيها أنَّ أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وبيَّن أنهم لم يُؤمروا إلَّا بأن يعبدوا إلهًا واحدًا، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعةُ العلماء والعبّاد في المعصيةِ، لا دعاؤهم إياهم.

ومنها: قول الخليل عليه السلام للكفار: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧]؛ فاستثنى من المعبودين رَبَّه، وذكر سبحانه أنَّ هذه البراءة وهذه الموالاة: هي تفسير شهادة أن لا إله إلَّا الله، فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٨].

ومنها: آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]؛ ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدلَّ على أنهم يحبون الله حبًّا عظيمًا، ولم يُدْخلهم في الإسلام. فكيف بمن أحبَّ النِّدَّ أكبر من حُبِّ الله؟! فكيف بمن لم يُحبَّ إلَّا النِّدَّ وحده، ولم يُحبَّ الله؟!

ومنها: قوله ﷺ: «**من قال: لا إله إلَّا الله، وكفر بما يعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله**». وهذا من أعظم ما يُبيِّن معنى «لا إله إلَّا الله»؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلَّا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يُضيف إلى ذلك الكفرَ بما يعبدُ من دون الله، فإن شكَّ أو توقَّف لم يَحرُم ماله ودمه.

فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلَّها! ويا له من بيان ما أوضحه! وحجة ما أقطعها للمنازع!.



الشرح

يقول هنا عبد الرحمن بن محمد بن قاسم: «عطف الشهادة على التوحيد من عطف الدال على المدلول فإن التوحيد هو معنى لا إله إلا الله، ومدلولها مطابقةً يعني: باب إيضاح التوحيد توحيد الإلوهية والعبادة؛ لأنه هو المقصود بالذات من تصنيف الكتاب، وبيان مدلول شهادة أن لا إله إلا الله من النفي والإثبات، وما تضمنته من إخلاص العبادة لله وحده دونما سواه، فالتفسير تارةً يكون بذكر ما تحت اللفظ من معنى، وتارةً بذكر الضد والمنافي». انتهى.

وأقول: إن تفسير شهادة أن لا إله إلا الله الذي هو النفي والإثبات، وهو نفي الألوهية عما سوى الله، وإثبات الألوهية له وحده، فهذا هو ما تضمنته هذه الكلمة نفي الألوهية عما سوى الله، وإثبات الألوهية له وحده دون سواه، وهذا هو حقيقة التوحيد، وهو تفسيره.

وقول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ أي إن أولئك المدعوين الذين تدعونهم أنتم أيها المشركون هم كانوا يدعون ربهم، ويتسابقون إلى مرضاته، كلٌّ منهم يريد أن يتقرب إليه بالوسيلة التي شرعها على ألسنة رسله، راجيًا من الله أن يجعله من المقربين لديه، فكيف أنتم تدعونهم الآن، وتطلبون منهم جلب النفع، ودفع الضر؟!!

وكان ينبغي لكم أن تدعو الله ﷻ الذي كانوا يدعونه، وتتقربوا إليه بدعوته وحده كما كانوا يتقربون إليه، وكذلك أن هؤلاء المدعوين عاجزون عن أن يجلبوا لكم نفعًا أو يدفعوا عنكم ضرًّا كما أنهم كانوا عاجزين عن جلب النفع لأنفسهم أو دفع الضر عنها، وإنما كانوا يطلبون ذلك من الله -

جل وعلا - وقد قال - جل من قائل -: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦﴾ [الإسراء:٥٦]، أي: لا يملكون دفع الضر عنكم، ولا تحويله إلى غيركم، فالذي يقدر عليه هو الله وحده.

ثم ذكر المؤلف الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ ففي هذه الآية أخبر الله ﷻ أن إبراهيم عليه السلام أعلن لأبيه وقومه براءته من عباداتهم، ولما كانت عبادتهم مخلوطة، فهم تارةً يعبدون الله، وتارةً يعبدون غيره؛ تبرأ إبراهيم من عبادتهم لغير الله، واستثنى من ذلك عبادة الله الذي فطرهم، وفطر غيرهم أي خلق جميع المخلوقين فأثبتها، ونفى سواها حيث قال: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، فإن عبادته وحده هي دأبي، وعقيدتي، وقرة عيني الذي تقر عيني به، وأطمئن إليه، وإلى عبادته، وتسكن نفسي إلى عبادته وحده ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ ابتدأ خلقي، وكلمة فطر معناها ذلك، وقد قال ابن عباس: «ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى احتكم إلي أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها»[٢١] أي أنا الذي ابتدأت إنشاءها، فمعنى فطرني: ابتدأ إنشاء خلقي؛ لذلك فهو المستحق أن تصرف إليه عبادتي، ثم قال:

وقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الأحبار هم العلماء، والرهبان هم العُبَّاد، ومن عادة الناس أن يرجعوا إلى هذين الصنفين، وأن يأخذوا بكلامهم، فقد عاب الله ﷻ على الكفار اتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله؛ حيث جعلوهم مشرعين يحلون لهم ما حرَّم الله؛ فيحلونه، ويحرمون عليهم ما أحلَّ الله؛ فيحرمونه، وليس هذا

---

(٢١) انظر «التمهيد» لابن عبد البر في (ج١٨/ ٧٨) و«الاستذكار» في (ج٣/ ١٠٥)، و«النهاية في غريب الحديث» في (ج٣/ ٤٥٧) عند لفظة: «فطرتها».

بإطلاق يوجب الخروج من الإسلام، ولكن في ذلك تفصيل: فتارةً يبلغ بفاعله الخروج من الإسلام، وذلك فيما إن اتخذوهم مشرعين، وأخذوا تشريعاتهم وقدموها على ما شرع الله في كتابه، وما شرع رسوله ﷺ معتقدين أن تلك التشريعات مساويةٌ لشرع الله أو زائدة عليه.

أما إن استفتوهم، فأفتوهم بتحريم الحلال، أو تحليل الحرام، فأطاعوهم في تحريم الحلال أو تحليل الحرام من جهة العمل، أطاعوهم وهم يعلمون أنَّهم عاصون بذلك ومعترفون بالمعصية، لكن اتبعوهم عملًا وداخلهم الحلال هو الحلال والحرام هو الحرام، فهذه معصية كبيرة.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ الأنداد هم النظراء.

فمن اتخذ معبودًا سوى الله ﷻ يعبده، ويطلب منه جلب النفع، ودفع الضرر، معتقدًا فيه القدرة على ذلك، فهو قد اتخذه ندًا لله ﷻ، أي مساويًا له، ونظيرًا، وهذا هو الشرك الأكبر المخرج من الملة؛ لأن من أحب غير الله ﷻ كحب الله، فإنه قد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة، حتى ولو تسمى بالإسلام، وزعم أنه مسلم، فالله ﷻ يقول لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]، ويقول بعد ذكر الرسل الذين ذكرهم في سورة [الأنعام: ٨٨]: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

وفي الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»[٢٢].

---

(٢٢) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب: الزهد والرقاق، باب: من أشرك في عمله غير الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله؛ حرُم ماله ودمه، وحسابه على الله**».

في هذا الحديث دليلٌ على أن القول يعني قول: «**لا إله إلا الله**» لابُدَّ له من عمل يؤيده وهو الكفر بما يُعبد من دون الله، وفي هذا تصديقٌ لقول: لا إله إلا الله الذي هو النفي والإثبات، فنفي الآلهة سوى الله ﷻ حاصلٌ بـ: «لا إله»، وإثبات العبودية لله حاصلٌ بقوله: «إلا الله»، فمن نفى الآلهة مع الله يلزمه أن يكفر بكل ما يُعبد من دون الله، وأن يعتقد أن العبادة لا تصح ولا تُقبل إلا بهذين الشرطين، يوقن بهما بقلبه عقدًا؛ بأن يعتقد أن الألوهية أمرٌ يختص به الله ﷻ، وأن كل مألوه سواه فهو قد أله بغير حق، فلذلك هو يكفر بكل معبودٍ سوى الله، وهذا هو معنى الكفر بالطاغوت؛ لقوله ﷺ: «**وكفر بما يُعبد من دون الله**»، فمن اعتقد الألوهية لله، وكفر بما يُعبد من دونه، فإنه يكون قد استكمل الإيمان، وبذلك يحرم ماله ودمه، فيعصم دمه فلا يراق إلا بحق، ويعصم ماله فلا يؤخذ إلا بحق.

وما أكثر المخالفين في الأزمنة الأخيرة لهذا الشرط، فتجد الواحد منهم يقول: لا إله إلا الله، وهو يعبد غير الله معتقدًا فيه جلب النفع ودفع الضر، ومع ذلك يصلي، ويزعم أنه مسلم، بل من تكلم في التوحيد، ونهى عن عبادة القبور، والأضرحة، والسادة، والأولياء، قالوا: هذا يبغض الأولياء، بل تجد بعضهم داعيةً للشرك بالله ﷻ، وهو مع ذلك يصلي، ويصوم، ويزعم أنه مسلم، ولكنه يقبض النذور التي نذر بها للولي الفلاني، ويجير من استجاره فيما لا يقدر عليه إلا الله، بل يأتي الواحد من العامة الذين استعبدوا لهؤلاء السدنة، فيدخل تحت سريره، ويسجد لذلك السادن، ويطلب منه شفاء مريضه أو رد ضالته أو هداية زوجته أو النصر على عدوه، فيتعهد له ذلك السادن بأن الله ﷻ سيفعل له ذلك الشيء المطلوب، وكأنما يتعهد على ابنه أو قريبه، الذي يَمُنُّ عليه؛ ألا فليتق الله هؤلاء الذين

مسختهم الصوفية، فجعلوا مع الله آلهة أخرى ليتقوا الله ﷻ، ويتركوا ما هم عليه من الشرك بالله، وعبادة الطواغيت، وإلا فإنهم قد أنذروا بالنار الحامية، والله ﷻ يقول: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ: ٣٠]، فمن آمن بالله، وكفر بما يُعبد من دونه؛ عُصم دمه، وماله، ويكون حسابه على ربه ﷻ، إلا أنه موعود بخير، قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢].



(٦) بابٌ من الشرك لبسُ الحَلْقَةِ والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقولِ الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ الآية [الزمر: ٣٨].

عن عمران بن حُصَين رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ رأى رجلًا في يده حَلْقة من صُفْرٍ[٢٣]، فقال: **«ما هذه؟»**. قال: من الواهِنة، فقال: **«انزَعها؛ فإنَّها لا تَزيدُك إلا وهَنًا، فإنك لو مِتّ وهي عليك؛ ما أفلحت أبدًا»**. رواه أحمدُ بسندٍ لا بأس به، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي ورواه بنحوه أيضًا عن أبي عامر الخراز عن الحسن[٢٤].

وله عن عُقْبَةَ بن عامر مرفوعًا: **«من تعلَّق تميمةً فلا أتمَّ الله له، ومنَ تعلَّق وَدْعةً فلا ودَع الله له»**. وفي رواية: **«مَن تعلَّق تميمةً فقد أشرك»**[٢٥].

---

(٢٣) قال محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي في كتابه «مختار الصحاح» (ص ١٧٧): «الصُّفْرُ بالضم نحاسٌ يعمل منه الأواني، وأبو عبيدة يقوله بالكسر» اهـ.

(٢٤) الحديث أخرجه أحمد في «مسنده» في (ج٤/ ٤٤٥) برقم الحديث (٢٠٠١٤) وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» (ج١٣/ ٤٤٩) برقم الحديث (٦٠٥٨) في كتاب: «الرقى» وأخرجه الحاكم في «المستدرك» في (ج٤/ ٢١٦) وأخرجه ابن ماجه في «السنن» في (ج٢/ ١١٦٧) برقم (٣٥٣١)، باب: تعليق التمائم والطبراني في «المعجم الكبير» (ج٨/ ٦٧) برقم (٧٧٠٠) وفي (ج١٨/ ١٧٩) برقم (٣٩١) وابن أبي شيبة في (ج٥/ ٣٥) برقم الحديث (٢٣٤٦٠) وفي مصنف عبد الرزاق في (ج١١/ ٢٠٩) برقم الحديث (٢٠٣٤٤).

(٢٥) الحديث أخرجه ابن حبان في «صحيحه» في (ج١٣/ ٤٥٠) برقم الحديث (٦٠٨٦) وفي «المستدرك» للحاكم في (ج٤/ ٢٤٠) برقم الحديث (٧٥٠١) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال الذهبي في التلخيص صحيح وفي «المستدرك» أيضًا في (ج٤/ ٤٦٣) =

ولابن أبي حاتم عن حُذيفة: أنه رأى رجلًا في يده خَيطٌ من الحُمّى، فقطعه، وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦][٣٦].

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ في لُبس الحلْقة والخيط، ونحوهما لمثل ذلك.

الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح. فيه شاهد لكلام الصحابة: أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر.

الثالثة: أنه لم يعذر بالجهالة.

الرابعة: أنها لا تنفع في العاجلة، بل تضر؛ لقوله: «لا تزيدك إلَّا وهنًا».

الخامسة: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك.

السادسة: التصريح بأن من تعلق شيئًا وُكِل إليه.

= برقم الحديث (٨٢٨٩) وأخرجه البيهقي في «السنن» في (ج٩/ ٣٥٠) برقم الحديث (١٩٣٨٩) وأخرج في «شرح معاني الآثار» في (ج٤/ ٣٢٥) برقم الحديث (٦٦٦٠)، وأخرجه الإمام أحمد في (ج٤/ ١٥٤) برقم الحديث (١٧٤٤٠) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» في (ج٥/ ١٠٣): رجال أحمد ثقات وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» في (ج٣/ ٢٩٥) برقم الحديث (١٧٥٩) وفي «مسند الشاميين» في (ج١/ ١٤٦) برقم الحديث (٢٣٤) والطبراني في «المعجم الكبير» في (ج٧/ ٢٩٧) برقم الحديث (٨٢٠).

[٣٦] أورده الإمام ابن كثير في «تفسيره» في (ج٤/ ٣٤٢) وفي «النهج السديد» (ص٥٧) وقال: «ضعيف رواه ابن أبي حاتم وقد أورده بسنده في «تفسير العزيز الحميد» من طريق عروة بن الزبير عن حذيفة ولا يعرف لعروة سماع من حذيفة» وأخرجه أيضًا ابن أبي شيبة في «مصنفه» في (ج٥/ ٣٥) برقم الحديث (٢٣٢٦٢).

السابعة: التصريح بأن من تعلّق تميمة فقد أشرك.

الثامنة: أن تعليق الخيط من الحُمَّىٰ من ذلك.

التاسعة: تلاوة حذيفة الآية دليلٌ على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر، كما ذكر ابن عباس في آية البقرة.

العاشرة: أن تعليق الوَدَع من العين من ذلك.

الحادية عشرة: الدعاء على من تعلَّق تميمةً أن الله لا يُتمَّ له، ومن تعلَّق ودعةً فلا ودع الله له، أي: لا ترك الله له.

الشرح

الرفع يكون بعد وجود البلاء، والدفع يكون قبل وجوده، كما يعتقد بعض الناس أن هناك أشياء تدفع العين أو تدفع الجن، وما أشبه، وهذا أمرٌ خطيرٌ، فمن بنى بيتًا وقيل له: إذا كنت تريد أن الجن ما تؤذيك في بيتك هذا، فأهرق فيه دمًا أي: أرق دمًا للجن حتى ما تؤذيك فإن صدَّق هذا الكلام، وأراق دمًا للجن، ولو كان دم عصفور أو ديك أراقه لاسترضاء الجن أو الناس؛ كما حصل أن قومًا ممن قبلنا كان لهم صنمٌ، وكانوا على طريق الناس، فقرروا أنهم لا يمرُّ بهم شخصٌ؛ إلا ويقرب لصنمهم هذا شيئًا، ويمنعون المارة من المرور إلا بعد أن يقربوا لصنمهم هذا، فمن قرب له ولو ذبابًا؛ خلوا سبيله، ومن لم يقرب له شيئًا؛ قتلوه، فمرَّ بهم رجلان، فأحدهما قرَّب؛ ونجا من القتل، لكنه استوجب النار؛ جزاءً له على ما فعل، والآخر قال: لم أكن لأقرب لأحد دون الله شيئًا؛ فضربوا عنقه؛ فدخل الجنة.

فيا عبد الله كن موحدًا، ومت على التوحيد، لتنجو من عذاب ربك.

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾.

معنى هذه الآية: قل لهم يا محمد ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾ يا مشركون ﴿مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: الذين تدعون من دون الله من معبودات كاللات، والعزى، ومناة، وغيرها، ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ أي بضر يصيبني هل هذه الآلهة تقدر على كشفه؟

الجواب: أنها لا تقدر على كشف الضر الذي يريده الله ﷻ، ولا تقدر على منع الرحمة التي يريدني بها ربي، ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾، وهذا يستفاد منه عدم قدرتها لا في النفي، ولا في الإثبات، فهي لا تقدر على كشف الضر الذي يريده الله بي، ولا تقدر على منع الرحمة التي يريدها الله بي، وهذا إخبارٌ عن عجز الآلهة كلها كقوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣﴾ [الحج: ٧٣].

ثم أورد حديث عمران بن حصين رضي الله عنه: أن النبي ﷺ رأى رجلًا في يده حلقة من صفر، فقال: **«ما هذه؟»** قال: من الواهنة. قال: **«انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك؛ ما أفلحت أبدًا»**.

مضمون هذا الحديث: أن من تعلَّق شيئًا أنه يوكل إلى الشيء الذي تعلقه، سواءٌ كان من صُفر أو من حديد أو من خيوط أو من سيور أو غير ذلك.

كل هذه الأشياء لا تفيد من تعلقها شيئًا، والمؤمن متوكل على الله، فيبقى المؤمن مرتبطًا بربه ﷻ، غير ملتفت لأحد سواه، وهذا هو التوحيد

الذي لا يقبل الله من الخلق عبادة بدونه، سواءً كانت صلاةً أو صومًا أو غير ذلك لا تقبل إلا بالتوحيد؛ لأنه أساسها وقاعدتها.

وله عن عقبة بن عامر رضي الله عنه: **«من تعلَّق تميمة؛ فلا أتم الله له، ومن تعلَّق ودعة؛ فلا ودع الله له»**.

وفي رواية: **«من تعلَّق تميمةً؛ فقد أشرك»**.

عقبة بن عامر بن عمرو الجهني رضي الله عنه، صحابي مشهور فاضل، روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين، أحد من جمع القرآن.

قوله: **«من تعلق تميمة»** أي علقها عليه أو على غيره من طفل، ودابة متعلقًا بها قلبه في طلب خير أو دفع شر **«فلا أتم الله له»** أي: لا أتمَّ الله له ما قصده، دعاءٌ عليه بنقيض قصده، وأن الله لا يتم له أمره، ودعاؤه ﷺ على متعلقها يفيد أنه محرم، وتحريمه يفيد أنه من المحرمات الشركية، وإنما كان شركًا؛ لما يقوم بقلب المتعلق من الاعتماد على غير الله في جلب النفع أو دفع الضر، وكمال التوحيد لا يحصل إلا بترك ذلك.

وأقول: لقد عرفنا فيما سبق أن بعض الناس يعلق على نفسه أو على ولده تميمة، فيتعلق قلبه بتلك التميمة بأنها تدفع عنه الشر والأذى، وكم رأينا من أناس يكون متعلقًا لتميمة، فإذا حاولت إزالتها عنه ظنَّ بأنك ألقيته إلى الموت، وقد يكون أن بعض الناس يعلق على دابته شيئًا يزعم أنه يصرف عنها العين أو يصرف عنها الجن، فقد كنا في الأزمنة السابقة الختين يحمل شفرة أي سكينًا يزعمون أن هذه الحديدة التي يحملها تدفع عنه الشياطين، وكذلك أيضًا النفساء تحمل شرمة[٢٧] تزعم بأنها تمنع ولدها من الشياطين،

---

(٢٧) باللهجة الدارجة في منطقة جازان يسمَّى المحش المقطوع أي سكين من نوع خاص يقطع به النبات؛ قال شيخنا النجمي: الشرمة المحش إذا انكسر وبقي أصله يقال له شرمة، فالمرأة تجعل لها شرمة، ويجعلون حديدًا تحت سرير المولود، ويقولون يدفع عنه الجن، =

وكان بعض الناس يتعلق عظم نسر، وبعضهم يتعلق شيئًا من الضَّبُع، وبعضهم يتعلق عين الذئب، وكذلك أيضًا كانوا يعلقون على الجمال الجمل الكبير يعلقون عليه سبعةً من أعواد السدد[٢٨]، أشياءً كثيرة جعلها الشيطان للناس، فيكون قلب المتعلق متعلقًا بها يظنُّ أنها تحميه، ومن ذلك أيضًا تعلق الودع وتعلق الخيوط؛ كل هذا لا يجوز للمسلم أن يفعله؛ لأنه تعلق بغير الله.

وبالجملة فمن تعلق شيئًا يزعم بأنه يجلب له نفعًا أو يدفع عنه ضرًّا فإنه في هذه الحالة يعتبر قد أشرك بالله شركًا أكبر، أو شركًا أصغر على الأقل، ولهذا فإنه لا يخلو من إحدى العقيدتين، فإن اعتقد أن صحته وسلامته متوقفة على هذا الشيء المتعلق، فإن قطع منه أو أزيل عنه اعتقد بأنه قد تعرض للهلاك، فإن هذا يعدُّ من الشرك الأكبر، وإن اعتقده سببًا مع علمه بأن الله هو الشافي والواقي، فإنه يكون في حقه شركًا أصغر - والله تعالى أعلم -.

الودع: هو صدفٌ يخرج من البحر يتخذه بعض الناس الفقراء للزينة، ويلعب به الأطفال، ويكون شركًا إذا كان يعلقه معتقدًا فيه أنه يدفع العين أو الشياطين.

أما من تعلَّق الودع كزينة كما يفعله النساء من سكان الجبال، فهذا لا يعتبر من الشرك ولا يدخل في الشرك.

قوله: «**فلا ودع الله له**» أي فلا تركه؛ بل يعاجله بالعقوبة هكذا فيما يظهر.

= والختين لا يخرج إلَّا والشفرة في يده.

(٢٨) قال شيخنا النجمي: «وهو شجر لا ورق فيه، تبنى عليه أشجار أخرى، وتعرج عليه».

ولابن أبي حاتم عن حذيفة: أنه رأى رجلًا في يده خيطٌ من الحمى؛ فقطعه، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

قوله: «**في يده خيطٌ من الحمى**» كان الناس في الأزمنة القديمة يتخذ أحدهم خيطًا يرقى فيه ويعقد يقرءون شيئًا من القرآن، وأحيانًا من غيره، ويربط بسبع ربطات، ثم يقولون هذا يدفع عنه المرض أو الحمى أو ما أشبه ذلك، وقد كان الناس في الزمن السابق يفعلون ذلك، علمًا بأن قطع العزيمة أو الخيط أو الشيء المتعلَّق من دون نصيحة صاحبه وإقناعه بأنه لا يغني عنه شيئًا ولا يدفع عنه ضرًّا، ولا يجلب له نفعًا؛ هذا إنما يكون ممن له سلطة.

فالنبي ﷺ قطع تلك الحلقة عن الرجل من دون رضاه؛ لأنه ولي الأمر، وحذيفة كان هو أمير المدائن في ذلك الوقت، فالمهم أن ما حصل من حذيفة رضي الله عنه؛ لأنه كان من ولاة الأمر كما أن النبي ﷺ هو ولي الأمر والمشرِّع، فلا يجوز أن نأخذ بهاتين القصتين، ونقطع كل من رأينا عليه شيئًا من ذلك رضي أو لم يرض، فهذا خطأ، بل يجب أن يكون الإنكار باليد لولاة الأمر، وللرجل في أهل بيته، أما من عدا ذلك فينبغي أن يكون إنكاره بالتوجيه والإقناع، فإن اقتنع قطعته عنه بعد قناعته، وإلا فلا، والمهم أن قطع العزيمة من غير ولي الأمر ربما سبب خلافًا، والشارع جعل الإنكار باليد لولي الأمر أو من يُنيبه أو صاحب البيت في بيته.



(٧) بابُ ما جاء في الرُّقى والتمائم

في «الصحيح» عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه: أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولًا: **«ألا يَبْقَيَنَّ في رقبة بعيرٍ قلادةٌ من وَتَر ـ أو قلادةٌ ـ إلَّا قُطعت»**(٢٩).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«إنَّ الرُّقى والتمائمَ والتِّوَلَة شرك»**(٣٠). رواه أحمد، وأبو داود.

وعن عبد الله بن عُكَيْمٍ مرفوعًا: **«من تعلَّق شيئًا وُكِّلَ إليه»**(٣١). رواه

---

(٢٩) الحديث متفق عليه، فقد أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» في كتاب: الجهاد والسير، باب: ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: اللباس والزينة، باب: كراهة قلادة الوتر في رقبة البعير.

(٣٠) الحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسند المكثرين من الصحابة» برقم الحديث (٣٦٠٤) ترقيم إحياء التراث، وورد في «سنن أبي داود» في (ج٤/ ٩) برقم الحديث (٣٨٨٣)، وكذا ورد عند ابن حبان في «صحيحه» (ج١٣/ ٤٥٦) برقم الحديث (٦٠٩٠)، وورد في «المستدرك على الصحيحين» في (ج٤/ ٤٦٣) برقم الحديث (٨٢٩٠) وقال الحاكم: «حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وأورده البيهقي في «السنن الكبرى» في (ج٩/ ٣٥٠) برقم الحديث (١٩٣٨٧)، وأورده أبو يعلى في «مسنده» في (ج٩/ ١٣٣) برقم الحديث (٥٢٠٨)، وفي «المعجم الكبير» للطبراني في (ج١٠/ ٢١٣) برقم (١٥٠٠٣) وفي «الأوسط» له في (ج٢/ ١١٩) برقم الحديث (١٤٤٢) وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (ج١/ ٣٣٦) برقم الحديث (١٦٣٣) وقد أشار رحمه الله إلى «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (٣٣١).

(٣١) الحديث أخرجه الإمام النسائي في «المجتبى» في حكم السحرة في (ج٧/ ١١٢) برقم الحديث (٤٠٧٩) وفي «السنن الكبرى» له في (ج٢/ ٣٠٧) برقم الحديث (٣٥٤٢) وأورده البيهقي في «السنن الكبرى» في (ج٩/ ٣٥١) برقم الحديث (١٩٣٩٥) وفي «مسند الإمام أحمد بن حنبل» في (ج٤/ ٣١٠) برقم الحديث (١٨٨٠٣) وأورده ابن أبي شيبة في «مصنفه» =

أحمد، والترمذي.

«التمائم»: شيءٌ يُعلّق على الأولاد، يتّقون به العَين.

لكن إذا كان المعلّق من القرآن: فرخّص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخّص فيه، ويجعله من المنهيّ عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

و«الرُّقى»: هي التي تُسمّى: العزائم، وخَصَّ منها الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخّص فيه رسول الله ﷺ من العين والحُمَة.

و«التِّوَلة»: شيءٌ يصنعونه، يزعمون أنّه يُحبّب المرأة إلى زوجها، والرجُلَ إلى امرأته.

وروى أحمد عن رُويفع قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «يا رُويفعُ! لعلَّ الحياة تطولُ بك، فأخبرِ الناس: أنَّ من عقد لحيته، أو تقلَّد وتَرًا، أو استنجى برجيع دابةٍ أو عظم؛ فإنَّ محمَّدًا بريءٌ منه»[٣٢].

وعن سعيد بن جُبير قال: «مَن قطع تميمةً من إنسان كان كعِدل رقبة»[٣٣]. رواه وكيع.

باب: في تعليق التمائم في (ج٥/ ٣٦) برقم الحديث (٢٣٤٧٤) وأورده الإمام الترمذي في كتاب: الطب، باب: ما جاء في كراهية التعليق برقم الحديث (٢٠٧٢) وقد أشار الإمام الألباني إلى صحة هذا الحديث وذلك في «صحيح الترمذي» (ج٢/ ٤١٠) وقال: صحيح انظر «غاية المرام» (٢٩٧).

(٣٢) الحديث أخرجه الإمام النسائي في كتاب: «الزينة» باب عقد اللحية، وأخرجه أبو داود في «سننه» في كتاب: الطهارة، باب: ما ينهى عنه أن يستنجى به، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» في مسند الشاميين برقم إحياء التراث: (١٦٥٤٧ و١٦٥٤٨ و١٦٥٥٢)وقد صحح الإمام الألباني هذا الحديث في «صحيح الجامع» (ج٢/ ١٣١٠) برقم الحديث (٧٩١٠) وقال: انظر «صحيح سنن أبي داود» رقم (٢٦) و«المشكاة» رقم (٣٥١).

(٣٣) الأثر أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» في (ج٥/ ٣٦) برقم الحديث (٢٣٤٧٣)..

وله عن إبراهيم قال: «كانوا يكرهون التمائم كلَّها، من القرآن وغير القرآن»[٣٤].

❁ فيه مسائل:

الأولى: تفسير الرُّقى والتمائم.

الثانية: تفسير التِّوَلَة.

الثالثة: أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء.

الرابعة: أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك.

الخامسة: أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء: هل هي من ذلك أم لا؟.

السادسة: أن تعليق الأوتار على الدواب من العين من ذلك.

السابعة: الوعيد الشديد على من تعلَّق وَتَرًا.

الثامنة: فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان.

التاسعة: أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف، لأنَّ مراده أصحاب عبد الله.

---

(٣٤) والأثر أخرجه ابن أبي شيبة برقم الحديث (٢٣٤٦٧).

الشرح

الرقى: جمع رقية، والرقية هي العَوْذة يعوَّذ بها المريض؛ وهو أن يقرأ شيئًا من القرآن، وينفث على المريض، وكذلك ما ورد من التعوذات في السنة.

فقد ورد أن النبي ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين فيقول: «**أعيذكما بكلمات الله التامَّة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامَّة**»(٣٥) يفعل ذلك ثلاث مرات، ويمسح على رأس الصبي، وقال: لقد كان إبراهيم الخليل يعوذ بها إسماعيل وإسحاق.

وورد في الرقية حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب، فلم يقروهم، فبينما هم كذلك إذ لُدغ سيد القوم، فقالوا: هل معكم من دواء أو راقٍ؟ فقالوا: إنكم لم تقرونا، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جُعلًا، فجعلوا لهم قطيعًا من الشاء، فجعل يقرأ بأم القرآن، ويجمع بزاقه ويتفل، فبرأ، فأتوا بالشاء، فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ، فسألوه فضحك وقال: «**وما أدراك أنها رقية؟ خذوها واضربوا لي بسهم**»(٣٦).

---

(٣٥) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في «سننه» في كتاب: الطب، باب: ما جاء في الرقية من العين، وأخرجه الإمام أبو داود في «سننه» في كتاب: السنة، باب: في القرآن، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» بترقيم إحياء التراث رقم (٢١١٣) و(٢٤٣٠) وذلك في «مسند بني هاشم» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣٦) الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد، واللفظ الوارد في الشرح من صحيح الإمام البخاري في كتاب: الطب، باب: الرقى بفاتحة الكتاب: ويذكر عن ابن عباس عن النبي ﷺ، وأورده الإمام مسلم في كتاب: السلام، باب: جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار.

فهذه الأحاديث دالة على جواز الرقية، لكن بثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن تكون من الكتاب أو السنة.

الشرط الثاني: أن تكون باللفظ العربي.

الشرط الثالث: ألا يعتقد فيها أنها التي تشفي، بل يعتقد أنها سبب.

أما التمائم: فهي جمع تميمة، والمراد به: الشيء المتعلق الذي يتعلقه الإنسان ليجلب به نفعًا أو يدفع به ضرًّا، وقد اختلف السلف في المُتعلَّق إذا كان من القرآن هل يجوز ذلك أو لا يجوز؟

والصحيح أنه لا يجوز ذلك:

١- لأن تعلق الآيات القرآنية يعرضها للامتهان، فيحملها الرجل عند قضاء حاجته، والمرأة عند حاجتها، وفي أثناء حيضها، والرجل والمرأة معًا عند الجماع، وهذا أمرٌ لا يجوز.

٢- أنه لم يرد عن النبي ﷺ هذا، وإنما ورد عنه الرقية، وما عدا الرقية من كتابة الآيات ومحوها أو غير ذلك، فإنه غير مشروع، ولا ينبغي مزاولته، والمحو هو أن تكتب الآيات في إناء ثم تمحى الكتابة بالماء، ويشربه المريض، وهذا غير مأثور عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه، وما ورد عن ابن مسعود في قوله ﷺ: «**إن الرقى، والتمائم، والتولة شرك**» فهو محمولٌ على الرقية الممنوعة التي يكون فيها تعاويذ بأسماء غير معلومة؛ أما التمائم، فالمعروف أن الناس عندما يتعلقون التمائم تتعلق قلوبهم بها فيكون الواحد منهم معتقدًا بأن تلك التميمة هي التي تدفع عنه الأخطار وتؤمنه من المخاوف، وهذا هو الشرك بعينه.

أما التِّولة: فهي ما يُصنع لتحبيب الرجل إلى امرأته، أو المرأة إلى زوجها، وهذا يُسمى عندنا بالهداية، وهذا كله لا يجوز، بل إن من يفعلون

ذلك إنما يفعلونه بنوعٍ من السحر، والسحر حرام، ولا يقدر على فعله إلا كافر.

أما حديث أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه: «**أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولًا ألا يبقينَّ في رقبة بعير قلادةٌ من وتر أو قلادة إلا قُطعت**».

الوتَر: هي السيور التي يشد بها القوس، فإذا بلي وأرادوا إبداله أخذوه وقلدوه الدابة، زعمًا منهم أنه يدفع عنها العين، أو يدفع عنها الشياطين، وهذا هو الشرك بعينه.

أما قوله: «أو قلادة» يعني أي قلادة تكون، فإنه لا يجوز تعلقها من أجل الاعتقاد، والغالب أن الذين يقلدون الدابة أنهم إنما يقلدونها لاعتقادهم في ذلك.

قوله هنا: «والرقى: وهي التي تُسمى العزائم، وخصَّ منها الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخَّص فيه رسول الله ﷺ من العين والحُمَة»، وأقول: فرق بين الرقية والعزيمة.

فالعزيمة: هي ما يكتب لحمله.

والرقية: هي أن يقرأ الراقي، وينفث بدون كتابة.

والرقية جائزة؛ أما العزائم والتمائم فهي ممنوعة كما تقدم، وتجوز بشروطها.

وفي «صحيح مسلم» عن عوف بن مالك الأشجعي قال: «كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: «**اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك**»[٣٧].

---

(٣٧) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب: السلام، باب: لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه =

قال في «فتح المجيد»: قال الخطابي: وكان عليه السلام قد رقى، ورُقي، وأمر بها، وأجازها، فإذا كانت بالقرآن، وبأسماء الله، فهي مباحة أو مأمورٌ بها، وإنما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منها بغير لسان العرب؛ فإنه ربما كان كفرًا أو قولًا يدخله الشرك.

وقال شيخ الإسلام: «كل اسمٍ مجهول فليس لأحد أن يرقى به فضلًا عن أن يدعو به ولو عرف معناه».

وقال السيوطي: «أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط أن تكون من كلام الله، وبأسمائه وصفاته وباللسان العربي، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى». اهـ.

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعًا: **«من تعلَّق شيئًا وُكِّل إليه»** [رواه أحمد والترمذي].

ترجمة الراوي عبد الله بن عكيم:

«بالتصغير الجهني أبو معبد الكوفي مخضرم من الثانية، وقد سمع كتاب النبي ﷺ إلى جهينة مات في إمرة الحجاج». [التقريب (٣٥٠٦)]. اهـ.

المخضرم يعتبر درجة ثانية بعد الصحابة، وهو فوق التابعين، والمخضرم: هو من كان في عهد النبي ﷺ رجلًا وأسلم ولم يلقه مثل: عبد الله بن عُسيلة، وأبو عثمان النَّهْدي، وأبو مسلم الخولاني، وكميل بن زياد، وأبو رجاء العطاردي، وغيرهم كثير يبلغون حوالي أربعين رجلًا.

يؤخذ من هذا:

أن من تعلَّق شيئًا معتقدًا فيه أنه يجلب نفعًا أو يدفع عنه ضرًّا، فإنه بهذا يكون قد جعل عقيدته في الشيء الذي تعلقه، ومن أجل ذلك، وكله الله

= شرك.

إليه، وهذا تهديدٌ، ووعيد لمن أشرك بالله شيئًا من المتعلقات معتقدًا في ذلك.

قال في «التعليق المفيد» لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «فينبغي للإنسان أن يعتمد ويتوكل على الله وحده، فهذا هو الذي ينفعه مع الأخذ بالأسباب، كما في حديث: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله**»، فالأخذ بالأسباب أمرٌ لازمٌ من الأدوية، والاستقامة على شرعه، وتعاطي أسباب العافية، وطلب الرزق، فالأسباب ما بين الواجب، والجائز، فعليه أن يتعاطى الأسباب الجائزة والواجبة، والأخذ بذلك لا يقدح في التوحيد، بل تركها يقدح في العقل والتوحيد جميعًا». اهـ.

ثم ذكر ما رواه أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا رويفع، لعل الحياة ستطول بك، فأخبر الناس أنَّ من عقد لحيته، أو تقلد وترًا، أو استنجى برجيع دابة أو عظم؛ فإن محمدًا بريءٌ منه**».

ترجمة رويفع:

رويفع بالفاء ابن ثابت بن السكن بن عدي بن حارثة الأنصاري، المدني، صحابي سكن مصر، وُلي إمارة بُرقَة، ومات بها سنة ٥٦». اهـ.

وأقول: عقد اللحية أو تعقيدها هو ضفرها أو تصفيفها للتكبر، والتعاظم، أما العناية بها تسريحًا، وتكريمًا، فهذا ليس بمنهي عنه؛ أفاد ذلك الشيخ عبد العزيز في تعليقه رَحِمَهُ اللَّهُ على هذا الموضع.

المسألة الثانية: تقلد الوَتر:

والوتر: السيور التي تُجمع بين طرفي القوس، ويوضع فيها السهم وكانوا إذا رمَّ الوتر القديم أخذوا بدلًا عنه، وعلقوه في عنق البعير أو غيره؛ يزعمون أنه يدفع العين، ويدفع الشياطين، والله ﷻ هو الذي يدفع الضر، ويجلب النفع، وكذلك النهي عن الاستنجاء برجيع الدابة وهو روثها،

وكذلك الاستنجاء بالعظام؛ كل ذلك تبرأ النبي ﷺ من فاعله.

الحديث فيه لين، وصححه الألباني، وفيه عَلمٌ من أعلام النبوة، وهو قوله لرويفع: «**لعل الحياة ستطول بك**»، وفعلًا فقد طال عمره رضي الله عنه.

وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: «من قطع تميمةً من إنسان كان كعدل رقبة». [رواه وكيع بن الجراح].

معنى: «**كعدل رقبة**» بمعنى أنه يساوي العتق في الأجر.

قال الشيخ عبد العزيز في تعليقه على هذه الفقرة: «لأنه سيخلص هذه الرقبة من النار، ومن الشرك فيكون أفضل من عتق الرقبة». اهـ.

قلت: ولا شك أن إنقاذ الإنسان المسلم من الشرك، وإفهامه بالتوحيد فيه أجرٌ عظيم يفوق أجر العتق فيما نرجو.

ثم أورد الأثر عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن، وغير القرآن.

وإبراهيم هذا هو: إبراهيم بن يزيد النخعي من التابعين من أصحاب ابن مسعود، كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير ذلك، وكذلك ابن مسعود رضي الله عنه يكره ذلك لسببين:-

السبب الأول: لعموم الأحاديث الناهية.

السبب الثاني: سدًّا للذرائع الموصلة للشرك، فلا يعلق مصحف، ولا آياتٌ منه ولا أحاديث، ولا طلاسم، ولا عظام، إن كان المتعلق من غير القرآن فهو شرك، فكله شرك.



(٨) بابُ من تبرَّك بشجرةٍ أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢﴾ الآيات[النجم: ١٩-٢٣].

عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين، ونحن حُدَثاءُ عهدٍ بكفر، وللمشركين سِدْرةٌ يَعكفُون عندها، ويَنوطون بها أسلحتَهم، يقال لها: ذاتُ أنواط، فمررنا بسدرةٍ، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط، فقال رسول الله ﷺ: **«الله أكبر! إنها السُّنن؛ قُلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** [الأعراف: ١٣٨]. **لتركَبُنَّ سنن من كان قبلكم»**[٣٨]. رواه الترمذي، وصححه.

---

(٣٨) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب: الفتن، باب: ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم برقم الحديث (٣٧٣٧٥) قلت: وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» في (ج٢/ ٤٦٥) وقال: انظر «ظلال السنة» (٧٦) و«المشكاة» رقم (٥٣٦٩) وأخرجه أحمد في «مسند الأنصار» رقم الحديث (٢١٣٩٠) وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» (ج٥/ ٩٤) برقم الحديث (٦٧٠٢) وفي «السنن الكبرى» للبيهقي في (ج٦/ ٣٤٦) برقم (١١١٨٥) وفي «مسند أبي يعلى» في (ج٣/ ٣٠) برقم (١٤٤١) وفي «مسند الطيالسي» في (ج١/ ١٩١) برقم (١٣٤٦) وفي «المعجم الكبير» في (ج٣/ ٢٤٣) برقم (٣٢٩٠) وفي (ج٧/ ٢١) رقم (٢٧) وفي «مصنف عبد الرزاق» في (ج١١/ ٣٦٩) برقم (٢٠٧٦٣) وفي «مصنف ابن أبي شيبة» في (ج٧/ ٤٧٩) رقم الحديث.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النجم.

الثانية: معرفة صورة الأمر الذي طلبوا.

الثالثة: كونهم لم يفعلوا.

الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك، لظنهم أنه يحبه.

الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل.

السادسة: أنَّ لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم.

السابعة: أن النبي ﷺ لم يعذرهم، بل ردّ عليهم بقوله: «**الله أكبر! إنها السنن، لتتبعن سَنَن من كان قبلكم**»، فغلَّظ الأمر بهذه الثلاث.

الثامنة: الأمر الكبير، وهو المقصود: أنه أخبر أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾.

التاسعة: أنَّ نَفْيَ هذا من معنى «لا إله إلَّا الله»، مع دقته وخفائه على أولئك.

العاشرة: أنه حلف على الفُتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة.

الحادية عشرة: أن الشرك فيه أكبر وأصغر، لأنهم لم يرتدّوا بهذا.

الثانية عشرة: قوله: «ونحن حُدثاء عهد بكفر» فيه: أن غيرهم لا يَجهل ذلك.

الثالثة عشرة: التكبير عند التعجُّب، خلافًا لمن كرهه.

الرابعة عشرة: سد الذرائع.

الخامسة عشرة: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية.

السادسة عشرة: الغضب عند التعليم.

السابعة عشرة: القاعدة الكلية لقوله: «**إنها السنن**».

الثامنة عشرة: أن هذا علم من أعلام النبوَّة؛ لكونه وقع كما أخبر.

التاسعة عشرة: أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا.

العشرون: أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر؛ أما «من ربك؟» فواضح، وأما «من نبيك؟» فمن إخباره بأنباء الغيب، وأما «ما دينك؟» فمن قولهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ إلى آخره.

الحادية والعشرون: أن سنّة أهل الكتاب مذمومة، كسنة المشركين.

الثانية والعشرون: أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه، لا يُؤمَن أن يكون في قَلبه بقية من تلك العادة، لقولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر».

الشرح

التبرُّك هو التماس البركة من الشيء، فمن تبرك بشيء كان على حد زعمه أن دلك الشيء فيه بركة، والبركة هي مكاثرة الشيء، وجعله كثيرًا أكثر من العادة، وكون الإنسان يعلم أن هذا الشيء فيه بركة أمرٌ مرفوض، وغير مقبول، إلا أن يكون هذا العلم واردً من الله ﷻ كما قال النبي ﷺ: «**كلوا في القصعة من جوانبها، ولا تأكلوا من وسطها، فإن البركة تنزل في وسطها**»(٣٩).

ومعنى ذلك: أن البركة تنزل فيها، فيكثر الطعام أو الماء، وذلك إذا سمَّى عليه، وقد كان تكثير الطعام في زمن النبي ﷺ أمرًا محسوسًا كعناق جابر، وصاعه من الشعير، ولقد أُتي بأهل الخندق أرسالًا وكانوا ما بين ألف وأربع مائة وألف وخمسمائة فأكلوا جميعًا من تلك العناق، وذلك الصاع من الشعير(٤٠)، والمهم أن التبرك لا يجوز، ولا يتصور، إلا بخبرٍ

---

(٣٩) بهذا اللفظ جاء عند الإمام أحمد في «مسند بني هاشم» برقم الحديث (٢٤٣٥) وأخرج الحديث الإمام الترمذي في كتاب: الأطعمة، باب: ما جاء في كراهية الأكل من وسط الطعام، وأخرجه الإمام أبو داود في كتاب: الأطعمة، باب: ما جاء في الأكل من أعلى الصحفة، وأخرج الحديث ابن ماجه في كتاب: الأطعمة، باب: النهي عن الأكل من ذروة الثريد، وأخرجه الدارمي في كتاب: الأطعمة، باب: النهي عن أكل وسط الثريد حتى يأكل جوانبه، والحديث صحيح كما ذكر ذلك الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع»ج (١/ ٢٠٤) برقم الحديث (٨٢٩) عن ابن عباس وأشار رحمه الله إلى «المختارة» (٦٠/ ٢٣٧/ ٢).

(٤٠) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: «المغازي»، باب: غزوة الخندق وهي الأحزاب قال موسى بن عقبة كانت في شوال سنة أربع وقد جاء فيه عن جابر بن عبد الله ﷺ بلفظ قال: «لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصًا شديدًا، فانكفأت إلى امرأتي، فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصًا فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه فجئته، فساررته، فقلت يا رسول الله: ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعًا من شعير كان =

من الله بواسطة رسوله ﷺ.

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ أي: أرأيتم هذه الآلهة التي تتألهون لها، وتنسبونها إلى الله ﷻ، فأعطيتموه الإناث، وأخذتم لأنفسكم الذكور، ومعلومٌ فضل الذكر على الأنثى، فكيف تجعلون لربكم القسم الدنيء الذي تأنفون منه، وقد قال ﷻ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل: ٥٨- ٥٩].

فكيف أنتم تأنفون منه، وتجعلونه لربكم، وتزعمون أن الملائكة بنات الله، فإن هذه القسمة لو وقعت بين شخصين لكانت قسمةً جائرةً موصوفة بأنها ضيزى، فكيف إذا نسبتم ذلك إلى الله، فإن نسبة ذلك إليه أمرٌ عظيم، وفظيع: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

= عندنا، فتعال أنت، ونفرًا معك، فصاح النبي ﷺ فقال يا أهل الخندق: **«إن جابرًا قد صنع سؤرًا فحي هلا بكم»** فقال رسول الله ﷺ: **«لا تنزلن برمتكم، ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء»**، فجئت، وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي، فقالت: **«بك، وبك»** فقلت: قد فعلت الذي قلت فأخرجت له عجينًا، فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق، وبارك، ثم قال: **ادع خابزة فلتخبز معك، واقدحي من برمتكم، ولا تنزلوها**، وهم ألف فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو، وأخرج نحوه الإمام مسلم في كتاب: الأشربة، باب: استحباب الاجتماع على الطعام، وأخرج الإمام البخاري قصة أخرى في كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، وذلك عن جابر بلفظ: **«قال عطش الناس يوم الحديبية، والنبي ﷺ بين يديه ركوة، فتوضأ، فجهش الناس نحوه، فقال: «ما لكم»؟** قالوا ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا، وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟!! قال: لو كنا مائة ألف لكفانا؛ كنا خمس عشرة مائة» اهـ.

وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [مريم: ٩٠- ٩٤].

والخلاصة:

أن الله يقول لهم: كيف تنسبون إلى الله الإناث، وتجعلون لأنفسكم الذكور، وأنتم تأنفون من نسبة الإناث إليكم؛ ما هذه إلا قسمةٌ جائرة.

أما مناسبة الآية للباب: فإن العزى كانت على ثلاث سمرات، واللات كانت على حَجْرةٍ بيضاء، وهم يتبركون بتلك الأشجار والأحجار، والله قد عابهم بذلك، وذمهم كيف يتركون الإله الحق الذي هم يعترفون بأنه هو الذي خلقهم، ويتألهون لغيره.

قوله: «**يقال لها ذات أنواط**» النوط هو التعليق بمعنى: أنهم يعلقون سيوفهم في تلك الشجرة، ويزعمون أنها تباركها، فينتصرون على الأعداء بسبب البركة التي حازوها في السلاح الذي علقوه، وهذا كله أمرٌ وهمي، وادعاءٌ باطل، وقد قال النبي ﷺ: «**الله أكبر؛ إنها السنن؛ قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** [الأعراف: ١٣٨]، **لتركبن سنن من كان قبلكم**».

يؤخذ من هذا الحديث:

١- نفي ما زعمه المشركون من أن تلك الشجرة تبارك في أسلحتهم، فيكون بها النصر على الأعداء.

٢- أن التعليق هو تعليقٌ للقلوب بالشجرة قبل أن يعلقوا السيوف بها، وهذا لا شك قدحٌ في التوحيد؛ لذلك قال النبي ﷺ: «**قلتم، والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾**».

٣- يؤخذ منه تحريم مشابهة الكفار والمشركين، والبُعد عن عقائدهم الفاسدة.

٤- تعليم النبي ﷺ لهم أن ذلك نوع من التأله للأشجار والأحجار التي لا تنفع ولا تضر.

٥- أن الصحابة إذا طلبوا هذا الأمر، وكادوا أن يقعوا فيه، فغيرهم من باب أولى.

٦- أن النبي ﷺ لم يعذرهم بالجهل، بل أخبر أنهم قد وقع منهم ما وقع لبني إسرائيل حين طلبوا من موسى أن يجعل لهم آلهةً كآلهة المشركين.

٧- أخبر النبي ﷺ بأنَّ هذه الأمة ستتبع من كان قبلها؛ أي ستتبع طرائقهم في بعدهم عن توحيد الله ﷻ.

٨- يؤخذ منه الحلف على الفتوى.

٩- يؤخذ منه أن العبادات مبناها على الوحي، وأن العقول لا دخل لها في عبادة الله.

١٠- سد الذرائع الموصلة إلى الشرك.



(٩) بابُ ما جاء في الذَّبح لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ الآية [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢)﴾ [الكوثر: ٢].

عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «**لعنَ الله مَن ذبح لغير الله، لعن الله مَن لعنَ والديه، لعن الله من آوى مُحْدِثًا، لعن الله من غيَّر مَنار الأرض**». رواه مسلم(٤١).

وعن طارق بن شهاب؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**دخل الجنةَ رجلٌ في ذُباب، ودخل النارَ رجلٌ في ذُباب**». قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «**مرَّ رجلان على قوم لهم صنمٌ لا يجوزُه أحدٌ حتى يُقرِّب له شيئًا. فقالوا لأحدهما: قرِّب. قال: ليس عندي شيءٌ أُقرِّب**(٤٢)**. قالوا له: قرِّب ولو ذبابًا. فقرَّب ذُبابًا، فخلّوا سبيله؛ فدخل النار. وقالوا للآخر: قرِّب. قال: ما كنتُ لأُقرِّب لأحدٍ شيئًا دون الله ﷻ؛ فضربوا عنقه؛ فدخل الجنة**». رواه أحمد(٤٣).

---

(٤١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب: الأضاحي، باب: تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله.

(٤٢) وفي نسخة الوليد آل فريان بلفظ: «ليس شيءٌ عندي أقرب».

(٤٣) الحديث أخرجه الإمام ابن أبي شيبة في «مصنفه» في (ج٦/ ٤٧٣) برقم الحديث (٣٣٥٣٨) وقال محققا «القول المفيد»: «الحديث أخرجه الإمام أحمد في كتاب: «الزهد» (ص١٥-١٦) وأبو نعيم في «الحلية» (ج١/ ٢٠٣) عن طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي موقوفًا بسندٍ صحيح، وانظر «النهج السديد» (ص٦٨) اهـ.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾.

الثانية: تفسير ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾.

الثالثة: البداءة بلعنة من ذبح لغير الله.

الرابعة: لَعنُ مَن لَعَن والديه، ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والِديْك.

الخامسة: لعن من آوى مُحدِثًا، وهو الرجل يُحدِث شيئًا يجب فيه حقُّ الله، فيلتجئ إلى من يجيره من ذلك.

السادسة: لعن من غيّر منار الأرض، وهي المراسيم التي تفرِّق بين حقك من الأرض وحق جارك، فتغيرها بتقديم أو تأخير.

السابعة: الفرق بين لعن المعيّن ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم.

الثامنة: هذه القصة العظيمة؛ وهي قصة الذباب.

التاسعة: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده، بل فعله تخلصًا من شرهم.

العاشرة: معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين؛ كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلباتهم، مع كونهم لم يطلبوا إلَّا العمل الظاهر.

الحادية عشرة: أن الذي دخل النار مسلم؛ لأنه لو كان كافرًا لم يقل: «**دخل النار في ذباب**».

الثانية عشرة: فيه شاهد للحديث الصحيح: «**الجنة أقرب إلى أحدكم من**

شراك نعله، والنار مثل ذلك».

الثالثة عشرة: معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم، حتى عند عَبَدة الأوثان.

الشرح

قوله: «**باب ما جاء في الذبح لغير الله**» أي: من النهي والتحريم، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة.

أورد قول الله تعالى في آخر سورة الأنعام: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ أي: قل يا محمد للمشركين: إن صلاتي لله ﷻ، فلا أصلي لغيره؛ والصلاة هي أقوالٌ وأفعال مفتتحةٌ بالتكبير ومختتمةٌ بالتسليم، وهذه الأقوال والأفعال تشتمل على أذكار من قراءة قرآنٍ، وتسبيحٍ، وتمجيد لله ﷻ، وركوع، وسجودٍ، وقيامٍ، وقعودٍ، وتكبيرٍ.

وبالتكبير يدخل في الصلاة، وبالتسليم يخرج منها، وفيما بين ذلك أدعية، وهذه كلها لا يجوز صرف شيءٍ منها لغير الله ﷻ.

أما قوله: ﴿وَنُسُكِي﴾ معنى ذلك: ذبحي الذي أنسكه لله رب العالمين، والنسك هو ذبح الدابة، وينقسم إلى أقسام:

- منها ما هو واجب كذبح الهدي، ودم الجزاء.
- ومنها ما هو مسنونٌ سنَّة مؤكدة كالأضحية في حق القادر عليها.
- ومنها ما هو مسنون سنة مستحبة كالذبح للضيف.

❑ ومنها ما هو مُباحٌ كذبح الإنسان لنفسه وأهل بيته.

❑ ومنها ما هو مُحرم كالذبح في المآتم، ولكنه لا يكون شركًا بل يكون بدعة.

❑ ومنها ما هو شركٌ بالله شركًا أكبر كالذبح لغير الله ﷻ بأن يريق دم الدابة التي خلقها الله ﷻ يريقه لغير الله، فهذا شركٌ أكبر سواءٌ كان لقبرٍ أو وليٍّ أو جنِّيٍّ أو غير ذلك من المعبودات بغير حق.

قوله: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي حياتي لله فهي من الله موهوبةٌ للعبد ليعبد الله فيها، ويجب أن تكون لله، وكذلك الموت الذي هو سلب الحياة، وانتقالٌ للبرزخ كل ذلك لله.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ أي ليس له شريك في إحياء العبد بعد موته أي بعد أن يكون ميتًا، ولا إماتته بعد الحياة، ولا رزقة في حال الحياة، ولا التصرف فيه في هذه الأوقات كلها.

وقوله تعالى: ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ أمرٌ من ربي عليَّ بأن أكون موحدًا، وأدعو إلى التوحيد وأنبذ الشرك، ويؤكد هذا المعنى قول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [غافر: ٦٦].

وقوله ﷻ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ أي: اجعل صلاتك لربك، أي ركوعك، وسجودك، وقيامك، وقعودك، وذكرك، وأفعالك، اجعلها لربك ﷻ دون غيره، وفي ضمن هذا نهيٌ عن الشرك الأكبر، والشرك الأصغر الذي هو الرياء.

قوله: ﴿وَانْحَرْ﴾: أي اجعل نحرك لله ﷻ بمعنى أن يكون نحرك في طاعته بألا تنحر إلا له، وفيما أباح لك أو أوجب عليك أو سنَّه لك كما تقدم في شرح النسك، ومن أهل العلم من جعل هذه الآية نازلةً في صلاة العيد،

ونحر الأضاحي، والقول بأنها عامةٌ هو الأولى.

ثم أورد حديث علي بن أبي طالب ﷺ قال: «حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «**لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى مُحدثًا، لعن الله من غيَّر منار الأرض**».

وقد حوى هذا الحديث أربعة أمور محرمة:

١ - أولها وأعظمها جرمًا، وأكبرها آثارًا على العبد - إن فعله - الذبح لغير الله:

فقد لعن الله من ذبح لغيره، ومن الأمور البديهية أن الله هو الذي خلق الدابة، وغذَّاها بما تتغذى به، وأوجد فيها هذا الدم، فإذا أرقته لغيره، فإنك تكون قد اعتديت اعتداءً عظيمًا، وظلمت ظلمًا كثيرًا بإزهاقك روح الدابة لغير خالقها، وإراقتك لدمها لغير من خلقه فيها، فلذلك استحق اللعنة من فعل ذلك، ووجب عليه الخلود في النار لقوله - جل من قائل - على لسان عبده ورسوله عيسى ابن مريم حين قال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

٢- ثم بعد الشرك في القبح، والحرمة، والبشاعة، والفظاعة: أن يلعن العبد والديه:

واللعنة دعوة على الملعون بالبُعد من رحمة الله، وحلول الغضب عليه، ونزوله به لأنه تناسى ما قدَّمه والداه له من رأفةٍ، ورحمةٍ، وحنانٍ، وعطفٍ، وتربيةٍ، وحرص على ما ينفع ابنهما، فمن لعن والديه فإنه قد تعرض لغضب الله ثم لغضب والديه، لتنكره للمعروف، ومعاملته لوالديه بما لا يجوز أن يعاملا به، وقد يستغرب أن يلعن الرجل والديه، ولقد استغرب الصحابة ذلك، فسألوا رسول الله ﷺ كيف يلعن الرجل والديه؟

قال: «**يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه؛ فيسب أمه**»[٤٤]، فبتسببه في لعن والديه كان كمن لعنهما، وهذا موجبٌ لغضب الله.

٣- الخصلة الثالثة قوله ﷺ: «لعن الله من آوى محدثًا»:

المحدث: هو الذي عمل عملًا منكرًا في الشرع كالزنا إذا تظاهر به، وعمل الفواحش إذا أظهرها، وما أشبه ذلك من الأمور، فمن أعانه على هذا المنكر أو آواه، وساعده، ونصره، وأراد أن يدفع عنه ما يحكم عليه به من حدٍّ أو تعزيرٍ، والتماس الحيل لإسقاط ذلك، فإنه يعتبر مؤيًا للمحدثين، ومستحقًّا للعنة؛ لأن الإيواء معناه النصرة.

ويدخل في الإحداث ابتداعٌ لبدعٍ، وجعلها شرعًا في دين الله، وقد قال النبي ﷺ: «**كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[٤٥]، فالبدع إحداثٌ وأي

---

(٤٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: الأدب، باب: لا يسب الرجل والديه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٤٥) الحديث أخرجه الإمام مسلم في باب: الصلاة والخطبة بدون لفظة: «وكل ضلالة في النار» وكذا أخرجها بنحو ذلك ابن أبي شيبة في «مصنفه» في (ج٦/ ٤٧٣) برقم (٣٣٠٣٨) والبيهقي في «السنن الكبرى» في (ج٣/ ٢١٤) برقم الحديث (٥٥٩١) و(٢٠١٢٥) وابن خزيمة في «صحيحه» في (ج٣/ ١٤٣) وابن حبان في «صحيحه» في (ج١/ ١٧٨)، باب: ذكر وصف الفرقة الناجية من بين الفرق رقم الحديث (٥) وأخرجه الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» في كتاب: العلم في (ج١/ ١٧٤) برقم (٣٢٩-٣٣٣) والدارمي في باب: اتباع السنة رقم الحديث (٩٥) وابن ماجه في (١/ ١٥) برقم الحديث (٤٢) وأبو داود (ج٤/ ٢٠٠) برقم الحديث (٤٦٠٧) والنسائي «المجتبى» في (ج٣/ ١٨٨) برقم (١٥٧٨)، وأما رواية: «**ضلالة في النار**» فقد أخرجها البيهقي في «السنن الكبرى» في باب: كيف الخطبة في (ج١/ ٥٥٠) برقم الحديث (١٧٨٦) ورقم (٥٨٩٢) والحديث قد صححه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» في (ج١/ ٤٩٩) برقم (٢٥٤٩) وأحال إلى «الإرواء» برقم (٢٤٥٥) و«شرح الطحاوية» (٥٠١) و(٧١٥) و«السنة» (٣١) و(٥٤) وقال محقق «الإبانة الكبرى» الشيخ رضا بن نعسان في الكتاب الأول الإيمان (ج١/ ٣٠٥) الحديث صحيح صححه كما تبين جماعةٌ من أكابر المحدثين وحسنه بعضهم، ولم يطعن فيه طاعن، =

إحداث، والعمل بالبدع، ونشرها وإيواء أهلها، وإعانتهم، ونصرتهم كل ذلك إحداثٌ في دين الله ﷻ، وموجبٌ لسخط الله على من فعله، ومن ذلك بدعة الخوارج الإرهابيين؛ الذين يسفكون الدماء، ويزهقون الأرواح، ويتلفون الأموال، ويخيفون الآمنين، ويعصون الدولة، فمن أعان هؤلاء أو تستر عليهم أو التمس لهم العذر؛ فإنه قد آوى المحدثين، واستحق هذا الوعيد.

٤- الخصلة الرابعة: تغيير منار الأرض:

أي نقله من مكان إلى مكان، زاعمًا أن هذا هو حدُّ الجار مضيفًا إلى ملكه ما أخذه من حق جاره؛ مؤثرًا للدنيا على الآخرة، أما حديث طارق ابن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «**دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب...**» الحديث، **وأقول**:

أولًا: إن هذا الحديث في صحة رفعه إلى النبي ﷺ نظر، والأقرب أنه يصح موقوفًا.

ثانيًا: أن الله ﷻ أخبرنا بأن المكره لا يؤاخذ حتى ولو أظهر كلمة الكفر.

ثالثًا: في هذا الحديث أن ذلك الرجل الذي قدَّم الذباب، ودخل النار بسببه، مع أنه في الصورة كان مُكرهًا، فكيف يجمع بينهما؟.

والجواب: أن المؤاخذة تكون بما في القلوب، فمن قال كلمة الكفر بلسانه، وهو غير مؤمن بها في قلبه، بل قالها مكرهًا، فإنه لا يؤاخذ بذلك ويبقى على إسلامه، لكن هذا الذي قدم الذباب قدَّمه معتقدًا ذلك بقلبه أي معتقدًا جواز تقديمه لذلك الصنم غير منكر له، فلذلك أخذ لكونه دخل في

= وإن حصل ذلك في بعض طرقه.

الشرك، مقرًّا له مؤمنًا به، فهذا هو السبب الذي جعله يؤاخذه به.

رابعًا: من رأى جواز الشرك، واعتقد بأنه يجوز تقديم مثل هذا لغير الله، فهو مشرك، ويُعاقب على شركه، ولم يكن تقديمه من باب الإكراه.

نسأل الله أن يصلح الأحوال، وأن يرزقنا مخافته، والعمل بطاعته، واجتناب ما يغضبه، إنه جواد كريم، برٌّ رؤوفٌ رحيم.

(١٠) بابٌ لا يُذبح لله بمكانٍ يُذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾[٤٦] الآية [التوبة: ١٠٨].

عن ثابتِ بن الضَّحاك رضي الله عنه قال: نذر رجلٌ أنْ ينحر إبلًا ببُوانة، فسأل النبي ﷺ، فقال: «**هل كان فيها وَثَنٌ من أوثان الجاهليةِ يُعبد؟**». قالوا: لا. قال: «**فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟**». قالوا: لا. فقال رسولُ الله ﷺ: «**أوْفِ بنذرِك، فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابنُ آدم**»[٤٧]. رواه أبو داود، وإسنادُه على شرطهما.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾.

الثانية: أن المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة.

الثالثة: رَدُّ المسألة المشكلة إلى المسألة البيّنة ليزول الإشكال.

الرابعة: استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك.

---

(٤٦) المراد بالقيام في مسجد الضرار أي الصلاة فيه كما قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية (ج٢/ ٤٠٣) ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبَة: الآية ١٠٨] نهيٌ له ﷺ والأمة تبعٌ له في ذلك عن أن يقوم فيه أي يصلي أبدًا . . .» اهـ.

(٤٧) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في «سننه» في كتاب: الأيمان والنذور، باب: ما يؤمر به من الوفاء بالنذور . . . الخ.

الخامسة: أن تخصيص البُقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع.

السادسة: المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية، ولو بَعْدَ زواله.

السابعة: المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم، ولو بعد زواله.

الثامنة: أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة؛ لأنه نذر معصية.

التاسعة: الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم، ولو لم يقصده.

العاشرة: لا نذر في معصية.

الحادية عشرة: لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

الشرح

قول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨]، الكلام على هذه الآية:

فيها نهيٌ من الله ﷻ لرسوله ﷺ أن يقوم في مسجد الضرار الذي بناه أهله، إرصادًا لمحاربة الله ورسوله؛ وإحياءً لذكر وفكر ذلكم الخبيث الذي حارب الله ورسوله ﷺ، وفرَّ من الإسلام حين انتشر في المدينة، وهو أبو عامر الفاسق، الذي يقال له: (الراهب)، فالمنافقون قصدوا به محاربة الله ورسوله ﷺ، وأن يتجمعوا في هذا المسجد الذي زعموا أنه مسجد للعبادة؛ لينشروا فيه أفكارهم، ويبيتوا فيه المكائد للإسلام، ونبي الإسلام، وللمسلمين، فجاءوا إلى النبي ﷺ يطلبون منه أن يصلي فيه كعادة المسلمين، فقال لهم: «**نحن الآن على سفر**»، وكان في ذلك الوقت متأهبًا للسفر إلى تبوك، فوعدهم عند رجوعه، فلما رجع، وقارب المدينة أنزل الله عليه هذه الآيات: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ

ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: ١٠٧- ١٠٨].

والتي يُبين فيها خبث أولئك القوم، ومكيدتهم للإسلام والمسلمين، فلما قدم النبي ﷺ أرسل من أحرق ذلك المسجد بعد نزول الآيات فيه.

ومن هذا يؤخذ أن أماكن العبادة لغير الله ﷻ لا ينبغي أن تجعل فيها عبادة إسلامية؛ لأنها بذلك تكون إحياءً للأماكن الشركية أو البدعية أو الأماكن المحرمة؛ التي حورب فيها الله ورسوله ﷺ، وهذه مناسبة الآية للترجمة.

وعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: «نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة، فسأل النبي ﷺ فقال: «**هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يُعبد؟**» قالوا: لا. قال: «**هل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟**» قالوا: لا. قال رسول الله ﷺ: «**أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**». [رواه أبو داود وإسناده على شرطهما].

لما جاء الذي أخبر أنه نذر أن ينحر إبلًا ببوانه، فسأل النبي ﷺ: هل في ذلك المكان وثنٌ من أوثان الجاهلية يُعبد أو عيدٌ من أعياد أهلها؟ فحدَّث أنه لم يكن فيه شيء من ذلك، فقال النبي ﷺ: «**أوف بنذرك**» ذلك أنه لو كان فيها إحياء وثن من أوثان الجاهلية أو عيدٌ من أعياد الجاهلية التي كان يُعبد فيها غير الله ﷻ لما أمره النبي ﷺ، بل لنهاه عن الوفاء في ذلك المكان.

ثم هناك مسألة:

وهو أنه إذا التزم العبد بنذر قصد به العبادة لله ﷻ، ولكن أراد أن يكون في مكان كان فيه عيدٌ من أعياد الجاهلية، أو وثنٌ من أوثانها، **فهل يسقط**

عنه النذر كليًّا، أو يسقط الوفاء في ذلك المكان، ويجب على الناذر أن يوفي به في مكان آخر سليم من هذه الأمور؟ هذا محل نظر، فالوفاء بالنذر واجبٌ، وإذا منع من أجل كيفية من كيفياته، فلا يمنع بالكلية فيما يظهر لي، بل ينقل إلى مكان سليم من عبادة غير الله.

(١١) بابٌ من الشرك النذرُ لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧].

وقوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وفي «الصحيح» عن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«مَن نذر أنْ يُطيع الله فلْيُطعه، ومن نذر أنْ يَعصي الله فلا يعصه»**(٤٨).

۞ فيه مسائل:

الأولى: وجوب الوفاء بالنذر.

الثانية: إذا ثبت كونه عبادةً لله فَصَرْفُهُ إلى غيره شِرْكٌ.

الثالثة: أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.

---

(٤٨) الحديث أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في كتاب: الأيمان والنذور، باب: النذر في الطاعة، وفي باب: النذر فيما لا يملك وفي معصية.

الشرح

النذر لغير الله ﷻ يُعتبر من الشرك الأكبر.

وتعريف النذر هو: التزام العبد بعبادة ليست واجبة عليه بحكم الشرع.

كأن ينذر أن يصلي كل ليلة بين العشاء والفجر كذا ركعة. أو ينذر أن يصوم من كل شهر كذا من الأيام، فهذا التزامٌ على نفسه لله ﷻ بعبادةٍ ليست بواجبة عليه بمحض الشرع، ولكنه هو الذي أوجبها على نفسه.

فيجب عليه أن يوفي هذا النذر الذي التزمه لله تعالى، فقد مدح الله المؤمنين بالوفاء بالنذر فقال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧]، والمراد به يوم القيامة، فالوفاء بالنذر واجب؛ إلا أن الإنسان إذا التزم بشيء لا يستطيع أداءه، ففي هذه الحالة يفتدي منه بكفارة يمين لقوله ﷺ: «**كفارة النذر كفارة يمين**»[٤٩].

وفي «الصحيح» عن عائشة ﵂: أن رسول الله ﷺ قال: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**».

يؤخذ من هذا الحديث أن النذر ينقسم إلى قسمين:

١- نذر الطاعة.

٢- نذر المعصية.

فنذر الطاعة يجب على العبد إذا التزمه أن ينفذه، وبالاستقراء نعلم أن المنذور به: إما أن يكون مستطاعًا للناذر، وإما أن يكون غير مستطاع، فلو

---

(٤٩) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب: النذر، باب: في كفارة اليمين من حديث عقبة ابن عامر ﵁.

نذر الإنسان أن يطير في الهواء بنفسه، **فهذا نذرٌ غير مستطاع**، وهذا عليه أن يفتدي منه بكفارة يمين، أما إذا كان مستطيعًا على فعله، فإنه يجب عليه أن ينفذه، ثم إما أن يكون هذا النذر في طاعة أو في معصية، فإن نذر صلاةً أو صدقةً، وجب عليه أن ينفذه، لكن إذا نذر أن يتلطخ بنجاسة مثلًا، أو يأكل سمًّا، فهذا النذر لا يجوز؛ لأن التلطخ بالنجاسة لا يجوز، وأكل السم لا يجوز، فهذا النذر لا يجوز الوفاء به؛ لأنه معصية، وكذلك لو نذر أن ينحر **ناقة فلان، فهذا نذرٌ فيما لا يملك، أو نذر أن يجعل أرضية فلان مسجدًا، فهذا نذرٌ فيما لا يملك، فلا يجوز الوفاء به؛ لأن النبي ﷺ** قال: «**وليس على ابن آدم نذرٌ فيما لا يملك**»[٥٠]، وهل على الناذر كفارةٌ في ذلك أم لا؟ هذا محلُ نظر وخلاف بين أهل العلم، والأظهر عدم وجوب الكفارة؛ لأن النبي ﷺ لم يذكر ذلك عند ذكره لعدم الوفاء في نذر المعصية، والنذر فيما لا يملك.

سبب الحديث:

ما رواه مسلم في «صحيحه»[٥١] عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ، وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلًا من بني عقيل، وأصابوا معه العضباء، فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق، قال: يا محمد، فأتاه، فقال: «**ما شأنك؟**» فقال: بم أخذتني، وبم أخذت سابقة الحاج؟ فقال: «**إعظامًا**

---

(٥٠) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» في كتاب: الأدب، باب: ما ينهى من السباب واللعن، وأخرج نحوه الإمام مسلم في كتاب: الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه وفي كتاب: النذر، باب: لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٥١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب: النذر، باب: لا وفاء لنذرٍ في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

لذلك أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف»، ثم انصرف عنه، فناداه، فقال: يا محمد، يا محمد، وكان رسول الله ﷺ رحيمًا رقيقًا، فرجع إليه، فقال: **«ما شأنك؟»** قال: إني مسلم. قال: **«لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح»**، ثم انصرف، فناداه فقال: يا محمد، يا محمد، فأتاه، فقال: **«ما شأنك؟»** قال: إني جائع، فأطعمني، وظمآن فاسقني. قال: **«هذه حاجتك»**، ففدي بالرجلين.

قال: وأُسرت امرأة من الأنصار، وأصيبت العضباء، فكانت المرأة في الوثاق، وكان القوم يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم، فانفلتت ذات ليلة من الوثاق، فأتت الإبل، فجعلت إذا دنت من البعير رغا، فتتركه حتى انتهت إلى العضباء، فلم تَرْغُ، قال: وناقة منوَّقة، فقعدت في عجزِها، ثم زجرتها فانطلقت، ونذروا بها، فطلبوها، فأعجزتهم، قال: ونذرت لله إن نجاها الله عليها؛ لتنحرنها، فلما قدمت المدينة رآها الناس، فقالوا: العضباء ناقة رسول الله ﷺ، فقالت: إنها نذرت إن نجاها الله عليها لتنحرنها، فأتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له، فقال: **«سبحان الله! بئسما جزتها، نذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها! لا وفاء لنذر في معصية، ولا فيما لا يملك العبد»**، وفي رواية ابن حجر: **«لا نذر في معصية الله»**.



(١٢) بابٌ من الشرك
الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦].

وعن خولةَ بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من نزل منزلًا، فقال: أعوذُ بكلمات الله التامَّات من شرِّ ما خلق؛ لم يضرَّه شيءٌ حتى يرحل من منزله ذلك**»(٥٢). رواه مسلم.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الجن.

الثانية: كونه من الشرك.

الثالثة: الاستدلال على ذلك بالحديث؛ لأن العلماء يستدلون به على أن كلمات الله غير مخلوقة، قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.

الخامسة: أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية ـ من كفِّ شرٍّ، أو جلب نفعٍ ـ لا يدل على أنه ليس من الشرك.

---

(٥٢) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب: الذكر والدعاء، باب: في التعوذ من سوء القضاء.

الشرح

قوله: «باب من الشرك» أي من الشرك الأكبر المخرج من الملة «الاستعاذة بغير الله».

معنى الاستعاذة: الالتجاء إلى غير الله ﷻ، يرجو منه دفع ما يضره، يقال: عذت بكذا من كذا، ولا يجوز أن يستعيذ العبد بغير الله - جل وعلا - وقد أخبر الله في سورة [الجن] بقوله سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾؛ أي يستجيرون بهم طالبين منهم دفع شر بني جنسهم.

وقد جاء في الأثر أن بعض العرب كان إذا سافر أحدهم، فنزل مكانًا في الليل يقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهائه(٥٣).

المقصود به من الجن، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ أي: فزادوهم خوفًا، وذعرًا، وتكبروا عليهم، وطغوا، ثم إن الله ﷻ أوحى ذلك إلى رسوله ﷺ، وأخبر بذلك، فقال النبي ﷺ: «**من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**».

خولة بنت حكيم بن أمية السلمية: يقال لها أمُّ شريك، ويقال له: خويلة صحابية مشهورة، يقال: أنها وهبت نفسها للنبي ﷺ، وكانت قبل تحت

---

(٥٣) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (ج٢٩/ ٦٨-٦٩) وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٢) ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر، وأخرج نحوه الإمام ابن كثير في «تفسيره» لهذ الآية عن السدي: «كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضرَّ أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي، قال قتادة: فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك» اهـ.

عثمان بن مظعون. [انظر «التقريب» برقم (٨٥٧٥)].

قوله: «**من نزل منزلًا**» أي نزل في مكان، فهذا الذكر ضمانٌ له من اعتداء الشياطين، وهو أن يقول: «**أعوذ بكلمات الله التامات**»، والمقصود بكلمات الله جمع كلمة.

قوله: «**التامات**» وصفٌ يناسب كلمات الله ﷻ، والمقصود بها الكلمات القرآنية، أو أعم من ذلك، وهي كلمات الله ﷻ، فيشمل القرآن وغيره.

ومثل ذلك ما ثبت في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى سول الله ﷺ، قال: إني محتاج، وعليَّ عيال، ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبي ﷺ: «**يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟**» قال: قلت: يا رسول الله! شكا حاجة شديدة، وعيالًا، فرحمته، فخليت سبيله، قال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**»، فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله ﷺ: إنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني، فإني محتاج، وعليَّ عيال، لا أعود، فرحمته، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك؟**» قلت: يا رسول الله! شكا حاجة شديدة، وعيالًا، فرحمه، فخليت سبيله. قال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**»، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، وهذا آخر ثلاث مرات، أنك تزعم لا تعود ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها. قلت: ما هن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما فعل أسيرك البارحة؟**» قلت: يا

رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله. قال: «**ما هي؟**» قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير، فقال النبي ﷺ: «**أما إنه قد صدقك وهو كذوب؛ تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟**» قال: لا. قال: «**ذاك شيطان**»[٥٤].

فقد أبدل الله المسلمين عما كان يعمله أهل الجاهلية أبدلهم بقوله هذا: «**من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**».

وفي قوله: «**التامات**» في وقوعها، وتاماتٌ في صدقيتها، وتاماتٌ من حيث إن الواجب امتثالها، امتثال أمرها إن أمرت، وامتثال نهيها إن زجرت، وأن من لم يؤمن بها، فإنه لا أمان له، وسيلقى جزاءه بعد الموت، وفي البرزخ، ويوم القيامة، وقد جاء في الآية الأخرى قوله -جل وعلا-: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝١١٥﴾ [الأنعام: ١١٥].

كلمة الله موصوفة بالتمام؛ تمام الصدق، والمصداقية؛ لقوله: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا﴾ أي أنها صدقٌ لا كذب فيه، وعدلٌ لا جور فيه، وذلك أن كلمة أهل الصدق من أتباع الرسل وهم المؤمنون يدخلها قلة الصدق من حيث قلة المعلومية، فالمؤمن قد يقول قولًا فيظن أنه صادق، ولكن يدخل في قوله ما يكون خلاف الواقع، فيتخلف الصدق فيه من حيث لا يشعر

(٥٤) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» في كتاب: الوكالة، باب: إذا وكل رجلًا فترك الوكيل شيئًا فأجازه الموكل فهو جائز وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز، وفي كتاب بدء الخلق، باب: في صفة إبليس وجنوده.

قائله، مع أن قائله ممن يتوخون الصدق، ويحتاطون له، وكذلك أيضًا يدخل في كلام المؤمنين الذين هم أهل الصدق، والمتحلين به ما يظن القائل أنه عدلٌ كله، ويدخله شيء من الجور، الذي لا يعلمه القائل بحيث تضعف معلوميته عنه.

أما كلام الله ﷻ فإنه يستلزم تمام الصدق، وتمام العدل، لكمال علمه جل وعلا، وكمال عدله ﷻ، فهذا معنى قوله: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**».

وقد ذكر الأصفهاني في كتاب «الحجة»: «أن الشياطين تآمرت على النبي ﷺ وأردوا أن يمنعوه من صلاته أو يقطعوها عليه، فنزلت شياطين كثيرة يتقدمهم شيطان مارد معه شعلة من نار، أو قال: شهاب من نار، فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فعلَّمه هذه الكلمات الآتية: «**أعوذ بكلمات الله التامات، اللاتي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر من شر ما خلق، وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر طوارق الليل والنهار، إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن**»[٥٥]، فقالها، فانطفأت مشاعل تلك الشياطين، وشهبهم، ورجعوا خائبين مدحورين، فالحمد لله على ما عوض به عباده المؤمنين، وبينه لهم من الالتجاء إليه والاستعاذة بكلماته التامة.

يؤخذ من هذا الحديث:

١- دليلٌ على أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

وقد قال بعض السلف: إن من قال: «إن القرآن مخلوق، فقد

(٥٥) الحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسند المكيين» [بترقيم إحياء التراث]: رقم الحديث (١٥٠٣٥) من حديث عبد الرحمن بن خنبش رضي الله عنه، وأورده الإمام مالك عن يحيى بن سعيد في «موطأ الإمام مالك بن أنس» في كتاب: الجامع، باب: ما يؤمر به من التعوذ.

كفر»[٥٦].

٢- يؤخذ منه أن الاستعاذة بالجن أو غيرهم محرم، وأنه شركٌ أكبر يخرج من الملة، وذلك أنه إذا زعم أن الشياطين تدفع عنه ما لا يدفعه إلا الله ﷻ، أو زعم أن لها قدرة تساوي قدرة الله أو تزيد عليها؛ فقد كفر كفرًا يخرجه من الملة.

٣- أن من استعاذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق أعاذه الله، فلم يضره شيء في منزله الذي قال فيه هذا الكلام عند نزوله حتى يرتحل من منزله ذلك.

٤- أن من قالها في الصباح حفظه الله إلى المساء، ومن قالها في المساء حفظه الله إلى الصباح، ومن قالها عند النوم حفظه الله إلى أن يستيقظ.

٥- يؤخذ منه أن الله عوض المسلمين من التعوذات التي كان يتعوذها أهل الجاهلية بهذه التعوذات الخيرة النافعة؛ التي تدفع الشيطان عن العبد المسلم، وتمنعه من شره، وتحقق توحيده لله ﷻ.

٦- يؤخذ منه فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.

---

(٥٦) قال الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الحجري المصري الطحاوي نسبةً إلى طحا قريةٌ من قرى صعيد مصر في كتابه الجليل «العقيدة الطحاوية»: «وإنَّ القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولًا وأنزله على رسول وحيًا وصدقه المؤمنون على ذلك حقًّا وأيقنوا أنَّه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقال الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري في كتابه «شرح السنة»: «والقرآن كلام الله وتنزيله، ونوره وليس مخلوقًا لأن القرآن من الله وما كان من الله فليس بمخلوق، وهكذا قال مالك بن أنس وأحمد بن حنبل، والفقهاء قبلهما، وبعدهما والمِرَاءُ فيه كُفر» اهـ.

ملحوظة:

الاستعاذة بالمخلوق والاستجارة به جائزة، فيما يقدر عليه، لكن قبل ذلك ينبغي للإنسان أن يقول: استجرت بالله ثم بك، أو استعذت بالله ثم بك، أو لجأت إلى الله ثم إليك أن تقضي لي حاجتي، أو تدفع عني كذا، فإن فعل ذلك مع اللجوء إلى الله ﷻ، فإنه لا يكون مشركًا، بشرط أن يكون فيما يقدر عليه العبد.



(١٣) بابٌ من الشرك أنْ يَستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ الآيتين [يونس: ١٠٦-١٠٧].

وقوله: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ الآية [العنكبوت: ١٧].

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآية [الأحقاف: ٥].

وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

وروى الطبرانيُّ بإسناده: أنَّه كان في زمن النبي ﷺ منافقٌ يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيثُ برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: **«إنه لا يُستغاث بي، وإنما يُستغاث بالله»**(٥٧).

---

(٥٧) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣١٧) برقم (٢٢٧٥٨) بلفظ: «حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا موسى بن داود ثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح أن رجلًا سمع عبادة بن الصامت يقول خرج علينا رسول الله ﷺ فقال أبو بكر ﷺ: قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ: **«لا يقام لي إنما يقام لله تبارك وتعالى»** قال الشيخ الوليد ابن عبد الرحمن آل فريان الفريان في تحقيقه لـ «فتح المجيد»: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٩) وقال: رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٣٨٧) عن عبادة بلفظ: **«إنَّه لا يقام لي بل يقام لله تبارك وتعالى»** قال الحافظ ابن تيمية في كتاب: «الاستغاثة» (١٥٢) وهو صالح للاعتضاد، ودلَّ على معناه الكتاب والسنة» اهـ.

فيه مسائل:

الأولى: أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص.

الثانية: تفسير قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾.

الثالثة: أنِ هذا هو الشرك الأكبر.

الرابعة: أن أصلح الناس لو يفعله إرضاءً لغيره صار من الظالمين.

الخامسة: تفسير الآية التي بعدها.

السادسة: كون ذلك لا ينفع في الدنيا، مع كونه كفرًا.

السابعة: تفسير الآية الثالثة.

الثامنة: أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أن الجنة لا تُطلب إلَّا منه.

التاسعة: تفسير الآية الرابعة.

العاشرة: أنه لا أضل ممّن دعا غير الله.

الحادية عشرة: أنه غافل عن دعاء الداعي، لا يدري عنه.

الثانية عشرة: أن تلك الدعوة سبب لبغض المَدْعو للداعي، وعداوته له.

الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة عبادةً للمَدْعوِّ.

الرابعة عشرة: كفر المَدْعوِّ بتلك العبادة.

الخامسة عشرة: أن هذه الأمور هي سبب كونه أضلّ الناس.

السادسة عشرة: تفسير الآية الخامسة.

السابعة عشرة: الأمر العجيب؛ وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلَّا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

الثامنة عشرة: حماية المصطفى ﷺ حِمىٰ التوحيد، والتأدّب مع الله ﷻ.



الشرح

الاستغاثة: هي دعاء المكروب، والذي يكون في شدة، وهي تنقسم إلى قسمين:

١- استغاثةٌ بالمخلوق الحي فيما يقدر عليه، وهي استغاثةٌ جائزة.

٢- استغاثةٌ بالميت أو بالحي فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهذه استغاثةٌ محرمة، وهي شرك أكبر مُخرج من الملة.

ومن الجائزة قول الله ﷻ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]، فقد حكى الله ﷻ هذه الاستغاثة حكاية إقرار لها؛ لأن ذلك الإسرائيلي استغاث بموسى فيما يقدر عليه، فضرب القبطي، فمات.

ومن هذه القصة التي حكاها الله ﷻ عن موسى ومن استغاثه، والمستغاث عليه نأخذ: أن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه أو يظن أنه يقدر عليه أن هذه الاستغاثة جائزة.

أما الاستغاثة المحرمة فهي استغاثةٌ بالميت، ومن في حكم الميت من

الأحجار والأخشاب والأصنام، وكذلك الاستغاثة بالحي فيما لا يقدر عليه إلا الله كإنزال المطر، وردِّ الضالة، وشفاء المرضى وغير ذلك من الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله، فالاستغاثة بالمخلوق في هذه الأمور شركٌ أكبر، والله ﷻ هو الذي يستجيب لعباده، ويكشف عنهم الكرب، ويسهل لهم الصعوبات، وعلى ذلك دلت الآيات القرآنية في استنكارها للاستغاثة بغير الله كقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾، والآية التي بعدها، وكقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، كل هذه الآيات تنهى المشركين عن دعوتهم لغير الله، واستغاثتهم بمن لا يقدر على أن يغيثهم بشيء مما طلبوه.

لكن الاستغاثة بالله هي الأمر المطلوب، وهو وحده الذي يقدر على إجابة دعوتك، وتفريج كربتك، وإعطائك ما تطلب، وإنجائك مما ترهب، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾... الآية [الأنفال: ٩].

وقد أنكر الله ﷻ على من زعم أن المدعوين من دون الله يستجيبون لمن دعاهم، ويجلبون لهم ما يريدون، ويكشفون عنهم الكربة، فقال مستنكرًا: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾... فكل هذه الآيات تفيد تحريم دعاء غير الله ﷻ، وأنه شرك أكبر.

أما ما رواه الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «**إنه لا يُستغاث بي، وإنما يُستغاث بالله ﷻ**».

فأولًا: أن الحديث في سنده ابن لهيعة، وقد احترقت كتبه، فاختلط؛ لذا فإنا نشك في صحة هذا الحديث.

ثانيًا: على فرض صحته، فإن النبي ﷺ كره هذا التعبير، وهو قوله: «**قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ**»، فلو قال: نستعين برسول الله ﷺ في دفع إيذاء هذا المنافق لكان خيرًا لهم من التعبير بـ[نستغيث]؛ علمًا بأنه قد تقدم بأن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزة، وإنما الاستغاثة المحرمة هي الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق، ولكن صيغة الاستغاثة بالمخلوق هذا هو المستنكر، والله تعالى أعلم؛ لأن أصحاب رسول الله ﷺ علمهم الله وعلمهم رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - بما ينبغي أن يقال من الألفاظ.



(١٤) بابُ قول الله تعالى:
﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾

قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ الآية [الأعراف: ١٩١ ـ ١٩٢].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣﴾ الآية [فاطر: ١٣].

وفي «الصحيح» عن أنسٍ قال: شُجَّ النبيُّ ﷺ يوم أُحد، وكُسرت رَباعيته، فقال: «**كيف يُفلحُ قومٌ شجُّوا نبيَّهم؟**». فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾(٥٨) [آل عمران: ١٢٨].

وفيه عن ابن عمر ﭭ؛ أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول ـ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر ـ: «**اللهمَّ الْعَن فُلانًا وفُلانًا**»، بعد ما يقول: «**سَمِع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد**». فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية.

وفي رواية: يدعو على صَفوان بن أمية، وسُهيل بن عمرو، والحارث بن هشام. فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾(٥٩).

---

(٥٨) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: المغازي، باب: ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد، والإمام مسلمٌ في كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة أحد.

(٥٩) أخرجه الإمام البخاري في كتاب: المغازي، باب: قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٢٨].

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسولُ الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] فقال: «**يا معشر قريش! ـ أو كلمةً نحوها ـ اشتروا أنفسكم؛ لا أُغني عنكم من الله شيئًا، يا عباسُ بن عبد المطلب! لا أُغني عنك من الله شيئًا، يا صفيةُ عمَّةَ رسول الله ﷺ! لا أُغني عنكِ من الله شيئًا، يا فاطمة بنت محمد! سَليني من مالي ما شئت، لا أُغني عنكِ من الله شيئًا**»(٦٠).

❁ فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أُحد.

الثالثة: قُنوت سيد المرسلين وخلْفَهُ ساداتُ الأولياء، يؤمِّنُون في الصلاة.

الرابعة: أن المدْعوّ عليهم كفّار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار، منها شجّهم نبيهم وحرصهم على قتله، ومنها التمثيل بالقتلى، مع أنهم بنو عمّهم.

السادسة: أنزل الله عليه في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾.

السابعة: قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾؛ فتاب عليهم فآمنوا.

الثامنة: القنوت في النوازل.

(٦٠) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: التفسير، باب: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢١٤]، والإمام مسلم في كتاب: الإيمان، باب: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢١٤].

التاسعة: تسمية المدعوّ عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة: لعن المعيّن في القنوت.

الحادية عشرة: قصته ﷺ لما أُنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾.

الثانية عشرة: جِدُّه ﷺ؛ بحيث فَعَل ما نُسِبَ بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن.

الثالثة عشرة: قوله للأبعد والأقرب: «**لا أُغني عنك من الله شيئًا**»، حتى قال: «**يا فاطمة بنت محمد! لا أُغني عنكِ من الله شيئًا**». فإذا صرّح ـ وهو سيا المرسلين ـ بأنه لا يغني شيئًا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه لا يقول إلَّا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم؛ تبيّن له التوحيد وغُربةُ الدين.



الشرح

قوله: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾.

الهمزة في قوله: ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ للاستفهام الإنكاري، ومضمونه أن الله ﷻ ينعى على المشركين كونهم يشركون ما لا يخلق شيئًا وهم يخلقون، وقد تضمن هذا ذمًّا للمشركين في كونهم يجعلون تلك الآلهة المصطنعة شريكة مع الله، وهي لا تخلق شيئًا، فلم تخلق نفسها بنفسها، ولم تخلق غيرها، وكان مشركو ذلك الزمن لا يعتقدون أن الآلهة تُخلق، ولا تقدر على خلق غيرها، ولم تخلق نفسها، فالمشركون في ذلك الزمن مقرون بهذا معترفون به، عالمون بأن تلك الآلهة عاجزة أن تفعل شيئًا من قبل نفسها، ولكن تدخل عليهم الشبهة بكونهم يعتقدون أن تلك المعبودات صورٌ لأناسٍ صالحين يستجيب الله دعائهم، ويقبل شفاعتهم فيما شفعوا فيه، فإن طلب منهم نصرٌ فإنهم يطلبونه من الله، والله لا يرد لهم طلبًا، وهذه خدعةٌ شيطانية، وحليةٌ إبليسية؛ كم خدع الشيطان العباد بمثلها، ونسوا أن تلك المعبودات لا تسمع دعائهم، ولا تقدر على إجابتهم، وإسعافهم بما يطلبونه، وأن الله ﷻ هو الذي يسمع دعائهم، وهو الذي يقدر على إجابتهم، وكان الواجب عليهم أن يتركوا تلك المعبودات التي لا تسمع، ولا تبصر، ولا تنطق، وأن يتوجهوا بعبادتهم إلى الله الذي يقدر على ذلك، فهو الذي يخلق، وهو الذي يرزق، وهو الذي يحيي، وهو الذي يميت، وهو الذي يمرض، وهو الذي يشفي من المرض، وهو الذي يغني، وهو الذي يسلب الغنى، ويجعل من يشاء فقيرًا، وهو الذي أوجد الحياة، وهو الذي يسلبها، وهو الذي يسعد بالهداية إلى أسباب السعادة، وهو الذي يشقي بخذلان العبد، وتسليط الشيطان عليه حتى يكون شقيًّا.

إذن؛ فالواجب على كل عبدٍ أن يتوجه بالطلب إلى الله وحده دون سواه، وقد أشار إلى عجز تلك الآلهة، وعدم قدرتها بقوله: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾.

ثم أورد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ دليلًا آخر على عجز الآلهة، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ بعد أن أخبر الله تَعَالَىٰ بشيء من أنواع قدرته بقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾... إلى أن قال بعد ذكر أنواع من قدرته وملكه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

والمراد بالقطمير: هي القشرة التي تكون على النواة، ثم قال مخبرًا بعيربهم وعجزهم وضعفهم، أي عيوب تلك الآلهة التي اصطفوها، وأعطوها حق الألوهية فقال: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ أي: حتى ولو سمعوا دعائكم بأن كانوا أحياءً، فإنهم لا يملكون الإجابة، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١١- ١٤]؛ أي بدعائكم إياهم دون الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: وفي «الصحيح» عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «شُجَّ النبي ﷺ يوم أُحُد، وكُسرت رباعيته، فقال: **«كيف يُفلح قومٌ شجوا نبيهم»**، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

يُستفاد من هذا الحديث عدة مسائل:

١- أن الله عَزَّوَجَلَّ قد يبتلي أوليائه والمحبوبين إليه بأنواع من البلوى، وإذا كان النبي ﷺ الذي هو أحب الخلق إلى الله، وأكرمهم عليه، وأوجههم عنده جاهًا ابتلاه حتى شجه قومه، وكسروا رباعيته، فغيره من باب أولى.

٢- أن في ضمن هذا الابتلاء رفعة للنبي ﷺ، وعلو شأنٍ له حتى يجمع بين الصبر في حالة البلاء والشكر في حالة النعمة.

٣- يؤخذ منه ردٌّ على الصوفية فيما يزعمونه من الكرامات لشيوخهم، حيث يقول بعض أصحاب الطريقة الرفاعية: «إنه من كرامة الله لأصحاب الطريقة الرفاعية أن الواحد منهم يضرب بالشيش أو السيف من ظهره حتى ينفذ من صدره، ثم يسحب منه ولا جُرح ولا ضرر»[٦١]، وهذا من الكذب والدجل والتضليل.

٤- أن النبي ﷺ ما نال ما نال من الكرامة، والنصر إلا بعد إيذاءٍ، وابتلاءٍ كبير.

٥- يدل ذلك أنه ليس لأحد من الخلق تصرفٌ في ملك الله، وأن الله هو الذي يتصرف في ملكه دون غيره.

٦- يؤخذ من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ ردٌّ على الصوفية الذين يزعمون أن بعض آلهتهم جعل الله لهم التصرف في الكون، وهذه عقيدة الصوفية الغالية في هذا الزمن، ويسمون أولئك بالمُدَّرِّكين - أي المتعهدين بالكون - أو المتصرفين ما أكذبهم، وما أجرأهم على الكذب، وما أضلهم، فإن الأنعام تعرف ربها خيرٌ من أولئك - عليهم من الله ما يستحقون -.

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: **«اللهم العن فلانًا وفلانًا»** بعد ما يقول: **«سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد»**، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾، وفي رواية: «يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾».

أي يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، وقد علم الله أن أولئك سيكونون من أنصار دينه، وفعلًا فقد وفقهم الله

(٦١)انظر «تربيتنا الروحية» لسعيد حوى (ص٢١٨).

للإسلام فأسلموا: منهم أبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، وصفون ابن أُمية، والحارث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، وهذا يدل على أن النبي ﷺ ليس له من الأمر شيء، فضلًا عن غيره، وأن الأمر كله لله، وأن الملك كله لله، وأن التصرف كله لله، يفعل ما يشاء، فيعز ويذل، ويملك ويسلب، ويغني ويفقر، ويُحيي ويُميت، وكل شيء بيده يكتب لمن شاء السعادة فضلًا، ويكتب على من شاء الشقاوة عدلًا، لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون، وإذا كان النبي ﷺ لا يقدر على فعل شيء، فإن غيره من باب أولى.

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾، فقال: «**يا معشر قريش** - أو كلمةً نحوها - **اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب: لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمَّة رسول الله: لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا**».

واشتراء أنفسهم يكون بالإيمان بالله، ومتابعة رسوله ﷺ وبدون ذلك ليس هناك شيء يغني عن العبد فلا تغني قرابته من الأولياء والأصفياء، ولو كانوا من أولي العزم، فقد أخبر الله ﷻ أن نوحًا لم يغن عن ابنه شيئًا، وأن إبراهيم لم ينفع أباه؛ أي لم يستطع نفعه، فلم يملك هدايته في الدنيا، ولم يملك إنجائه يوم القيامة من النار، ورسول الله ﷺ لم يملك نفع والديه، ولا رفع العذاب عنهما، بل إنه صلوات الله وسلامه عليه قد أخبر أنهم من أهل الشقاوة، فقال: «**استأذنت ربي في أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور، فإنها تُذكر الموت**»[٦٢].

(٦٢) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» في كتاب: الجنائز، باب: استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال جوابًا لمن قال له: أين أبي؟ قال: «**في النار**»، قال: فأردت أن أقول: وأبوك يا رسول الله؟ فرأيت الأخرى أجمل، فقلت: وأهلك يا رسول الله؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**إن أبي وأباك في النار، بربك إذا ما مررت بقبر قرشي أو ثقفي، فقل له: إن رسول الله ﷺ يُبشرك بالنار**»(٦٣).

معناه: أن أهل الفترة في النار، وأنهم لا يعذرون بجهلهم؛ لأن الجهل بالعقيدة لا يعذر فيه، وأن الأحاديث الواردة في الامتحان يوم القيامة أنها لا تعم أهل الفترة، يمكن أنها تكون في المجنون الذي خُلق مجنونًا، وما أشبه ذلك.

وقد زعم قوم أن الله ﷻ أحيا أبوي النبي ﷺ فآمنا به، واعتد من قال ذلك على حديث موضوع، وهذا الحديث باطل وموضوع، والحديثان الأولون في «صحيح مسلم» علمًا بأن الإيمان لا يكون إلا في الحياة الدنيوية، فلو مات الإنسان على اعتقاد شيء من الشرك، فإنه يكون خالدًا مخلدًا في النار، ولا تغني عنه قرابة قريب، وإن كان القريب من أفضل الخلق عند الله وأحبهم إليه، فالإيمان بعد تجاوز الحياة الدنيا لا يكون إيمانًا نافعًا حتى إن التوبة لا تُقبل بعد الغرغرة، قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر: ٨٥].

---

(٦٣) الحديث ورد عند الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» برقم (٨٦٨٣) (ج٤/ ٦٠٥) وفي «مسند الإمام أحمد» برقم (١٦٢٥) في (ج٤/ ١٣) وأخرج بنحوه الإمام مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين بلفظ: عن أنس أن رجلًا قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: «**في النار**» فلمَّا قفى دعاه فقال: «**إن أبي وأباك في النار**».

(١٥) بابُ قول الله تعالى:
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]

في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمرَ في السماء ضربت الملائكةُ بأجنحتها خضَعانًا لقوله، كأنه سلسلةٌ على صفوان، يَنْفُذُهم ذلك، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾. فيسمعها مُسترقُ السمع، ومسترقُ السمع هكذا بعضُه فوق بعض** ـ وصَفَه سفيانُ بكَفه؛ فحرَّفها وبدَّد بين أصابعه ـ، **فيسمعُ الكلمةَ فيلقيها إلى مَن تحته، ثم يُلقيها الآخرُ إلى من تحته، حتى يُلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشّهابُ قبل أنْ يلقيها، وربما ألقاها قبل أنْ يُدركه، فيكذبُ معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيُصدَّق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء**»(٦٤).

وعن النوَّاس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله تعالى أنْ يُوحي بالأمر تكلَّم بالوحي، أخذت السموات منه رَجفةٌ** ـ أو قال: رَعدةٌ ـ **شديدةٌ، خوفًا من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهلُ السموات صُعقوا وخرُّوا لله سُجَّدًا، فيكون أوَّلَ من يرفع رأسه جبريلُ، فيكلمه الله من وحيه**

(٦٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر: الآية ١٨] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفي باب: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: الآية ٢٣] وفي كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: الآية ٢٣].

بما أراد، ثم يمرّ جبريل على الملائكة، كلّما مرَّ بسماءٍ سأله ملائكتُها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قال الحقَّ، وهو العليُّ الكبير، فيقولون كلُّهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريلُ بالوحي إلى حيث أمره الله ﷻ»(٦٥).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصًا ما تعلّق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

الثالثة: تفسير قوله: ﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة: أن جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله: «قال: كذا وكذا».

السادسة: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل.

السابعة: أنه يقول لأهل السموات كلهم؛ لأنهم يسألونه.

---

(٦٥) الحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسند الشاميين» في (ج١/ ٣٣٦) برقم الحديث (٩٩١) وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في «فتح المجيد»: «رواه ابن أبي حاتم بسنده كما ذكره العماد ابن كثير»، وقال الشيخ الدكتور الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان في تحقيقه لكتاب: «التوحيد» (ج١/ ٣٤٨): «انظر تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٠٤) وأخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٢/ ٩١) ابن خزيمة في كتاب: «التوحيد» رقم (٢٠٦) وأبو زرعة في «تأريخه» (١/ ٦٢١) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥١٥) والآجري في «الشريعة» (٢٩٤) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٠٢) والطبراني كما في «فتح الباري» (٨/ ٥٣٨) وابن مردوية وأبو الشيخ في «العظمة» كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦٩٨). اهـ.

الثامنة: أن الغشي يعم أهل السموات كلهم.

التاسعة: ارتجاف السموات لكلام الله.

العاشرة: أن جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله.

الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين.

الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضًا.

الثالثة عشرة: إرسال الشهب.

الرابعة عشرة: أنه تارة يدركه الشهابُ قبل أن يُلقيها، وتارة يلقيها في أُذن وليِّه من الإنس قبل أن يدركه.

الخامسة عشرة: كون الكاهن يَصدُق بعضَ الأحيان.

السادسة عشرة: كونه يكذب معها مائة كذبة.

السابعة عشرة: أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء.

الثامنة عشرة: قبول النفوس للباطل؛ كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة؟!

التاسعة عشرة: كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة، ويحفظونها، ويستدلون بها.

العشرون: إثبات الصفات؛ خلافًا للأشعرية المعطلة.

الحادية والعشرون: أن تلك الرجفة والغشي؛ خوفًا من الله ﷻ.

الثانية والعشرون: أنهم يَخِرُّون لله سُجَّدًا.



الشرح

معنى ﴿فُزِّعَ﴾ أي زال عنها الفزع، والمراد بهم الملائكة كما في الأحاديث، فإذا رُدَّت إليهم عقولهم ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ﴾، قال بعضهم لبعض هو ﴿ٱلْحَقَّۖ﴾ أي قال ربنا كذا.

قوله: «**خضعانًا**» المراد به خضوعًا لربهم، وخوفًا من جلاله.

قوله: «**كأنه سلسلة على صفوان**» الصفوان هو الحجر الأملس، وإذا جرت عليه السلسّلة سمع لها صوت.

قوله: «**ينفذهم**» أي يسمعونه جميعًا.

قوله: «**فيسمعها مسترق السمع**»، والمراد به مسترق السمع من الجن، وتضمن الحديث وصف كونهم يسترقون السمع، وذلك بأن الجن روحانيون - يعني أرواح الله أعلم كيف خلقها - فيهم خفة، فيركب بعضهم بعضًا حتى يصلون فوق العنان - أي فوق السحاب -، فيسمع مسترق السمع الكلمة، فيلقيها على من تحته، ثم يلقيها الآخر على من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها - أي الكاهن - مائة كذبة.

يؤخذ منه عدة مسائل:

❑ أن الله ﷻ يُمكن الشياطين أن يسترقوا شيئًا من السمع - أي من أخبار الملائكة - ابتلاءً لعباده، فيُصدقون الرسل، ويُكذبون الشياطين، أو يصدقون الشياطين، ويُكذبون الرسل، لكن حين بدأ القرآن ينزل طردوا من السماء، فلم يكد أحدٌ منهم يدرك سماع كلمة لكثرة الرمي بالشهب؛ خوفًا من أن يسمعوا شيئًا من القرآن، فيلقوه على لسان السحرة، والكهنة،

فيختل الأمر على الناس، ولهذا قال الله ﷻ عنهم: أنهم قالوا: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۝﴾ [الجن: ٩]. طردوا في حال نزول الوحي، وكان من حفظ الله للقرآن حين نزوله.

أما حفظه بعد نزوله: فإن الله ﷻ قد حفظه من أن يدخل فيه شيء من غيره، قد مضى من حين نزوله ألفٌ وأربعمائة عام لم يستطع أحدٌ أن يدخل فيه حرفًا واحدًا، وفي ذلك ردٌّ على الرافضة الكذابين في زعمهم أن القرآن ضاع منه شيء، أو ترك منه شيء، وهذا تكذيبٌ لله في خبره حين يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝﴾، أما بعد وفاة النبي ﷺ فلا بد أن الشياطين قد عادت للاستراق ليبتلي الله عباده.

وقد ورد وصف كيفية الوحي في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد اله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة...**».

❑ قوله: «**صعقوا**» أي: غشي عليهم، فيعم الغشي أهل السماوات كلهم.

❑ ويؤخذ منه ومن الذي قبله: أن الكاهن يُصدَّق بالكلمة التي سمعت من السماء؛ لأن الكاهن يقول تلك الكلمة، ويزيد عليها أشياء كثيرة، والأمر واضحٌ في هذا.

❑ ويؤخذ منه صفة الكلام لله ﷻ، وأن الله يتكلم بكلام يسمعه جبريل، ويسمعه من شاء الله من الملائكة، وقد سمعه موسى عليه السلام، وقد بت الله ذلك في قوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

❑ ويؤخذ منه أن نفوس بني آدم مهيأة لقبول الباطل والحق، والخير

والشر، ولذلك فإن العبد ينبغي له أن يتحامى سماع الشر حتى لا يؤثر على قلبه.

❑ وفيه ردٌّ على من عطَّل الله عن صفاته، فأنكر صفة الكلام لله ﷻ كالجهمية، والمعتزلة، أو تأوله كالأشعرية.

❑ ويؤخذ منه أن الملائكة يخافون من ربهم، فكيف يعبدون من دونه، وقد وصفهم الله بقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠].

(١٦) بابُ الشفاعة

وقولِ الله ﷻ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١].

وقولِه تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

وقولِه تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقولِه تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

وقولِه تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [سبأ: ٢٢].

قال أبو العباس (ابن تيمية): نفى الله عمَّا سواه كلَّ ما يتعلق به المشركون؛ فنفى أنْ يكون لغيره مِلْكٌ أو قسطٌ منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبقَ إلَّا الشفاعة، فبيَّن أنها لا تنفعُ إلا لمن أذن له الرب، كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فهذه الشفاعةُ التي يظنها المشركون: هي مُنتفيةٌ يوم القيامة؛ كما نفاها القرآن، وأخبر النبيُّ ﷺ: أنه يأتي فيسجدُ لربه ويحمَدُه، لا يبدأ بالشفاعة أولًا، ثم يقال له: «**ارفع رأسك، وقل؛ يسمع، وسل؛ تُعط، واشفع؛ تُشفَّع**»[٦٦].

---

(٦٦) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ إلى آخر السورة، ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾. وفي كتاب: تفسير القرآن، باب: قول الله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾، وفي =

وقال له أبو هريرة: من أسعدُ الناس بشفاعتك؟ قال: «**من قال: لا إله إلَّا الله خالصًا من قلبه**»[٦٧].

فتلك الشفاعةُ لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقتُه: أنَّ الله سبحانه هو الذي يتفضَّل على أهل الإخلاص، فيغفرُ لهم بواسطة دعاء من أَذن له أنْ يشفع، ليُكرِمَه وينال المقام المحمود.

فالشفاعةُ التي نفاها القرآن: ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعةَ بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النبيُّ ﷺ أنها لا تكون إلَّا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.

۞ فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيات.

الثانية: صفة الشفاعة المنفيّة.

الثالثة: صفة الشفاعة المثبتَة.

الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرى؛ وهي المقام المحمود.

الخامسة: صفة ما يفعله ﷺ، وأنه لا يبدأ بالشفاعة، بل يسجد، فإذا أَذِنَ

= باب: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾. وفي كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار. وفي كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾. وفي باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾. وفي باب: كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم. وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها. من حديث أبي هريرة، وأنس رضي الله عنهما.

(٦٧) الحديث أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: الحرص على الحديث. وفي كتاب: الرقاق، باب: في صفة الجنة والنار.

الله له شفع.

السادسة: من أسعدُ الناس بها؟

السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

الثامنة: بيان حقيقتها.

الشرح

الشفاعة هي: أن يكون الشافع يشفع لطالب الحاجة في طلبها حيث يكون طالب الحاجة منفردًا بطلبها، فينضم إليه الشافع فيكون طالبًا للحاجة نفسها منضمًا إلى صاحبها ومعززًا له.

وهي مأخوذة من الشفع الذي هو ضد الوتر، والوتر هو الواحد، والثلاثة، والخمسة، والسبعة، والتسعة.

والشفع هو: ما انقسم على اثنين من دون كسر، ويبدأ بالعدد اثنين ثمَّ الأربعة، ثمَّ الستة، ثمَّ الثمانية، وهكذا دواليك، ولمَّا كان المشركون يعبدون غير الله مع أنهم يعتقدون أنَّ الله هو الخالق، وهو الرزاق وهو المحيي، وهو المميت لكنَّهم يعبدون المعبودات، ويزعمون أنَّهم شفعاء لهم عند الله نفى الله ﷻ زعمهم هذا.

وأخبر أنَّ الشفاعة لله، وأنَّه لا يملكها أحدٌ غيره، لا ملَكٌ مقرب، ولا نبي مرسل، وأنَّ الواجب أن تطلب الشفاعة من الله؛ لأنَّها لا تكون إلَّا بإذنه، ولا يستطيع أحدٌ أن يشفع إلَّا بعد رضاه، وهي في الحقيقة إكرامٌ للشافع، ورحمةٌ للمشفوع له بعد الرضا عن المشفوع له، وقد أخبر الله في

هذه الآيات بذلك فقال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ أي أنَّه هو الذي يملكها وحده دون سواه، وقال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ فمن هنا استفهام إنكاري؛ أي لا يستطيع أحدٌ أن يشفع عنده إلَّا بإذنه، وقال جلَّ وعلا: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ فأخبر جلَّ وعلا أنَّ الملائكة المقربين لا يستطيعون أن يشفعوا إلَّا من بعد إذن الله ﷻ ورضاه عن المشفوع له، ومن اعتقد جواز الوساطة على الله وطلب الشفاعة منهم، وقاسها على حال ملوك الدنيا، الذين تطلب منهم الحاجات، فقياسه هذا باطلٌ، لأنَّه ﷻ لا يقاس بخلقه، ولا يحتاج إلى أحدٍ من خلقه، فالملوك يحتاجون إلى من حولهم باعتبار أنَّ المخلوقين يكمِّل بعضهم بعضًا، ويعين بعضهم بعضا؛ أمَّا الله ﷻ فالناس كلهم متحاجون إليه وهو غنيٌّ عنهم: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر: ١٥] والشفاعة لا تحصل من الله ﷻ إلَّا بعد رضاه عن المشفوع له، وإكرامه للشافع وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة أنَّه قال له: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: **«من قال لا إله إلَّا الله خالصًا من قلبه»**. فمن شروط الشفاعة أنَّها للموحدين، ولا تكون إلَّا بعد رضا رب العالمين، وعلى ذلك تظاهرت الأدلة؛ فمن طلبها من غير الله؛ حرمها، ومن مات على الشرك؛ فإنَّها لا تنفعه شفاعة، ولا تقع فيه شفاعة، ولهذا قال جلَّ من قائل: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢﴾ لمَّا كان ملوك الدنيا يكون من يعينهم شريكًا لهم في ملكهم، فنفى الله ﷻ عن نفسه وعن ملكه الشراكة حتى لو كان في مثقال ذرة، ونفى أن يكون له ظهيرٌ من خلقه لا ملَكٌ مقرب، ولا نبي مرسل، فما له ظهيرٌ ولا شريكٌ، ولا معينٌ ولا وزيرٌ، ومع ذلك قال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ﴾ وقال: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ فالنبي ﷺ لم

يشفع في أحد من قرابته الذين ماتوا على الشرك إلا في أبي طالب فإنَّه يشفع في تخفيف العذاب عنه وليس في إخراجه من العذاب.

وكذلك قد ورد أنَّ النبي ﷺ قال: «**يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟! فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد!! فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين ثمَّ يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في ألنار**»(٦٨). رواه البخاري والذيخ هو ولد الضبعُ الصغير، ومعنى تلطخه بالعذرة: تلطخه بالشرك والكفر، وفي هذا إشارةٌ إلى عدم قبول الشفاعة فيه، وإن كان ولده خليل الرحمن.

فالشفاعة المنفية: هي التي تطلب من غير الله أو تطلب للمشرك.

والشفاعة المثبتة: هي التي تطلب من الله، فإن قيل كيف طلبت الشفاعة من الأنبياء في الآخرة في فصل القضاء؟ الجواب: لأنَّه حينئذٍ كان الأنبياء جميعًا وغيرهم قد أحياهم الله الحياة الأخيرة وحينئذ جاز الطلب منهم مباشرة، فإن منع طلب الشفاعة من غير الله ﷻ إنَّما هو طلبها من الميت أو الغائب، والرسل في ذلك اليوم موجودون وأحياء، فجاز طلب الشفاعة منهم فلا تعلق بهذه الشبهة لأحدٍ من المشركين الذين يريدون شيئًا يتعلقون به ليجوِّزوا ما لم يكن جائزًا ويبيحوا ما كان ممنوعًا.

أمَّا أقسام الشفاعة وأنواعها فهي سبع شفاعات؛ ثلاثٌ منها خاصةٌ بالنبي ﷺ لا يشاركه فيها أحد؛ وهي:

---

(٦٨) الحديث أخرجه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾. وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾. وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١ - الشفاعة في فصل القضاء التي يقال لها المقام المحمود.

٢ - الشفاعة في استفتاح باب الجنة.

٣ - الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب.

أمَّا الشفاعات في أقوام استحقوا دخول النار ألَّا يدخلوها، أو في أقوام دخلوا النار أن يخرجوا منها، والشفاعة في أهل الأعراف الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة، والشفاعة في رفعة درجات أقوام في الجنة، فهذه الأربع عامة يشارك فيها النبي ﷺ غيره من الأنبياء والصديقين، والشهداء، وسائر المؤمنين، فهذه أربع، وتلك ثلاث أي الخاصة بالنبي ﷺ وإذن فالجملة سبع شفاعات؛ اللهمَّ اجعلنا ممن تُشَفِّع فيهم نبيك ﷺ.



(١٧) بابُ قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية [القصص: ٥٦]

في «الصحيح» عن ابن المسيَّب، عن أبيه قال: لما حضرَتْ أبا طالبٍ الوفاةُ، جاءه رسولُ الله ﷺ، وعنده عبدُ الله بن أبي أُميَّة وأبو جهل، فقال له: **«يا عمِّ! قل: لا إله إلَّا الله، كلمةً أحاجُّ لك بها عند الله»**. فقالا له: أترغبُ عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبيُّ ﷺ، فأعادا، فكان آخِرُ ما قال: هو على مِلَّة عبد المطلب، وأبى أنْ يقول: لا إله إلَّا الله. فقال النبيُّ ﷺ: **«لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك»**، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣].

وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦][٦٩].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية.

الثانية: تفسير قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ الآية.

الثالثة ـ وهي المسألة الكبيرة ـ: تفسير قوله: **«قل: لا إله إلا الله»**؛

---

(٦٩) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: التفسير، باب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.
وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره الموت.

بخلاف - ما عليه - من يدَّعي العلم.

الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل: «**قل: لا إله إلَّا الله**». فقبَّح الله مَنْ أبو جهل أعلمُ منه بأصل الإسلام!

الخامسة: جِدُّه ﷺ ومبالغته في إسلام عمّه.

السادسة: الردُّ على مَنْ زعم إسلام عبدالمطلب وأسلافه.

السابعة: كونه ﷺ استغفر له فلم يُغفر له، بل نُهيَ عن ذلك.

الثامنة: مضرَّةُ أصحاب السوء على الإنسان.

التاسعة: مضرةُ تعظيم الأسلاف والأكابر.

العاشرة: الشبهة للمبطلين في ذلك؛ لاستدلال أبي جهل بذلك.

الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها لنفعته.

الثانية عشرة: التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين؛ لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته ﷺ وتكريره، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها.



الشرح

الهداية تنقسم إلى قسمين:

١ - هداية دلالة، وبيان، وإرشاد:

وهذه الهداية مثبتة في قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢] وفي قوله ﷻ: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ﴾.

٢ - هداية منفية:

وهي هداية التوفيق، وإصلاح القلوب لقبول الحق، ومتابعته، فهذه الهداية ينفرد بها الله وحده دون سواه، فلا يشاركه فيها أحد لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وهي المذكورة في هذه الآية في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ﴾.

ثمَّ أورد هذا الأثر عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة...» الخ.

يؤخذ من هذا الحديث:

١ - حرص النبي ﷺ على عمِّه أن يقول لا إله إلَّا الله.

٢ - أنَّ صاحب الخير لا يخلو من معارض، فقد عارض النبي ﷺ في دعوته لعمِّه عارضه أبو جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية، فكان إذا كرر عليه أن يقول لا إله إلَّا الله، ودعاه إلى قولها كرر عليه أولئك مقالتهم: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ أو عن دين عبد المطلب؟

٣ - إذا كان النبي ﷺ مع ما له عند الله من مقام، وما له عنده من جاه؛ فهو أفضل الخلق على الإطلاق، وأعظمهم عند الله جاهًا، وأقربهم إليه

وسيلة. لا يقدر على هداية من أحب هداية توفيق؛ لأنَّ هداية التوفيق كلها بيد الله، فهو الذي يهدي القلوب، ويردها إلى الحق إذا شاء، وهو الذي يمنع ذلك، ويترك أصحاب الضلالة في ضلالاتهم يعمهون، حتى يواجهوا الحقيقة المُرَّه فكان أبو طالب آخر ما قال: أنَّه على ملة عبد المطلب.

٤ - يؤخذ منه أنَّ ملة عبد المطلب هي ملة المشركين في زمنه، فكانوا يؤمنون بما آمن به أهل ذلك العصر وفي محيط العرب، وينفون ما نفوه؛ وهو البعث بعد الموت، ولهذا فإنَّ أبا طالب استحق دخول النار بذلك، فقد أخبر النبي ﷺ أنَّه يأتي إليه يوم القيامة وهو في غمرة من جهَّنم فيخرجه إلى ضحضاح منها، فله في قدميه جمرتان تغلي منهما دماغه كما ورد في الحديث(٧٠) .

٥ - يؤخذ منه عظمة شأن التوحيد، وأنَّ له الأثر العظيم في مستقبل العبد، وأنَّ من مات على غيره لابُدَّ أن يواجه الحقيقة المرة من دخول النار، والخلود فيها أبد الآباد، ودهر الدهور.

٦ - ويؤخذ منه أنَّ محبة العاطفة لا يؤخذ بها، فقد حرص النبي ﷺ على أبي طالب أن ينجيه الله من النار محبةً له، وقد أثبت الله هذه المحبة بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.

٧ - يؤخذ منه مضرة جلساء السوء على الإنسان.

---

(٧٠) الحديث أخرج نحوه البخاري بلفظ: «عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ وذكر عنده عمه أبو طالب فقال: **«لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه أم دماغه»**. وذلك في كتاب: المناقب، باب: قصة أبي طالب. وأخرج نحوه أيضًا مسلم في كتاب: الأدب، باب: كنية المشرك. وفي كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار. وفي كتاب: الإيمان، باب: شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه. من حديث أبي سعيد الخدري، والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما.

٨ - يؤخذ منه مضرة تعظيم الأسلاف، والأكابر إذا كان بغيرحق.

٩ - يؤخذ منه أنَّ الأعمال بالخواتيم.

(١٨) بابُ ما جاء أنَّ سبب كُفرِ بني آدم وتركِهم دينَهم هو الغلوُّ في الصالحين

وقولِ الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١].

في «الصحيح» عن ابن عباس ﷺ في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣] - قال: «هذه أسماءُ رجالٍ صالحين من قوم نوح، فلمَّا هلكوا أوحى الشيطانُ إلى قومهم: أنِ انصِبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسِيَ العلمُ؛ عُبدت»(٧١).

وقال ابنُ القيم: قال غيرُ واحدٍ من السَّلف: لمَّا ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوَّروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمدُ؛ فعبدوهم(٧٢).

وعن عمر؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«لا تُطْروني كما أطرَتِ النصارى ابنَ مريم؛ إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ الله ورسوله»**(٧٣). أخرجاه.

وقال: قال رسول الله ﷺ: **«إياكم والغُلو! فإنما أهلك مَنْ كان قبلكم**

---

(٧١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ﴾.

(٧٢) انظر «إغاثة اللهفان» لابن القيم (١/ ١٨٣) [بتحقيق: محمد حامد الفقي].

(٧٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ﴾. قال الشيخ الوليد آل فريان: وأصله عند مسلم في «الصحيح» برقم: (١٦٩١).

الغلو»(٧٤).

ولمسلم عن ابن مسعود؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«هلك المُتنطِّعون»**(٧٥) ـ قالها ثلاثًا ـ.

❁ فيه مسائل:

الأولى: أن مَنْ فهم هذا الباب وبابيْن بعده: تبيَّن له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

الثانية: معرفة أوّل شرك حدث في الأرض أنه بشبهة الصالحين.

الثالثة: أول شيء غيِّر به دين الأنبياء، وما سبب ذلك، مع معرفة أن الله أرسلهم.

الرابعة: قبول البدع، مع كون الشرائع والفِطر تردّها.

---

(٧٤) الحديث جاء بلفظ عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو واقف على راحلته: **«هات القط لي»**. فلقطت له حصيات وهي حصى الخذف فلما وضعتهن في يده قال: **«نعم بأمثال هؤلاء، بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»**. كما رواه ابن حبان في «صحيحه» باب: ذكر وصف الحصى التي ترمى بها الجمار. (٣/ ١٨٣) برقم: (٨٧١)، وفي «سنن النسائي: المجتبى» باب: التقاط الحصى. (٥/ ٢٦٨) برقم: (٣٠٥٧)، وعند ابن ماجه باب: قدر الحصى. (٢/ ١٠٠٨) برقم: (٣٠٢٩)، وفي «السنن الكبرى» (٢/ ٤٣٥) برقم: (٤٠٦٣)، و(٥/ ١٢٧) برقم: (٩٣١٧) باب: أخذ الحصى. وفي «مسند أبي يعلى» في أول مسند ابن عباس (٤/ ٣١٦) برقم: (٢٤٢٧) وقد صحح الحديث الإمام الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٥٢٢) برقم: (٢٦٨٠)، وأشار إلى صحته في «السلسلة الصحيحة» برقم: (١٢٨٣)، و«السنة» برقم: (٩٨).

(٧٥) في كتاب: العلم، باب: هلك المتنطعون.

الخامسة: أن سبب ذلك كله: مزج الحق بالباطل؛ فالأول: محبة الصالحين، والثاني: فعل أناس مِنْ أهل العلم والدين شيئًا أرادوا به خيرًا، فظنَّ مَنْ بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح.

السابعة: جِبِلَّة الآدمي؛ في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد.

الثامنة: فيه شاهد لما نُقل عن السلف: أن البدع سبب الكفر.

التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حَسُنَ قصدُ الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكليَّة؛ وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه.

الحادية عشرة: مضرَّة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل، والحكمة في إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة ـ وهي أعجب، وأعجب ـ: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال.

الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله: «**لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**»، فصلوات الله وسلامه على من بلّغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحته إيَّانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تُعبد حتى نُسِيَ العلمُ، ففيها بيان معرفة قدر وجوده، ومضرة فقده.

العشرون: أن سبب فقد العلم موتُ العلماء.

الشرح

الغلو: هو زيادة في الشيء عن قدره، والله ﷻ نهى أهل الكتاب عن الغلو ذلك بأنَّهم بالغلو دخلوا فيما لم يجز لهم الدخول فيه، فالنصارى غلت في عيسى ابن مريم حيث ألَّهوه أو جعلوه ابنًا لله، واليهود غلوا في عزير حتى جعلوه ابنًا لله، فالله ﷻ نهاهم عن الغلو بقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ والحق ألَّا يعتدى على مقام الألوهية، فلا يجوز أن يقال في أحدٍ أنَّه ابنٌ لله.

ثمَّ أورد حديث ابن عباس في قوله ﷻ في [سورة: نوح]: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ قال: هذه أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوح ... الخ.

يؤخذ من هذا الأثر:

١ - أنَّ فتنة بني آدم، ودخولهم في الشرك كان من طريق الغلو.

٢ - يؤخذ منه أنَّ الشيطان يدخل بالحيلة حتى يدخلهم في الذرائع؛ التي توصلهم إلى الشرك فهو أمرهم أن يصوروا صور أولئك الصالحين، ولم يأمرهم بعبادتهم أولًا.

٣ - يؤخذ منه أنَّ الشيطان لا يهمه أن يطول الأمر؛ أي يمتد الزمان قبل أن تعبد، فهو أمرهم بنصب صورهم في أماكنهم، ثمَّ جاء لهم بحيلة أخرى، فالحيلة الأولى قال لهم: إذا نصبتم صورهم؛ فإنَّكم تتذكرون ما كانوا يقولون لكم، فيدفعكم ذلك إلى العبادة، وثانيًا: قال لهم: إنَّ آبائكم كانوا يستسقون بهؤلاء الرجال، فيسقون، ففعلوا ذلك، حتى إذا انقرض الجيل الأول وجاء جيلٌ جديد، قال لهم: إنَّ آبائكم كانوا يعبدونهم، فعبدوهم.

وهكذا الشيطان ينزل مع الناس درجةً درجة؛ حتى يوقعهم في الشرك بالله.

٤ - أنَّ الشيطان قد أحيا فكر هؤلاء الرجال بعد الغرق، وهلاك قوم نوح كلهم، فأحيا لهم ذكر هؤلاء الرجال، ولما بعث النبي ﷺ كان هؤلاء معبودين كما هو مبينٌ في بعض الآثار.

٥ - يؤخذ من حديث عمر: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم....**» الخ. الإطراء: هو المبالغة في المدح، والخروج بالممدوح إلى حدِّ المغالاة فيه، فالنبي ﷺ نهى أمته عن الإطراء؛ الذي يخرج بهم إلى حد التأليه، والله ﷻ قد قال له: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] العمل الصالح: هو الذي يكون خالصًا لله، وموافقًا لما جاء عن رسول الله ﷺ من غير مغالاة، ولا تقصير، فالمغالاة لا تجوز، والتقصير كذلك، وقد يكون مضرة التقصير أخف من مضرة المغالاة؛ لأنَّ المغالاة في المخلوق تخرج به عن حده، وتجاوز الحد يصير العبد طاغوتًا.

وقوله: «**إياكم والغلو، فإنَّما أهلك من كان قبلكم الغلو**». هذا دلَّ على

خطورة الغلو، وأنَّ الواجب على العباد أن يتقوا الله ﷻ، وأن، يعملوا ما أمروا به من دون مغالاة، ولا تقصير.

ثُمَّ الحديث الأخير عن ابن مسعود أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**هلك المتنطعون**». قالها ثلاثًا، والتنطع هو التشدد، والتكلف بما لا ينبغي، فيجب الاقتصاد في الشيء، وعدم الزيادة فيه كما أنَّه لا ينبغي أن ينقص الشيء عن قدره، فكذلك لا يزاد عمَّا يستحقه.



(١٩) بابُ ما جاء في التغليظ فيمن عبدَ الله عند قبر رجلٍ صالح، فكيف إذا عبده؟

في «الصحيح» عن عائشة: أنَّ أمَّ سَلَمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصُّور، فقال: **«أولئِكِ إذا مات فيهم الرجلُ الصالح ـ أو: العبد الصالح ـ بَنَوْا على قبره مَسجدًا، وصوَّروا فيه تلك الصُّور، أولئِكِ شرارُ الخلق عند الله»**(٧٦).

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنةِ التماثيل.

ولهما عنها قالت: لما نُزِلَ برسول الله ﷺ طَفِق يطرحُ خَميصةً له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفَها، فقال ـ وهو كذلك ـ: **«لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد»**(٧٧)، يُحذِّر ما صنعوا، ولولا ذلك أُبرز قبرُه، غير أنه خَشي أنْ يُتخذ مسجدًا. أخرجاه.

ولمسلم عن جُنْدُب بن عبد الله قال: سمعتُ النبي ﷺ قبل أنْ يموت بخمسٍ، وهو يقول: **«إنِّي أَبْرَأُ إلى الله أنْ يكونَ لي منكم خليلٌ؛ فإنَّ الله قد اتَّخذني خَليلًا، كما اتخذَ إبراهيم خليلًا، ولو كنتُ مُتَّخِذًا من أُمتي خليلًا لاتَّخذتُ أبا بكر خليلًا. ألاَ وإنَّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم**

(٧٦) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: الصلاة، باب: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: المساجد، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور.

(٧٧) الحديث أخرجه البخاري أيضًا في كتاب: الجنائز، باب: ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، وأخرجه أيضًا مسلم في كتاب: المساجد، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور.

مساجد، ألاَ فَلاَ تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»(٧٨).

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن ـ وهو في السِّياق ـ مَنْ فَعله. والصلاةُ عندها من ذلك، وإنْ لم يُبن مَسْجِد، وهو معنى قولها: (خشي أن يتخذ مسجدًا)، فإنَّ الصحابة لم يكونوا ليبنوا حَولَ قبره مسجدًا.

وكلُّ موضع قُصدت الصلاة فيه فقد اتُّخذ مسجدًا، بل كلُّ موضع يُصلَّى فيه يُسمَّى مسجدًا؛ كما قال ﷺ: «**جُعلت لي الأرض مسجدًا وطَهورًا**»(٧٩).

ولأحمد بسندٍ جيِّد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «**إنَّ مِن شِرار الناس مَن تُدركهم الساعةُ وهم أحياء، والذين يتخذون القبورَ مساجد**»(٨٠). ورواه أبو حاتم في «صحيحه».

---

(٧٨) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب: المساجد، باب: النهي عن بناء المساجد.

(٧٩) الحديث أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في كتاب: التيمم، باب: قول الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾. وأخرجه أيضًا مسلم رحمه الله في أول كتاب: المساجد. من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٨٠) الحديث أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٤٥٤) برقم: (٤٣٤٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢/ ٦) برقم: (٧٨٩)، وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٢٦٠) برقم: (٦٨٤٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ١٨٨) برقم: (١٠٤١٣)، وقال في «مجمع الزوائد»: إسناده حسن، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١١/ ٤٠٢) برقم: (٢٠٨٤٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ٣٠) برقم: (١١٨١٦)، وقال الدكتور الوليد آل فريان: وأخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ١٤٢)، والبزار في «المسند» رقم: (٣٤٢٠، ٣٤٢١) «كشف» وقال الهيثمي أيضًا في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٣): راوه البزار بإسنادين في أحدهما عاصم بن بهدلة وهو ثقةٌ وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الاقتضاء» (٢/ ٦٦٨): : إسناده حسن، وكذلك قال ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٠٥): وأخرج الجملة الأولى البخاري في «الصحيح» رقم: (٧٠٦٧) اهـ.

❁ فيه مسائل:

الأولى: ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجدًا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل.

الثانية: النهي عن التماثيل، وغِلظ الأمر في ذلك.

الثالثة: العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك؛ كيف بيَّن لهم هذا أولًا، ثم قبل موته بخمسٍ قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتفِ بما تقدم.

الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

الخامسة: أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم.

السادسة: لَعْنُه إيَّاهم على ذلك.

السابعة: أن مراده ﷺ تحذيره إيانا عن قبره.

الثامنة: العلّة في عدم إبراز قبره.

التاسعة: في معنى اتخاذها مسجدًا.

العاشرة: أنه قَرَنَ بين من اتخذها مسجدًا، وبين من تقوم عليه الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.

الحادية عشرة: ذكره في خطبته قبل موته بخمس: الرد على الطائفتين اللّتيْن هما أشر أهل البدع، بل أخرجهم بعضُ أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة؛ وهما: الرافضة والجهمية. وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد.

الثانية عشرة: ما بُلي به ﷺ من شدة النَّزع.

الثالثة عشرة: ما أُكرم به من الخلّة.

الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى من المحبة.

الخامسة عشرة: التصريح بأن الصِّدِّيق أفضل الصحابة.

السادسة عشرة: الإشارة إلى خلافته.

الشرح

هذه الأحاديث كلها تدل:

١ - على تحريم اتخاذ القبور مساجد، سواءٌ جعلت القبور في المسجد بعد بنائه أو بني المسجد في وسط المقابر، كل ذلك لا يجوز.

ولا يجوز أن يصلى في مسجد حوله قبر، وبالأخص إذا كانت المقابر في قبلته، فإن كان المسجد بني على القبر وعلى المقابر تعظيمًا لها؛ فإنَّه يجب هدمه، ومنع الصلاة فيه.

وإذا كان المسجد مبنيًّا ووضعت المقابر فيه؛ فإنَّ الأولى أن تخرج منه الرِّمم، والعظام، التي في المقابر، وتنقل إلى مقابر المسلمين، وحينئذٍ يكون المسجد صالحًا للصلاة فيه، بدون هذا لا تجوز الصلاة فيه، وكذلك إذا كانت المقابر محيطة به من جوانبه.

١ - يؤخذ من هذه النصوص أنَّ العبادة إن كانت لله ﷻ، لكن فعلها صاحبها عند هذا القبر تبركًا به، وظنًّا أنَّ العبادة عنده تكون مقبولة عند الله ﷻ، وفاضلة لديه، فإنَّ تلك العبادة تكون باطلة، ومردودة على صاحبها، ولا يجوز له أن يفعلها عند القبر.

٢ - أنَّ المعروف من حال الناس أنَّهم يذبحون عند القبور، ويزعمون أنَّ هذه الذبيحة إنَّما ذبحت لله، وهذا غير صحيح، ولو كان قصد الذبح لله لذبحها في بيته ولم يأت بها إلى القبر، وعلى أقل الأحوال فإنَّ هذه العبادة مشتركة بين الله وبين خلقه، وفي الحديث أنَّ الله ﷻ يقول: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»(٨١).

٣ - أنَّ النبي ﷺ لعن الذين يتخذون القبور مساجد، وخصَّ باللعنة اليهود والنصارى؛ لأنَّهم كانوا قد اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

٤ - أنَّ من دعا العبد الصالح سواء كان معرفًا بالصلاح كنبي الله عيسى عليه السلام، وعزير وغيرهم من الصالحين، من دعا أحدًا من هؤلاء، أو عبده من دون الله؛ فإنَّه يكون مشركًا كافرًا، ومن صلى عند القبر معتقدًا فضيلة الصلاة عند ذلك القبر؛ فإن هذه ذريعة إلى الشرك، من أشد الذرائع الموصلة إليه.

وكم أكد النبي ﷺ النهي عن اتخاذ القبور مساجد، ولعن من فعل ذلك.

٥ - يؤخذ منه تحريم التصوير، وتكون الحرمة أشد إذا قصد بالتصوير العبادة للشخص المصور كود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرًا.

٦ - أن قبر النبي ﷺ كان خارجًا عن المسجد؛ لأن بيته كان إلى جنب المسجد، وقد دفن في بيته وفي عهد الوليد بن عبد الملك أمر بعمارة المسجد، وأدخلت الحجرة في المسجد، ولم يكن ذلك عن رضى من أهل العلم، بل إنَّ بعض أهل العلم الذين كانوا موجودين في تلك الأزمنة كرهوا ذلك. ومنهم سعيد بن المسيب.

---

(٨١) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب: الزهد والرقاق، باب: من أشرك في عمله غير الله. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٧ - أمَّا القبة الخضراء التي بنيت على قبره ﷺ فقد بنيت في آخر القرن السادس بناها ملك من ملوك مصر، فمن احتج على البناء على القبور بوجود تلك القبة فلا حجة له في ذلك؛ لأن تلك الأمور فعلت من أناس يكون عندهم جهل، ولهم سلطة لا يستطيع الناس الرد عليهم، فعملوا ذلك بزعمهم أنه محبة للنبي ﷺ وتعظيمٌ له.

٨ - يؤخذ من الحديث الأخير أن الذين يتخذون القبور مساجد من شرار الخلق عند الله ﷻ.

٩ - أن النبي ﷺ كرر النهي عن اتخاذ القبور مساجد بالأخص في آخر حياته، وقرب موته ﷺ؛ حتى لا يتوهم أو يظنَّ ظانٌّ نسخه أو إباحته.

١٠ - أن الله أكرمه بأن اتخذه خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا، والخلة أعلى من المحبة.

١١ - فيه فضيلة لأبي بكر الصديق، وإشارة إلى خلافته رضي الله عنه؛ لقوله ﷺ: **«ولو اتخذت من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا»**.



(٢٠) بابُ ما جاء أنَّ الغلوَّ في قبور الصالحين يُصيِّرها أوثانًا تُعبد من دون الله

روى مالك في «الموطأ»: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اللهمَّ لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٨٢].

ولابن جرير بسنده عن سُفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ [النجم: ١٩] قال: كان يَلُتُّ لهم السَّويق فمات، فعكفوا على قبره[٨٣]. وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلتُّ السَّويق للحاجِّ[٨٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسولُ الله ﷺ زائراتِ القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُّرُج[٨٥]. رواه أهلُ السنن.

---

(٨٢) الحديث أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» في كتاب: النداء للصلاة، باب: جامع الصلاة، وأخرج بنحوه عبد الرزاق في «مصنفه» (١/ ٤٠٦) برقم: (١٥٨٧)، وفي «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٥٠) برقم: (٧٥٤٤) و(٣/ ٣٠) برقم: (١١٨١٩)، وأخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٤٦) برقم: (٧٣٥٢)، وأخرجه أيضًا في (٢/ ٤٤٥) برقم: (١٠٢٥)، وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» في (١٢/ ٣٣) برقم: (٦٦٨١).

(٨٣) رواه ابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٧/ ٥٨).

(٨٤) الأثر أخرجه الإمام البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: قول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ [النَّجْم: الآية ١٩].

(٨٥) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في كتاب: الجنائز، باب: في زيارة النساء للقبور. (٣/ ٢١٨) برقم: (٣٢٣٦)، والنسائي في كتاب: الجنائز، باب: التغليظ في اتخاذ السرج على القبور. (٤/ ٩٤) برقم: (٢٠٤٣)، والترمذي في كتاب: الصلاة، باب: كراهة أن يتخذ على القبر مسجدًا. (٢/ ١٣٦) برقم: (٣٢٠)، وقال: حديث حسن، وابن ماجه مختصرًا في كتاب: الجنائز، باب: النهي عن زيارة القبور. رقم: (١٥٧٥)، وابن حبان (٧/ ٤٥٢)

❁ فيه مسائل:

الأولى: تفسير الأوثان.

الثانية: تفسير العبادة.

الثالثة: أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يُخاف وقوعه.

الرابعة: قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد.

الخامسة: ذكر شدة الغضب من الله.

السادسة ـ وهي من أهمها ـ: معرفة صفة عبادة اللَّات التي هي من أكبر الأوثان.

السابعة: معرفة أنه قبر رجل صالح.

الثامنة: أنه اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية.

التاسعة: لعنه زوَّارات القبور.

العاشرة: لعنه من أسرجها.

برقم: (٣١٧٩)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٤٨) برقم: (١٢٧٢٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٣٠) برقم: (١٣٨٤)، والبيهقي (٤/ ٧٨) برقم: (٦٩٩٨)، وقال ابن حجر في «التلخيص» (٢/ ١٣٧): والجمهور على أنَّ أبا صالح هو مولى أم هانئ وهو ضعيف كما قاله محققا «القول المفيد»، وقال الشيخ الوليد آل فريان في تخريجه لهذا الحديث: ويرى ابن القيم في «تهذيب السنن» (٢٤/ ٣٤٨) أنَّ أبا صالح هذا هو مهران وهو ثقة وليس بصاحب الكلبي المزعوم ونقل ذلك عن أبي حاتم، وفي بعض نسخ «الجامع» كما يقول ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٩٤). اهـ.

الشرح

يؤخذ من هذا الحديث، ومن هذه الترجمة:

١ - أنَّ الغلو سببٌ في جعل قبور الصالحين أوثانًا تعبد من دون الله ﷻ.

٢ - يؤخذ منه أنَّ الوثن كل شيء عبد من دون الله؛ سواء كان قبرًا أو غير ذلك، ولهذا قال النبي ﷺ: «**اللهمَّ لا تجعل قبري وثنًا يعبد**». وذلك أنَّ النبي ﷺ خاف، أن يتخذ قبره وثنًا يعبد من دون الله، مع أنَّه هو الذي حذر من الشرك، وجاهد أهله، وغضب على من فعلوه، وأحلَّ الله له ولأمته قتل المشركين، وسبي نسائهم وذراريهم، وغنيمة أموالهم؛ كل ذلك سببه عبادتهم الأوثان من دون الله ﷻ، ولهذا قال: «**اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». ولا يشتد غضب الله إلَّا على من أتى أكبر الذنوب؛ وأكبرها، وأشدها، وأفظعها: اتخاذ القبور معابد، وأوثانًا تعبد من دون الله ﷻ، وكم من الآيات التي نصَّ الله فيها على المشركين، وبيَّن فيها ضعف عقولهم، وبعد ما ذهبوا إليه، فكيف يتخذ إلهًا من صيرَّه الله بالموت رِمَّةً، وصار في قبره جيفةً؛ لولا أنَّ الله ستر جيفته في الأرض لما استطاع أحدٌ أن يدنو من جيفته. مع العلم بعجز المخلوقين عن إسعاف من يطلبهم أو إنجائه مما يخاف، ولكم بيَّن الله ﷻ قدرته بما عرض من آيات في الكون، وبيَّن عجز الناس، وضعفهم عن أتفه الأشياء، وأقلها وأحقرها. كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ [فاطر: ١٣، ١٤] وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢﴾ [سبا: ٢٢] فالغلو في قبور

الصالحين، وكذلك الغلو في الأشخاص يجعل المغلو فيهم معبودين من دون الله تعالى، وقد حذر الله تعالى في كتابه من الغلو فقال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [النساء: ١٧١].

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩﴾ [النجم: ١٩] قال: «كان يلت السويق فمات فعكفوا على قبره» وكذا أبو الجوزاء عن ابن عباس: «كان يلت السويق للحاج».

وأقول: إن من عادة الناس الغلو فيمن رأوا منه الصلاح، وهذا الغلو هو الذي يصير المغلو فيه معبودًا من دون الله، فهذا الرجل الذي كان يلت السويق، ويطعمه الحاج؛ غلا فيه الناس حتى صيروه معبودًا، وعكفوا على قبره.

وبهذه المناسبة نتذكر أيضًا ما حصل لقوم نوح بعد آدم، حيث كان رجالٌ يدعونهم إلى الله ويحثونهم على الأعمال الخيرية، فلما ماتوا جاء الشيطان إلى أقوامهم، وأمرهم أن ينصبوا في أماكنهم صورًا لهم حتى يتذكروا ما كانوا يقولون، فيدفعهم ذلك إلى العبادة، ففعلوا، وبعد زمن من حين انقرض ذلك الجيل؛ عبدوا من دون الله.

ومن هنا نعلم أنَّ الشيطان قد يدعو إلى العبادة لأغراض له فيها؛ حتى يخرج الناس من عبادة الله إلى عبادة غيره.

وأمَّا العزى فيه شجراتٌ ثلاث نصبوا عندها صنمًا وسموه بالعزى، ليعبدوه من دون الله ﷻ، ويقال: أنَّهم اشتقوا العزى من العزيز، وكانت العزى فهي وادي السيل على طريق الطائف فكانت لقريش، ومن جاورها من أهل تهامة، وكان اللات لأهل الطائف ومن حولهم، فلما جاء الإسلام

هدم هذه المعبودات كلها، وجعل العبادة لله وحده دون من سواه قال الله ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال: ٣٩، ٤٠].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج» راوه أهل السنن.

وأقول: هذا الحديث صحيح بمجموع طرقه، ولذلك صححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم: (٤٩٨٥) وهو مرويٌّ من طريق ابن عباس، وأبي هريرة، وحسان بن ثابت، وعلى هذا فإنَّ اللعن لزوارات القبور من أجل أنَّهن يكثرنَّ الزيارة الشركية، ولهذا جاء بصيغة المبالغة، وإلى ذلك ذهب كثيرٌ من أهل العلم، وجعلوا ذلك خاصًّا بالنساء اللاتي يكثرن زيارة القبور زيارة شركية، وبدعية، وفي تخصيص النساء بذلك إشارة إلى أنَّ النساء أكثر من يقعن ضحية للخرافات، والعقائد المنحرفة المبنية على الأوهام، والتخريف، ومن تأمل واقع الناس يعلم ذلك وزعم بعضهم أنَّ هذا النهي كان قبل الإذن بزيارة القبور، وأنَّ الإذن في زيارة القبور الذي جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: **«كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنَّها تذكر الآخرة»**[٨٦].

(٨٦) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجه في «سننه» في كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في زيارة القبور. من حديث ابن مسعود، وأخرجه الإمام أحمد في «مسند العشرة المبشرين بالجنة» رقم: (١٢٤٠) من حديث علي بن أبي طالب، وفي «باقي مسند الأنصار» برقم: (٢٢٤٩٦) من حديث ابن بريدة عن أبيه، وأصل الحديث في «صحيح مسلم» والذي جاء فيه بلفظ: **«نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث فأمسكوا ما بدا لكم، ونهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء فاشربوا في الأسقية كلها، ولا تشربوا مسكرًا»**. وذلك في كتاب: الجنائز، با ب: استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه. وأورده أيضًا في كتاب: الأضاحي، باب: بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء. ·ن بريدة رضي الله عنه.

وبعد ذلك جاء الإذن عامًّا للرجال والنساء، واستدل من قال ذلك على الأصح بمرور النبي ﷺ بالمرأة التي كانت تبكي على القبر، والحديث في الصحيحين[٨٧]، واستدلوا أيضًا بزيارة[٨٨] عائشة لقبر أخيها، **وأقول**: إنَّ النهي الوارد في الحديث لم يكن عن الزيارة السنية، وإنَّما هو عن الزيارة البدعية والشركية؛ لأنَّ الزيارة السنية لا يلعن صاحبها، وإنَّما يلعن من أتى محرمًا وهؤلاء النساء أتين محرمًا، فلذلك لعنهنَّ النبي ﷺ، والدليل على ذلك قوله في وصفهن: **«والمتخذين عليها المساجد والسرج»**؛ إذ إنَّه لا يتخذ على القبور المساجد والسرج إلَّا أهل الخرافات.

والفرق بين الزيارة البدعية والشركية:

أنَّ الزيارة البدعية: هي التي يقصد فيها العبادة، والدعاء عند القبر ظنًّا بأنَّ ذلك سيكون سببًا في مضاعفة الأجر، وقبول العبادة.

أمَّا الزيارة الشركية: فهي التي يدعى فيها المقبور، ويطلب منه الحاجات، وهذا كثير في النساء.

أمَّا الزيارة السنية: وهي المقصودة للدعاء للميت، فهذه الظاهر جوازها

---

(٨٧) وهذا الحديث أورده الإمام البخاري بلفظ: مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: **«اتقي الله واصبري»** قالت إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها إنه النبي ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: **«إنما الصبر عند الصدمة الأولى»**. وذلك في كتاب: الجنائز، باب: زيارة القبور. ولمسلم بنحوه في كتاب: الجنائز، باب: في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى.

(٨٨) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٧٦) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٧٨)، كما قال الدكتور الوليد آل فريان، وقال محققا «القول المفيد شرح كتب التوحيد»: وقال العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٤١٨): رواه ابن أبي الدنيا في «القبور» والحاكم بإسناد جيد بلفظ: أنَّ عائشة رضي الله عنها زارت قبر أخيها، فقال لها عبد الله بن أبي مليكة: أليس النبي ﷺ قد نهى عن زيارة القبور؟ قالت: إنَّه أمر بها بعد ذلك. اهـ.

للرجال والنساء عمومًا، وقد قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: **«قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون»**. رواه مسلم(٨٩)، وهذا هو القول الحق في المسألة إن شاء الله، وبالله التوفيق.



(٨٩) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب: الجنائز، باب: ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها.

(٢١) بابُ ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جنابَ التوحيد وسدِّه كلَّ طريق يُوصل إلى الشرك

وقولِ الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلُّوا عَلَيَّ، فإنَّ صلاتكم تبلُغني حيث كنتم**»(٩٠). رواه أبو داود بإسنادٍ حسن، ورواتُه ثقات.

وعن علي بن الحُسين رضي الله عنه: أنه رأى رجلًا يجيءُ إلى فُرجةٍ كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخلُ فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أُحدِّثُكم حديثًا سمعته من أبي، عن جدِّي، عن رسول الله ﷺ؟ قال: «**لا تتخذوا قبري عِيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليَّ فإنَّ تسليمكم يبلُغني(٩١) أينما كنتم**»(٩٢). رواه في «المُختارة».

---

(٩٠) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (١/ ٢١٨) برقم: (٢٠٤٢) في كتاب: المناسك، باب: زيارة القبور. وأحمد (٢/ ٣٦٧)، وفي «المعجم الأوسط» للطبراني (٨/ ٨١) برقم: (٨/ ١١٨) وأخرجه أيضًا عبد الرزاق في «مصنفه» (ج٣/ ٧١) برقم: (٨٠٣٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ١٥٠) برقم: (٧٥٤٢) و(٣/ ٣٠) برقم: (٤٨٣٩) و(٣/ ٥٧٧) برقم: (٦٧٢٦)، والحديث أخرجه أيضًا أبو يعلى في «مسنده» (١/ ٣٦١) برقم: (٤٦٩) و(١٢/ ١٣١) برقم: (٦٧٦١)، ولكنه جاء بلفظ: «**وتتخذوا بيتي عيدًا**» بدل قوله: «**ولا تتخذوا قبري عيدًا**».

(٩١) وفي نسخة الدكتور الوليد آل فريان: «**فإنَّ تسليمكم يبلغني أين كنتم**».

(٩٢) انظر الضياء المقدسي في «المختارة» رقم: (٤٢٨).

۞ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية براءة.

الثانية: إبعاده أُمته عن هذا الحِمَى غاية البُعد.

الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

الرابعة: نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

الخامسة: نهيُه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة: حَثُّه على النافلة في البيت.

السابعة: أنه متقرر عندهم: أنه لا يُصلىٰ في المقبرة.

الثامنة: تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بَعُدَ، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.

التاسعة: كونه ﷺ في البرزخ تُعرض عليه أعمال أُمّته في الصلاة والسلام عليه.

الشرح

النبي ﷺ سد الأبواب والذرائع الموصلة إلى الشرك، ومن ذلك قوله: **«ولا تجعلوا قبري عيدًا»**. ومن ذلك أن النبي ﷺ قيل له: يا سيدنا وابن سيدنا، ويا خيرنا وابن خيرنا، فقال: **«يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان؛ أنا محمد عبد الله ورسول الله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق ما رفعني الله ﷻ»**[٩٣]. ومن ذلك أنَّه لمَّا جاءه رجل وقال: يا رسول الله جهدت الأنفس وضاعت العيال، ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، قال رسول الله ﷺ: **«ويحك أتدري ما تقول؟!»**، وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثمَّ قال: **«ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله؟! إن عرشه على سماواته هكذا، وقال بأصابعه مثل القبة عليه، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب»**[٩٤]. كل هذا يدل على حماية النبي ﷺ جناب

---

(٩٣) الحديث أخرجه عبد بن حميد في «مسنده» (١/ ٣٩٠) برقم: (١٣٠٩، ١٣٣٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦/ ٧١) برقم: (١٠٠٧٨)، وأحمد (٣/ ١٥٣) برقم: (١٢٥٧٣، ١٣٥٥٣) و(٤/ ٢٥) برقم: (١٦٣٥٤)، وفي كتاب «الآحاد والمثاني» لأبي بكر الشيباني أحمد بن عمرو الضحاك رحمه الله (٣/ ١٥٣) برقم: (١٤٨٢).

(٩٤) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب: السنة، باب: الجهمية. وإسناده ضعيف كما في «ضعيف سنن أبي داود» للألباني رحمه الله، وأشار إلى ضعفه أيضًا في «الظلال» برقم: (٥٧٥)، و«المشكاة» برقم: (٥٧٢٧)، وقال الدكتور وليد عبد الرحمن بن محمد آل فريان في «تحقيقه لفتح المجيد» (ص٨٢٩) بأنَّه: أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٤٤)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٢٤)، وابن خزيمة في «التوحيد» رقم: (١٤٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم: (٥٧٥، ٥٧٦)، والطبراني في «الكبير» رقم: (١٥٤٧)، والدارقطني في «الصفات» (٣٨) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» - يقصد «شرح =

التوحيد، فقد دعا صلوات الله وسلامه عليه ربه ألَّا يجعل قبره وثنًا يعبد، وقد استجاب ربه دعاءه، فحماه من ذلك، وفي هذا يقول ابن القيم في نونيته:

فأجاب رب العالمين دعاءه ... وأحاطه بثلاثة الجدران

فقد بنى على قبره جدار مثلث بحيث لا يتمكن أحدٌ أن يقف على قبره، ويستقبل القبلة ويكون القبر بينه وبين القبلة، وأحيط بالشبك الذي يمنع الدخول على الحجر، ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها؛ التي دفن فيها هو وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

أورد المؤلف قول الله سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ بحيث أنَّه لا يرضاه أبدًا ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ أي ما يشق عليكم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي حريص على ما ينفعكم، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا**». يعني في ظلمة الليل «**فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يذبهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار؛ وأنتم تفلَّتون من يدي**»[٩٥]. رواه مسلم وقد جاء في الحديث: «**أنا فرطكم على الحوض، من ورد شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا. وليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم**». قال أبو حازم: فسمع النعمان بن أبي عياش، وأنا أحدثهم هذا الحديث، فقال: هكذا سمعت سهلًا يقول؟ فقلت: نعم. قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته

= اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة» رقم: (٦٥٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم: (١٨٩)، وصححه ابن القيم في «تهذيب السنن» (٧/ ٩٥)، وابن كثير في «التاريخ» (١/ ٨). اهـ.

(٩٥) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الفضائل، باب: شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم. من حديث: جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

يزيد فيقول: «**إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول سحقًا سحقًا لمن بدل بعدي**»[٩٦]. رواه مسلم.

والمهم أنَّ رسول الله ﷺ كما وصفه الله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أي أعرضوا ولم يقبلوا ما جئت به ﴿فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

في هذا الحديث حديث أبي هريرة رضي الله عنه أمر النبي ﷺ أمته ألَّا يجعلوا بيوتهم قبورًا؛ لأنَّ القبور لا يصلَّى فيها، ولا يقرأ القرآن فيها، فينبغي لهم أن يصلوا في بيوتهم، ويقرءوا فيها القرآن. ثمَّ قال: «**ولا تجعلوا قبري عيدًا**». نهى النبي ﷺ أن يجعل قبره عيدًا، فيذهبون إليه كلما ذهبوا وجاءوا، فهو يطلب منهم ألَّا يجعلوا قبره عيدًا، والعيد ما اعتاد عليه الإنسان من الأعياد الزمانية كعيد الأضحى، وعيد الفطر، وما اعتاد عليه الإنسان كالأعياد المكانية، فنهى النبي ﷺ أن يكثروا من المجيء إلى قبره متخذينه عيدًا، وأمر بالصلاة عليه فقال: «**وصلوا عليَّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**».

ثمَّ أورد الأثر عن علي بن الحسين رضي الله عنه: أنَّه رأى رجلًا يجيء إلى فرجةٍ كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ، أبوه الحسين بن علي، وجده علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم**

---

(٩٦) الحديث متفق عليه فقد أخرجه الإمام البخاري في أول كتاب: الفتن. وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته من حديث سهل بن سعد، واللفظ له، وأخرج بنحوه أيضًا مسلم بلفظ آخر في كتاب: الطهارة، باب: استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وبمثله الإمام البخاري في كتاب: المساقاة، باب: من رأى أنَّ صاحب الحوض والقربة أحقُّ بمائه.

قبورًا، وصلوا عليَّ فإنَّ تسليمكم يبلغني حيث كنتم». رواه في «المختارة».

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من تأمل نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب رأى نصوصًا كثيرة تحث على القيام بكل ما يقوِّي التوحيد، وينميه، ويغذيه من الحث على الإنابة إلى الله ﷻ، وانحصاره في تعلق القلب الله رغبةً، ورهبةً، وقوة الطمع بفضله وإحسانه، والسعي في تحصيل ذلك، وإلى التحرر من رق المخلوقين، وعدم التعلق بهم بوجه من الوجوه، أو الغلو في أحدٍ منهم، والقيام التام بالأعمال الظاهرة، والباطنة، وتكميلها وخصوصًا حثُّ النصوص على روح العبودية؛ وهو الإخلاص التام لله وحده، ثمَّ في مقابلة ذلك نهى عن أقوال وأفعال فيها الغلو بالمخلوقين، ونهى عن التشبه بالمشركين؛ لأنه يدعو إلى الميل إليهم، ونهى عن أقوال وأفعال يخشى أن يتوصل بها إلى الشرك؛ كل ذلك حماية للتوحيد، ونهى عن كل سبب يوصل إلى الشرك؛ وذلك رحمةً بالمؤمنين؛ ليتحققوا بالقيام بما خلقوا له من عبودية الله الظاهرة، والباطنة، وتكميلها؛ لتكمل لهم السعادة، والفلاح، وشواهد هذه الأمور كثيرة معروفة[٩٧] اهـ.

وأقول: يا لها من جملٍ جيدة عظيمة من عالمٍ نحرير، فالحمد لله على ذلك.



(٩٧) انظر «القول السديد في شرح كتاب التوحيد» (ص٦٩، ٧٠).

(٢٢) بابُ ما جاء أنَّ بعض هذه الأمة يعبدُ الأوثان

وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

وقولِه تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقولِه تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

عن أبي سعيد رضي الله عنه؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لتتبعُنَّ سَنن من كان قبلكم حَذْوَ القُذَّةِ بالقذَّة، حتى لو دَخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه**». قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**»(٩٨). أخرجاه.

ولمسلم عن ثَوبان رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ الله زَوَى لي الأرض، فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإنَّ أُمَّتي سيبلُغ ملكُها ما زُويَ لي منها، وأُعطيتُ الكنزين: الأحمرَ والأبيض. وإني سألتُ ربي لأُمتي أَنْ لا يُهلكها بسنَةٍ بعامَّة، وأنَّ لا يُسلِّط عليهم عدوًّا من سِوى أنفسهم، فيستبيحَ بَيْضتهم. وإنَّ ربي قال: يا محمد! إذا قضيتُ قضاءً فإنَّه لا يُرَدُّ، وإني أعطيتك لأُمتك أنْ لا أُهلكهم بسنةٍ بعامَّة، وأنْ لا أُسلِّط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم**

---

(٩٨) الحديث أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» في كتاب: الاعتصام، باب: قول النبي ﷺ: «**لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم**». وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: العلم، باب: اتباع سنن اليهود والنصارى.

فيستبيحَ بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها؛ حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويَسْبي بعضهم بعضًا»(٩٩).

ورواه البرقانيُّ في «صحيحه»، وزاد: **«وإنَّما أخافُ على أُمَّتي الأئمة المضلِّين، وإذا وقع عليهم السيفُ لم يُرْفَع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يَلْحَق حَيٌّ من أمتي بالمشركين، وحتى تَعْبُدَ فِئَامٌ من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أُمتي كذَّابون ثلاثون، كلُّهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتمُ النبيين؛ لا نبيَّ بَعْدي، ولا تزالُ طائفةٌ من أُمتي على الحقِّ منصُورة، لا يَضُرُّهم مَنْ خذلهم حتى يأتي أمرُ الله - تبارك وتعالى -»**(١٠٠).

۞ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء.

الثانية: تفسير آية المائدة.

الثالثة: تفسير آية الكهف.

الرابعة ـ وهي أهمها ـ: ما معنى الإيمان بالجبتِ والطاغوت في هذا الموضع؛ هل هو اعتقادُ قلب، أو هو موافقةُ أصحابها مع بُغضها ومعرفة بطلانها؟

---

(٩٩) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب: الفتن، باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض.

(١٠٠) لم أجد تخريج هذه الزيادة عند البرقاني رحمه الله، ولكن ذكر الدكتور الوليد بن عبد الرحمن آل فريان في «تحقيقه لكتاب فتح المجيد» عن الخطيب أنَّه قال فيه: كان ثبتًا ورعًا لم نر في شيوخنا أثبت منه عارفًا بالفقه كثير التصانيف صنف مسندًا ضمَّنه ما اشتمل عليه الصحيحان. **قلت**: ولعل هذا الحديث بهذه الزيادة في هذا الكتاب ويحتمل أن يكون في غيره، وقد رواها أبو داود في كتاب: الفتن، باب: ذكر الفتن. وسكت عنها، وابن ماجه في كتاب: الفتن، باب: ما يكون من الفتن. وغيرهما.

الخامسة: قولهم: إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلًا من المؤمنين!

السادسة ـ وهي المقصود بالترجمة ـ: أنَّ هذا لا بدَّ أن يوجد في هذه الأمة، كما تقرر في حديث أبي سعيد.

السابعة: التصريح بوقوعها؛ أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة.

الثامنة: العجب العجاب: خروج من يدعي النبوة؛ مثل المختار، مع تكلمه بالشهادتين، وتصريحه بأنه من هذه الأمّة، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق.

وفيه: أن محمدًا خاتم النبيين، ومع هذا يُصَدَّقُ في هذا كلِّه مع التضادِّ الواضح.

وقد خرج المختارُ في آخر عصر الصحابة، وتبعه فئامٌ كثيرة.

التاسعة: البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية، كما زال فيما مضى، بل لا تَزالُ عليه طائفة.

العاشرة: الآية العظمى: أنهم مع قِلَّتهم لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم.

الحادية عشرة: أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة.

الثانية عشرة: ما فيه من الآيات العظيمة؛ منها:

❑ إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب، وأخبر بمعنى ذلك، فوقع كما أخبر، بخلاف الجنوب والشمال.

❑ وإخبارُه بأنه أُعطي الكنزين.

❑ وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين.

❑ وإخباره بأنه مُنع الثالثة.

❑ وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يُرفع إذا وقع.

❑ وإخباره بإهلاك بعضهم بعضًا، وسبي بعضهم بعضًا، وخوفه على أمته من الأئمة المضلين.

❑ وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة.

❑ وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة.

وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول.

الثالثة عشرة: حصره الخوف على أمته من الأئمة المضلِّين.

الرابعة عشرة: التنبيه على معنى عبادة الأوثان.

الشرح

وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ فقد نزلت في اليهود، وقد ذهب إلى المشركين قومٌ من اليهود كما روى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: جاء حيي بن أخطب وكعب ابن الأشرف إلى أهل مكة فقالوا لهم: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم فأخبرونا عنا وعن محمد فقالوا: ما أنتم وما محمد؟ فقالوا: نحن نصل الأرحام، وننحر الكوماء - المرتفعة السنام - ونسقي الماء على اللبن، ونفك العناة، ونسقي الحجيج، ومحمد صنبور - الأبتر الذي لا عقب له - قطع أرحامنا، واتبعه سرَّاق الحجيج من غفار، فنحن خيرٌ أم هو؟ فقالوا: أنتم خير وأهدى سبيلًا، فأنزل الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾[(١٠١)] .

وإذا تأملنا في حال الحزبيين؛ فنحن نجدهم شابهوا اليهود حين عقدوا مع الروافض اتفاقًا وقالوا: نحن مسلمون، وهم مسلمون، وهم مع ذلك يبغضون الموحدين، ولا يطيقونهم أبدًا، فقد تعاطفوا، وتصالحوا مع جميع فئات الضلال، وقبلوهم أعضاءً في حزبهم. أمَّا الموحدون فإنَّهم لا يطيقونهم أبدًا، أليس في هذا دليل على أنَّهم فئة ضلال؛ بلى والله إنَّهم لكذلك. قد أخبر الله عن كل رسول بعث أنَّه يدعو إلى التوحيد. أمَّا الإخوان المسلمون فإنَّهم يدعون إلى خلافة والنبي ﷺ بدأ بالتوحيد، وهم

---

(١٠١) الأثر ذكره الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتاب «فتح المجيد»، وقد أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٢٥١) برقم: (١١٦٤٥)، وأورده الإمام ابن كثير في «تفسيره»، وغير واحد من أهل التأويل.

بدأوا بالدعوة إلى خلافة.

والنبي ﷺ بدأ بالعقيدة وهم يعتنون بفضائل الأعمال؛ ليغروا بها الناس، ويتساهلون في العقائد التي هي الأصل في الدين[١٠٢].

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ﴾ وهذه الآية ردٌّ على اليهود؛ الذين فضَّلوا المشركين على أصحاب النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ وسياق هذه الآية في ضمن الآيات التي ردَّ الله بها على اليهود في زعمهم أنَّ المشركين أهدى من المؤمنين الموحدين فقال الله ﷻ لهم رادًّا عليهم، ومبينًا ما هم عليه من الكفر، وما لهم عند الله من العقوبة: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ﴾ وهم أنتم الذين لعنكم الله، وجعل منكم القردة، والخنازير، وكان منكم من عبد الطاغوت، فهذه حقيقتكم يا أيها اليهود الضالون، البعيدون عن مواطن

---

(١٠٢) لمزيد من الإيضاح والتبيان عن حال هذه الجماعات الحزبية المعاصرة وما فيها من البدع والضلالات وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين راجع إن شئت الكتب التالية: «المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال» لفضيلة الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النَّجمي حفظه الله، وكتابه الآخر «الرد الشرعي المعقول على المتصل والمجهول»، و«الأجوبة السديدة على الأسئلة الرشيدة» لفضيلة الشيخ العلامة زيد بن محمد المدخلي حفظه الله، وكتابه الآخر «الإرهاب وأثره على الأفراد والأمم»، وكتاب «جماعة واحدة لا جماعات وصراط واحد لا عشرات» لفضيلة الشيخ العلامة الدكتور ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله، وكتابه «منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل» وغيرها من كتب السلفيين وهي كثيرةٌ ولله الحمد، واحذر من كتب أهل الغي والضلال حفظنا الله وإياك وسائر المسلمين من البدع والمحدثات، وأماتنا جميعًا على النهج القويم، والصراط المستقيم آمين يا رب العالمين.

رضى الله ﷻ.

والتعبير بالمثوبة هنا المقصود بها الجزاء، والجزاء من جنس العمل، ولما كانت أعمالهم أعمال كفرٍ، وفسق، وموجبات لغضب الله ﷻ؛ لذلك فإنَّ الله قد عاقبهم في الدنيا باللعن والغضب، ومسخ بعضهم قردةً، وخنازير؛ بسبب ما هم عليه من الكفر، والخبث، والبغض لعباد الله الموحدين.

أمَّا في الآخرة فعاقبتهم عاقبة كل كافر عبد الطاغوت في الدنيا بدلًا من عبادة الله ﷻ فكيف تذمون المؤمنين، وأنتم شرُّ خليقة الله، فلكم الجزاء السيئ عند الله تعالى بسبب ما قدمتم من الأعمال القبيحة، والله أعلم.

وقول الله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ المقصود بالذين غلبوا: هم أصحاب الكلمة، والنفوذ.

وهل هم المؤمنون أم الكافرون؟ الظاهر أنَّهم الكافرون؛ لأن اتخاذ المساجد على القبور من طبيعة الكافرين، وطريقهم في كل زمانٍ ومكان، فالذين صمموا على اتخاذ المسجد عليهم الأقرب أنَّهم الكافرون؛ لأنَّ الإسلام ذم الذين يتخذون القبور مساجد، والله تعالى أعلم.

ثمَّ أورد حديث أبي سعيد رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه**» قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن**».

يؤخذ من هذا الحديث:

١ - السنن جمع سنة، والسنة هي الطريقة.

٢ - أنَّ هذه الأمة ستأخذ ما أخذته القرون قبلها، وسيتَّبعون سنن أهل الكتاب، وطرائقهم وقد جاء في الحديث: «**ليأتين على أمتي ما أتى على بني**

إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا واحدة». قالو: ومن هي يا رسول الله؟ قال: **«ما أنا عليه وأصحابي»**(١٠٣) .

٣ - قوله: **«حذو القذة بالقذة»**. القذة هي الخطة التي تفصل بين السنين كما في أسنان المنجل وهو الذي تقطع به الأعشاب، فكل سنَّين بينهما فاصل تلك هي القذة.

٤ - قوله: **«حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه»**. يعني أنَّ جحر الضب متعرج، فلو دخلوا جحر ضب لدخلتموه.

ولمسلم عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ...»** الحديث.

من فوائد هذا الحديث:

١ - أنَّ الله زوى لنبيه الأرض، وأتى بها إليه، فرأى مشارقها، ومغاربها.

٢ - أنَّ أمته بلغ ملكها ما زوي له منها.

٣ - أنَّ النبي ﷺ أعطي الكنزين الأحمر، والأبيض، وهذان الكنزان هما كنوز كسرى وقيصر واللتين هما الدولتان العظيمتان في ذلك الزمن إحداهما معظم كنوزها الذهب، والدولة الأخرى معظم كنوزها الفضة.

٤ - أنَّ النبي ﷺ سأل ربه لأمته: ألَّا يهلكها بسنة عامَّة، يعني ألا يجعل القحط عامًّا عليهم حتى يهلكهم. دعا النبي ﷺ ربه ﷻ ألَّا يهلكهم بذلك،

---

(١٠٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: الإيمان، باب: افتراق الأمم. وقد صحح الحديث الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٢/٩٤٣) برقم: (٥٣٤٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأحال إلى «المشكاة» برقم: (١٧١)، و«شرح الطحاوية» برقم: (٢٦٣) وقال: حديثٌ حسن.

فأعطاه إياه، ومعنى ذلك أنَّه إذا وقع الجدب في مواضع؛ وقع الخصب في مواضع أخرى، وإذا وقعت الشدة في مواضع؛ وقع الرخاء في مواضع أخرى.

٥ - يؤخذ من قوله: «**أن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم**». دليلٌ ثابت وهو ضمان من الله لأمة محمد ﷺ **ألا يهلكهم بعدوٍّ** يستبيح بيضتهم والبيضة هي الأصل وكأنَّ الأصل في موطن هذه الأمة هي أرض الحرمين، ولهذا جاء في الحديث: «**إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها**»[١٠٤].

٦ - يؤخذ من قوله ﷺ: «**وإنَّ ربي قال: يا محمد إنِّي إذا قضيت قضاءً لا يرد...**» إلى قوله: «**يهلك بعضهم بعضًا**». في هذا ضمانٌ من الله بعدم تسليط القحط عليهم أو تسليط العدو عليهم ينتهي بكونه يسبي بعضهم بعضًا، ويهلك بعضهم بعضًا أو أنَّ التسليط سيكون من بعضهم على بعض، وأنَّ الرب جلَّ في علاه قد ضمن لنبيه أن لا يسلط عليهم قحطًا عامًّا يهلكهم: «**وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم**». أي هم اليهود والنصارى وغيرهم من أصحاب الملل الكفرية.

وفي رواية البرقاني في «صحيحه» وزاد: «**وإنَّما أخاف على أمتي الأئمة المضلين...**» الحديث.

وأقول: إنَّ الأئمة المضلين من نصَّبوا أنفسهم للدعوة؛ وهم قد تركوا التوحيد، وشرَّعوا التعبد بالبدع، ومن الأئمة المضلين من شرعوا لطلاب العلم تكفير أمَّة محمد ﷺ وولاة الأمر، والعلماء، وهذا كله حاصلٌ، وإنَّ هؤلاء لمن الأئمة المضلين؛ الذين يخالفون نهج الشارع بل نهج الرسل

---

(١٠٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب: الإيمان، باب: أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا وأنه يأرز بين المسجدين. من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

جميعًا؛ وهو البدء بالتوحيد. والحقيقة أنَّ منهج الإخوان المسلمين، والسرورية، والقطبية؛ أصله متغلغل من منهج جمال الدين الأفغاني؛ هذا الرجل تحوم حوله شكوك؛ فهو يظهر أنَّه شيعي، ويظهر والعياذ بالله أنَّه كان يدعي أشياء ليست له، ولا هي فيه؛ بل اتصل بالماسونية، وانتظم فيها، هو وتلميذه محمد عبده؛ فهو الذي جاء بهذه المذاهب المنحرفة فالاعتزال مذهبه الخروج، فهم والخوارج سواء؛ لكن أهل الاعتزال لم يصرحوا بالكفر ولكنَّهم قالوا: إنَّه في منزلة بين المنزلتين وفي الآخرة يكونون مخلدين في النار؛ أي أصحاب الكبائر. الناحية الثانية: يظهر أنَّه شيعي؛ لذلك تجد أنَّ الإخوان المسلمين؛ بل رئيسهم والداعية، والمقرر لهذا المنهج والمؤسس له كان يدعو إلى التقارب بين أهل السنة والشيعة، مع ما عند الشيعة من أمور فظيعة والعياذ بالله، ونسأل الله العفو والعافية؛ من ذلك زعمهم أنَّ جبريل خان حيث كانت الرسالة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأخطأ فيها، ووضعها على محمد ﷺ؛ ومن ذلك زعمهم في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أنَّهما مغتصبان[١٠٥] وتكفيرهم للصحابة، وما أشبه ذلك.

فالمهم أنَّ هذه العقيدة متغلغلة من هناك[١٠٦] ، ونسأل الله العفو والعافية.

٧ - يؤخذ من قوله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين»**. ما أكثر من لحق بالمشركين والملحدين في هذا الزمن، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

٨ - يؤخذ من قوله: **«وإنَّه سيكون في أمتي كذَّابون ثلاثون كلهم يزعم أنَّه**

---

(١٠٥) يعني للخلافة.

(١٠٦) أي منهج الإخوان، والسرورية، والقطبية متغلغل من عقيدة جمال الدين الذي تأثر بعقيدة الماسونية، والتشيع أو بمعنى أصح عقيدة الروافض أعاذنا الله وإياكم من فتن الشهوات والشبهات، وثبتنا وإياكم على السنة، ومنهج سلف الأمة.

نبي، **وأنا خاتم النبين لا نبي بعدي»**. قد وقع في زمن النبي ﷺ اثنان من الرجال ادعيا النبوة، وهما: الأسود العنسي، ومسيلمة الكذاب، وكلاهما قد قتلا، والحمد لله، وامرأةٌ يقال لها: سجاح ادعت النبوة أيضًا، ثمَّ إنَّها تابت، ومن تتبع التاريخ، فسيجد الشيء الكثير من هذا.

١٠ - قوله: **«ولا تزال طائفةٌ من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله - تبارك وتعالى -»**. هذه الطائفة قد قال أهل العلم: أنَّهم أهل الحديث؛ أصحاب المنهج السلفي. والحمد لله على ذلك.



(٢٣) بابُ ما جاء في السِّحر

وقولِ الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَىٰهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقولِه: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قال عمر: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان.

وقال جابر: الطواغيت: كُهَّانٌ، كان ينزل عليهم الشيطانُ، في كلِّ حيٍّ واحد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اجتنبوا السبعَ المُوبقات**». قالوا: يا رسول الله! وما هُنَّ؟ قال: «**الشركُ بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلَّا بالحق، وأكلُ الربا، وأكلُ مال اليتيم، والتولِّي يوم الزَّحْف، وقذفُ المُحصَناتِ الغافلات المؤمنات**»(١٠٧).

وعن جُندب مرفوعًا: «**حَدُّ الساحر: ضربُه بالسيف**». رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف(١٠٨).

---

(١٠٧) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: الوصايا، باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾. وفي كتاب: الحدود، باب: رمي المحصنات. وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها.

(١٠٨) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب: الحدود، باب: ما جاء في الساحر. وأخرجه الحاكم في «المستدرك» في كتاب: الحدود (٤/ ٤٠١) برقم: (٨٠٧٣) وقال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٦) برقم: (١٦٢٧٧) باب: تكفير الساحر وقتله. والدارقطني في «السنن» (٣/ ١١٤) رقم: (١١٢)، والطبراني في

وفي «صحيح البخاري» عن بَجالة بن عَبدة قال: كتب عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: أنِ اقتلوا كلَّ ساحرٍ وساحرة. قال: فقتلنا ثلاثَ سواحر(١٠٩).

وصحَّ عن حفصة رضي الله عنها: أنَّها أمرت بقتل جاريةٍ لها سحرتْها، فقُتِلَت(١١٠).

وكذا صحَّ عن جُندب(١١١).

= «المعجم الكبير» (٢/ ١٦١) برقم: (١١٦٦٥)، وقد ضعف الإمام الألباني رحمه الله هذا الحديث في «السلسلة الضعيفة» برقم: (١٤٤٦).

(١٠٩) هذا الأثر بهذا اللفظ لم أجده في «صحيح الإمام البخاري» وإنما وجدته في غيره من كتب السنن والمسانيد، فقد أخرجه بهذ اللفظ صاحب «الاستذكار» (٨/ ١٦١)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٥/ ٥٦٢) برقم: (٢٨٩٨٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٦) برقم: (١٦٢٧٥) باب: تكفير الساحر وقتله. وأخرج الحديث بنحوه الإمام أبو داود في «سننه» (٣/ ١٦٨) برقم: (٣٠٤٣) باب: في أخذ الجزية من المجوس. والبيهقي أيضًا في «السنن» (٨/ ٢٤٧) برقم: (١٦٨٩٩) باب: ما جاء في حد الذميين. والدارقطني (٢/ ١٥٤) الحديث الأول باب: في جزية المجوس. والإمام أحمد (١/ ١٩٠) برقم: (١٦٥٧)، وفي «مسند أبي يعلى» (٢/ ١٦٦) رقم: (٨٦٠)، و«مصنف عبد الرزاق» (٦/ ٤٩) رقم: (٩٩٧٢) و(١٠/ ١٧٩) رقم: (١٨٧٤٥) باب: قتل الساحر. وفي (١٠/ ٣٦٧) رقم: (١٩٣٩٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٤٣٠) رقم: (٣٢٦٥٢)، وفي «فتح الباري» (٦/ ٣٦١) و(١٠/ ٢٣٦) قوله باب: السحر. برقم: (٥٤٣٣).

(١١٠) الأثر أخرجه الإمام البيهقي في «سننه» (٨/ ١٣٦) برقم: (١٦٢٧٦)، والشافعي في «مسنده» (١/ ٣٨٣) برقم: (١٧٦١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٨٧) برقم: (٣٠٣)، والإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٧١) برقم: (١٥٦٢)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٠/ ١٨٠) رقم: (١٨٧٤٧)، وابن أبي شيبة (٥/ ٤٥٣) رقم: (٢٧٩١٢) و(٥/ ٥٦١) رقم: (٢٨٩٨٠)، وفي «تحفة الأحوذي» (٤/ ٥٩٧).

(١١١) الأثر أخرجه الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٢٢) برقم: (٢٢٦٨)، قال الدكتور الوليد آل فريان على تحقيقه لهذا الأثر: قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٣/ ٣): إسناده صحيح، وقد أخرج الأثر أيضًا في كتاب «الإصابة في تمييز الصحابة» (١/ ٥١٢).

قال أحمد: عن ثلاثةٍ من أصحاب النبي ﷺ.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية النساء.

الثالثة: تفسير الجبت والطاغوت، والفرق بينهما.

الرابعة: أن الطاغوت قد يكون من الجن، وقد يكون من الإنس.

الخامسة: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي.

السادسة: أن الساحر يكفر.

السابعة: أنه يُقتل ولا يُستتاب.

الثامنة: وجود هذا في المسلمين على عهد عمر، فكيف بعده؟.

الشرح

السحر حقٌّ، بمعنى: وقوعه حق.

قال شيخنا حافظ بن أحمد الحكمي:

والسحر حق وله تأثير ... لكن بما قدره القديرُ

أعني بذا التقدير ما قد قدره ... في الكون لا في الشرعة المطهرة

والسحر حقٌّ وله تأثير لكن بما قدَّره القدير؛ أعني بذا التقدير ما قد قدَّره في الكون لا في الشرعة المطهرة، فالسحر مما قدَّره الله كونًا، ومنعه شرعًا، كما أنَّ الله قد قدَّر الكفر كونًا، ومنعه شرعًا.

وهو ينقسم إلى قسمين:

١ - قسمٌ يقال له سحر التخييل.

٢ - وقسمٌ يقال له سحر التأثير.

فمن سحر التخييل: ما أخبر الله ﷻ به عن سحرة فرعون حين قال: ﴿قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ۝ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝﴾ [طه: ٦٥، ٦٦].

وأمَّا سحر التأثير: فهو كثيرٌ أيضًا، وأنواعه متعددة:

فمنه: حبس الرجل عن امرأته، وتأخيره عنها حتى لا يشتهيها أو لا يتحرك إليها؛ قال الله ﷻ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ومنه أيضًا - أي من سحر التأثير -: ما يحصل لكثير من الناس، ومن ذلك ما حصل للنبي ﷺ حين سحره لبيد بن عاصم اليهودي عليه لعنة الله

فرقاه جبريل بالمعوذتين، وأخبره بمكان السحر فأرسل إليه، وأتي به(١١٢).

والمهم أنَّ السحر كفرٌ قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾ فقد أخبر الله ﷻ أنَّ الشياطين كفروا بتعليمهم السحر للناس، وافترائهم على سليمان بأنَّه هو الذي كفر.

ثانيًا: بإخبار الله عن الملكين أنَّهما ما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنَّما نحن فتنةٌ فلا تكفر.

ثالثًا: يؤخذ من قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ﴾ أي من استبدله عن الإيمان فإنَّه لا خلاق له في الآخرة؛ أي لا نصيب له من السعادة، ولا من الجنة.

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] قال عمر: «الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان»، وقال جابر: «الطواغيت: كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد».

وأقول: إنَّ من استقرأ أحوال الجاهلية، وما كانوا عليه في جاهليتهم يعرف ذلك جيدًا؛ فالطواغيت كهَّانٌ تنزل عليهم الشياطين في كل حيٍّ واحد يفزعون إليه، فيأتيهم بأسجاع ربما يكون فيها الكلمة التي تسمع من الملائكة، ولهذا فإنَّهم منعوا حين بعث النبي ﷺ عن الاستماع قال الله ﷻ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ

---

(١١٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده. وفي كتاب: الطب، باب: السحر. وفي كتاب: الأدب، باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾. وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: السلام، باب: السحر. من حديث عائشة ﵂.

مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن: ٨ - ١٠].

ومن هذه الآيات يتبين لنا أمور:

١ - أنَّهم كانوا يقعدون في مقاعد للسمع في السماء من أجل أن يسمعوا كلامًا يغوون به الناس.

٢ - أنَّهم منعوا بعد بعثة النبي ﷺ فلم يقدروا على شيء من الاستماع، وأنَّ السماء حرست بالشهب؛ التي ترمي الشياطين؛ فتحرقهم.

٣ - يؤخذ منه أنَّ الجن لا يعلمون شيئًا من الغيب. ولهذا قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾.

٤ - أنَّ الشياطين تؤمن بربها، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام، وهكذا الكفار من الإنس يؤمنون بربهم، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام، والطاغوت مشتق من الطغيان، والظاهر أنَّ التاء للتكثير؛ أي لوقوعهم في الطغيان كثيرًا؛ والطغيان هو الزيادة في الشيء التي تخرج به عن حده.

ثمَّ أورد حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**». قالوا يا رسول الله: وما هنَّ؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر...**» الحديث. والسحر قد تقدم الكلام عليه.

ثمَّ أورد حديث جندب مرفوعًا: «**حد الساحر ضربه بالسيف**» أو قال: «**ضربةٌ بالسيف**». وجندب هذا هو جندب الخير الذي وقف على ساحر؛ وهو يزعم بأنَّه يقطع رأس الغلام ويرده، فذهب جندب فاشتمل على سيفه، ثمَّ أتى فلما ذهب يلعب ضرب رأسه بالسيف فسقط فقال: «إن كان صادقًا فليرد رأسه» وقال: «حد الساحر ضربة بالسيف»[113].

(١١٣) الحديث سبق تخريجه في أول الباب.

وقال في صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة: كتب عمر بن الخطاب: «أن اقتلوا كل ساحرٍ وساحرة». قال: «فقلنا ثلاث سواحر». وصح عن حفصة ﵂: «أنّها أمرت بقتل جاريةٍ لها سحرتها؛ فقتلت».

وأقول: في هذه الآثار ما يدل على كفر الساحر، وأنَّ حدَّه ضربةٌ بالسيف؛ سواء كان رجلًا أو امرأة.

ويؤخذ من هذه الآثار: أنَّه يستتاب، ويقتل[(١١٤)] .

ويؤخذ منه: وجود السحر في المسلمين في زمن عمر بن الخطاب ﵁ فكيف بزمننا هذا، علمًا بأنَّ وجوده في زمن عمر كان من بقايا الجاهلية فيما نظنّ.



(١١٤) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في «فتح المجيد» عند قوله: «كتب إلينا عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحرٍ وساحرة» وظاهره أنَّه يقتل من غير استتابة وهو كذلك على المشهور عند أحمد، وبه قال مالكٌ، لأن علم الساحر لا يزول بالتوبة، وعن أحمد يستتاب فإن تاب قبلت توبته، وبه قال الشافعي؛ لأن ذنبه لا يزيد عن الشرك، والمشرك يستتاب، وتقبل توبته، ولذلك صحَّ إيمان سحرة فرعون وتوبتهم. اهـ. ثمَّ قال الدكتور الوليد بن عبد الرحمن على تحقيقه لكتاب «فتح المجيد» عند هذا الموضع: «ينظر أبو يعلى الروايتين» (٢/ ٣٠٣).

(٢٤) بابُ بيان شيءٍ من أنواع السحر

قال أحمد: حدَّثنا محمد بن جعفر، حدَّثنا عوف، عن حيَّان بن العلاء، حدثنا قَطَن بن قَبيصة، عن أبيه؛ أنه سمع النبي ﷺ قال: **«إنَّ العِيَافة، والطَّرْق، والطِّيَرة من الجبْت»**.

قال عوف: العيافةُ: زَجر الطير، والطَّرْقُ: الخط يُخط في الأَرض. والجبت: قال الحسن: رَنَّةُ الشيطان. إسنادُه جيد.

ولأبي داود، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه» المسندُ منه[١١٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من اقتبس شُعبةً من النجوم فقد اقتبس شعبةً من السحر، زادَ ما زاد»**. رواه أبو داود، وإسناده صحيح[١١٦].

---

(١١٥) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في «صحيحه» (١٣/ ٥٠٢) برقم: (٦١٣١)، وأبو داود في (٤/ ١٦) برقم: (٣٩٠٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٩) برقم: (١٦٢٩٢)، وأبو جعفر الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣١٢) برقم: (٦٥٨٠)، والإمام أحمد ابن حنبل في «مسنده» (٣/ ٤٧٧) برقم: (١٥٩٥٦) و(٥/ ٦٠) برقم: (٢٠٦٢٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٣٦٩) برقم: (٩٤٤)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٠/ ٤٠٣) رقم: (١٩٥٠٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٥/ ٣١١) رقم: (٢٦٤٠٣)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٥/ ٥٤٦) برقم: (٧٣٣٤)، و«تاريخ بغداد» (١٠/ ٤٢٤) برقم: (٥٥٨٣).

(١١٦) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في «سننه» (٤/ ١٥) برقم: (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٢/ ١٢٢٨) برقم: (٣٧٢٦)، والإمام البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ١٣٨) برقم: (١٦٢٩٠)، والإمام أحمد (١/ ٢٧٧) برقم: (٢٠٠٠) و(١/ ٣١١) برقم: (٢٨٤١)، والإمام ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٥/ ٢٣٩) برقم: (٢٥٦٤٦)، وقد صحح الحديث الإمام محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٢/ ١٠٤٩) برقم: (٦٠٧٥)

وللنسائي من حديث أبي هريرة: «**مَن عقد عُقدةً ثم نفَث فيها فقد سَحر، ومن سَحر فقد أشرك، ومن تعلَّق شيئًا وُكِلَ إليه**»(١١٧).

وعن ابن مسعود؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ألا أُنبئُكم ما العَضْهُ؟ هي النميمة؛ القالةُ بين الناس**»(١١٨). رواه مسلم.

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ من البيان لسحرًا**»(١١٩).

فيه مسائل:

الأولى: أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت.

الثانية: تفسير العيافة والطرق والطيرة.

الثالثة: أن علم النجوم نوع من السحر.

الرابعة: أن العَقْدَ مع النَّفْث من ذلك.

الخامسة: أنَّ النميمة من ذلك.

السادسة: أنَّ مِنْ ذلك بعضُ الفَصَاحة.

= وأشار إلى صحته في «السلسلة الصحيحة» برقم: (٧٩٣).

(١١٧) الحديث أخرجه النسائي في «المجتبى» (٧/١١٢) برقم: (٤٠٧٩)، وفي «السنن الكبرى» للبيهقي (٢/٣٠٧) برقم: (٣٥٤٢)، قال الشيخ الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع» (ص٨٢٢) برقم: (٥٧٠٢): ضعيف، وأشار إلى ضعفه في «الترغيب» (٤/٥١).

(١١٨) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب: البر والصلة، باب: تحريم النميمة.

(١١٩) أخرجه الإمام البخاري في كتاب: النكاح، باب: الخطبة. من حديث ابن عمر، وفي كتاب: الطب، باب: وإنَّ من البيان لسحرًا. وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة. من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما.

الشرح

العيافة: هي زجر الطير؛ وذلك أنَّ أهل الجاهلية كان فيهم قومٌ يستعملون العيافة بمعنى يقولون: إن جاءك الطير من جهة اليمين لليسار فهو كذا أو من جهة اليسار لليمين فهو كذا أو جاء مواجهًا لك فهو الناطح، ويترتب عليه كذا أو جاءك من الخلف فهو يترتب عليه كذا، ويدَّعون في هذه العيافة أشياء من علم الغيب، ويزعمون أنَّها تتحقق، فلذلك هو يعتبر من الجبت أي من أنواع السحر.

وكذلك الطرق بالحصى أو اللبن؛ بحيث يدَّعي هذا الطارق أنَّ فلانًا الغائب حاله كذا؛ وأنَّه سيأتي في يوم كذا، أو ما أشبه ذلك من الإخبار عن المغيبات.

والخط في الأرض هو ما يسمَّى بخط الرَّمل، وقد جاء في الحديث: **«كان نبي يخط فمن وافق خطَّه فذلك»**[١٢٠]. أي خط ذلك النبي فإنَّه يعني جائزٌ؛ أي ليس بمحرم.

وأقول: أمَّا تفسير الطرق بالخط في الأرض كما في الأثر؛ فهذا فيه نظر، والصحيح أنَّ الخط هو ما قلنا.

والجبت: قال الحسن: رنَّة الشيطان.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبةً من السحر زاد ما زاد»**. رواه أبو داود بإسناد

(١٢٠) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، في باب: تحريم الكلام في الصلاة. وفي كتاب: السلام، باب: تحريم إتيان الكهان. من حديث معاوية ابن الحكم رضي الله عنه.

صحيح.

يعني أنَّه يزداد في السحر كلما ازداد من علم النجوم.

وللنسائي من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «من عقد عقدة ثمَّ نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئًا وكل إليه» لماذا يكون الساحر مشركًا؟؛ لأنَّه يعتمد في سحره على الأرواح الشيطانية الخبيثة، ويستعين بها، فلذلك يكون مشركًا؛ لأنَّه لا يتم له ذلك إلَّا بما ذكر.

قوله: عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ألا أنبئكم ما العَضْه؟ هي النميمة: القالة بين الناس**». رواه مسلم.

سميت النميمة عضهًا من العضه وهو البهتان والكذب ولكونها يترتب عليها إفساد القلوب إفسادًا عظيمًا؛ وهي تفسد القلوب كإفساد السحر أو أشد، والنميمة هي نقل الكلام على جهة الإفساد، فمن نقل كلامًا من رجلٍ إلى آخر بقصد الإفساد، فهو داخل في هذا الحديث ويترتب عليه ما يترتب على السحر من الأذى، وانقطاع المودة، وملء القلوب بالضغينة والإحن؛ حتى يكاد الرجل يتفجر من الغيظ على أخيه، وهذا إفسادٌ عظيم يترتب عليه من المفسدة، ما يترتب على السحر أو أشد.

ولهما عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ من البيان لسحرًا**».

البيان: هو السحر الحلال، وذلك أنَّ الشخص إذا كان عنده لسنٌ، وفصاحة، وقوة في تنميق الكلام، وتزيينه؛ فإنَّه يؤثر في القلوب بالإقناع، وكان سبب هذا الحديث أنَّ رجلًا ذمَّ رجلًا من تميم، ثمَّ مدحه، فقال له النبي ﷺ في ذلك، فقال: غضبت فقلت أقبح ما علمت، ورضيت فقلت أحسن ما وجدت، فقال النبي ﷺ: «**إنَّ من البيان لسحرًا**»[١٢١].

(١٢١) الحديث سبق تخريجه في الصفحة السابقة، وأمَّا ذكر سبب ورود الحديث فهو عند

فالبيان سمِّي سحرًا؛ لأن فيه قوة على تحويل القلوب، وإدخال الإقناع فيها، وهو سحر مباح إن شاء الله، ولكن أحيانًا يكون فيه ظلم؛ حينما يكون المبطل أكثر فصاحةً من المحق؛ فيزوق باطله بفصاحته ولَسَنِه حتى يكون هو الناجح عند الحاكم، وأمثاله وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: «**إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي على نحو ما أسمع فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه؛ فإنما أقطع له قطعة من النار**»[(١٢٢)] .

= الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٧١٠) برقم: (٦٥٦٨)، وبنحوه في «المعجم الأوسط» للطبراني (٧/ ٣٤١) برقم: (٧٦٧١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(١٢٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: الحيل، من «صحيحه» باب: إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت فقضي بقيمة الجارية الميتة ثم وجدها صاحبها فهي له ويرد القيمة ولا تكون القيمة ثمنًا. وفي كتاب: الشهادات، باب: من أقام البينة بعد اليمين. وفي كتاب: الأحكام، باب: موعظة الإمام للخصوم. وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: الأقضية، باب: الحكم بالظاهر واللحن بالحجة. من حديث أم سلمه رضي الله عنها.

(٢٥) بابُ ما جاء في الكُهَّان ونحوهم

روى مسلم في «صحيحه» عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **«مَن أتى عَرَّافًا فسأله عن شيءٍ، فصدَّقه بما يقول، لم تُقبَل له صلاةٌ أربعين يومًا»**[١٢٣].

وعن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«مَن أتى كاهنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنْزِلَ على محمد ﷺ»**. رواه أبو داود.

وللأربعة، والحاكم ـ وقال: صحيحٌ على شرطهما ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه: **«من أتى عَرَّافًا أو كاهنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ»**.

ولأبي يعلى بسندٍ جيِّد عن ابن مسعود مثلُه موقوفًا[١٢٤].

---

(١٢٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب: السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان دون قوله: **«فصدقه بما يقول»** قال محققا «القول المفيد»: وأخرج هذه الزيادة الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٦٨)، (٥/ ٣٨٠). اهـ.

(١٢٤) الحديث أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩) رقم: (٤٩)، وأحمد (٢/ ٤٢٩) رقم: (٩٥٣٢) و(٢/ ٦٨) برقم: (١٦٦٨٩)، وابن ماجه (١/ ٢٠٩) رقم: (٦٣٩)، وأبو داود (٤/ ٢٢٥) في كتاب: الطب، باب: الكاهن. والترمذي (١/ ١٦٤) في كتاب الطهارة، باب: كراهية إتيان الحائض بنحوه. وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٥) برقم: (١٦٢٧٣)، وفي «مسند إسحاق بن راهويه» (١/ ٤٣٤) رقم: (٥٠٣)، الطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٧٦) برقم: (١٠٠٠٥)، وفي «المعجم الأوسط» (٢/ ١٢٢) برقم: (١٤٥٣)، وفي «مسند ابن الجعد» (١/ ٧٧) برقم: (٤٢٥)، وفي (١/ ٢٨٧) برقم: (١٩٤١)، وفي «مسند الطيالسي» (١/ ٥٠) برقم: (٣٨٢)، وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه في (٩/ ٢٨٠) برقم: (٥٤٠٨)، وكلًّا من الرواية الواردة في المتن، ورواية: **«من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول أو أتى امرأةً حائضًا أو أتى امرأةً**

وعن عمران بن حُصين مرفوعًا: «**ليس منا مَن تطيَّر أو تُطُيِّر له، أو تكهَّن أن تُكُهِّن له، أو سَحر أو سُحر له، ومَن أتى كاهنًا فصدَّقهُ بما يقول فقد كفر بما أُنْزِلَ على مُحمد ﷺ**». رواه البزَّار بإسنادٍ جيد.

ورواه الطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن من حديث ابن عباس، دون قوله: «**ومن أتى**» إلى آخره[١٢٥].

قال البَغَوي: العرَّاف: الذي يدَّعي معرفةَ الأمور بمقدِّماتٍ يستدلُّ بها على المسروق، ومكانِ الضَّالة، ونحو ذلك.

وقيل: هو الكاهن.

والكاهن: هو الذي يُخبر عن المغيَّبات في المُستقبل. وقيل: الذي يُخبر عمَّا في الضمير[١٢٦].

وقال أبو العباس ابنُ تيمية: العرَّاف: اسمٌ للكاهن، والمُنَجِّم، والرَّمَّال، ونحوهم، ممن يتكلَّم في معرفة الأمور بهذه الطرق[١٢٧].

= **في دبرها فقد برئ مما أنزل على محمد**». صححهما الإمام الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ١٠٣١) برقم: (٥٩٣٩، ٥٩٤٢) وأشار إليها في «المشكاة» برقم: (٤٥٥٩، ٥٥١)، و«الإرواء» برقم: (٢٠٠٦)، و«شرح العقيدة الطحاوية» برقم: (٧٦٨)، و«آداب الزفاف» (ص٣١).

(١٢٥) الحديث أخرجه الإمام الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٦٢) برقم: (٣٥٥)، وفي «المعجم الأوسط» (٤/ ٣٠٢) و(٥/ ١١٨) برقم: (٤٨٤٤)، وفي «مصنف عبد الرزاق» (١١/ ٢١١) برقم: (٢٠٣٥٠) وقال محققا «القول المفيد»: أخرجه البزار، كما في «الترغيب» (٤/ ٣٣)، «ومجمع الزوائد» للهيثمي (٥/ ١١٧): وقال المنذري: إسناده جيد، وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة. اهـ. وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٢/ ٩٥٦) برقم: (٥٤٣٥): صحيح، وأشار إلى صحته في «الترغيب» (٤/ ٥٢)، و«الصحيحة» برقم: «٢١٩٥».

(١٢٦) انظر البغوي في «شرح السنة» (١٢/ ١٨٢٣).

(١٢٧) انظر «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٣٥/ ١٧٣).

وقال ابنُ عباس - في قوم يكتبون «أبا جاد»، وينظرون في النجوم -: ما أرى مَن فعلَ ذلك له عند الله من خلاق[١٢٨].

فيه مسائل:

الأولى: لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

الثانية: التصريح بأنه كفر.

الثالثة: ذكر من تُكُهِّن له.

الرابعة: ذكر من تُطيِّر له.

الخامسة: ذكر من سُحِرَ له.

السادسة: ذكر من تعلَّم «أبا جاد».

السابعة: ذكر الفرق بين الكاهن والعَرَّاف.

---

(١٢٨) الأثر أخرجه عبد الرزاق في باب: الشهادة (١١/٢٦) برقم: (١٩٨٥)، وفي «مصنف ابن أبي شيبة» (٥/ ٢٤٠) برقم: (٢٥٦٤٨).

الشرح

أقول: لقد تواترت الأحاديث الصحيحة على أنَّ من أتى إلى عراف أو كاهن أو منجم يسأله عن شيء من علم الغيب، فصدقه بما يقول، فإنَّه يعتبر قد كفر بما أنزل على محمد ﷺ ذلك لأن كتاب الله يدل على انفراد الله بالمغيبات؛ قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤]. وقال النبي ﷺ في حديث ابن المنتفق الذي رواه ابن خزيمة في «كتاب التوحيد»، ونقله عنه ابن القيم في «الهدي النبوي»: «**خمسٌ لا يعلمهن إلَّا الله**» ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ...﴾[129] الآية، فمن أتى إلى كاهن أو عراف أو منجم فسأله عن شيء من علم الغيب، وصدقه بكذبه، وادعائه بعلم المغيبات؛ فإنَّه قد كفر بهذه الآيات، ولم يؤمن بها؛ إذ إنَّ مقتضى الإيمان بذلك يمنع من إتيان الكهان، وسؤالهم فضلًا عن تصديقهم.

وقد ذكر بعض أهل العلم جمعًا بين هذه الأحاديث أنَّ من أتاه يعني الكاهن، فلم يصدقه لم تقبل منه صلاةٌ أربعين يومًا؛ ولأن هذا عقوبة له على إتيان الكهان.

أمَّا من أتاه فصدقه فإنَّه يعتبر قد كفر بما أنزل على محمد ﷺ. وهذا فيه تحذير من إتيان الكهان والاستماع إلى أقوالهم، والتصديق لأكاذيبهم؛ بأنَّ ذلك لا يحصل إلَّا ممن ضعف إيمانه ويقينه.

---

(١٢٩) الحديث أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» في أول كتاب: الإيمان، وأخرج بنحوه الإمام البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في صفة ركوب الشياطين بعضهم لبعض، واستراقهم للسمع بحيث يسمعون كلام الملائكة بينهم مع بعضهم بعضًا، فإذا ظفر الشيطان بكلمة واحدة ألقاها إلى من تحته، والذي تحته يلقيها إلى من تحته؛ حتى يلقيها الآخر على لسان الساحر أو الكاهن فيكذب معها مائة كذبة[١٣٠] ، فإذا وقع تصديق الكلمة التي سمعت من الملائكة قالوا: ألم يقل لكم يوم كذا وكذا، كذا وكذا، فصدقوه بتلك الكلمة.

فحذار حذار مَن تصديق هؤلاء سواءٌ كانوا منجمين أو سحرة أو كهنة، وقد جاء في الحديث: «**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبةً من السحر زاد ما زاد**»[١٣١] . وقد قال ابن عباس في الأثر الأخير في قوم يكتبون أبا جاد، وينظرون في النجوم: «ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق» وهذا القول جاء على ما ورد في الآية التي أخبر الله فيها عن السحر، والسحرة، وقال في خاتمتها: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٣] أي ليس له حظٌ ولا نصيب؛ وذلك أنَّ المنجمين يقولون إذا اقترن النجم الفلاني بالقمر حصل كذا؛ وإذ اقترن النجم الفلاني بالقمر حصل كذا؛ وهذا ادعاءٌ لعلم الغيب، وإضلالٌ لخلق الله، وإيهامٌ لهم بصحة ما ادعوه. نعوذ بالله من ذلك، وممن يمتهن ذلك.

ملحوظة:

قوله «يكتبون أبا جاد» أبا جاد كلماتٌ حوت حروفًا؛ وهي الحروف الثمانية والعشرين، فجعلوا لكل حرفٍ رقمًا، فالألف مثلًا واحد، والباء اثنين، والجيم ثلاثة، فإذا وصلوا إلى عشرة عدوا بالعشرات، فجعلوا

(١٣٠) الحديث سبق تخريجه في باب: قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾.

(١٣١) الحديث أيضًا سبق تخريجه في باب: بيان شيء من أنواع السحر.

الذي بعد العشرة عشرين إلى أن يصلوا إلى المائة فإذا وصلوا إلى المائة عدوا بالمائة إلى الألف هذا معنى قوله: «يكتبون أبا جاد» واستعمال هذه الحروف بهذه الصفة هو استعمال المنجمين وينبغي للمسلم أن يكون بعيدًا عن مثل هذه الأمور بل يجب أن يمقتها، ويمقت أصحابها.



(٢٦) بابُ ما جاء في النُّشرة

عن جابر: أنَّ رسول الله ﷺ سُئل عن النُّشرة، فقال: **«هي من عمل الشيطان»**. رواه أحمدُ بسندٍ جيّد، وأبو داود[١٣٢]، وقال: سُئل أحمدُ عنها. فقال: ابنُ مسعودٍ يكره هذا كلَّه[١٣٣].

وللبخاري عن قتادة: قلتُ لابن المسيّب: رجلٌ به طِبٌّ، أوَ يُؤخَّذُ عن امرأته، أَيُحَلُّ عنه أو يُنَشَّر؟ قال: لا بأسَ به، إنَّما يُريدون به الإصلاح، فأمَّا ما ينفع فلم يُنه عنه[١٣٤]. انتهى.

ورُوي عن الحسن، أنه قال: لا يَحُلُّ السحر إلَّا ساحر[١٣٥].

قال ابنُ القيِّم: النُّشرةُ: حلُّ السحر عن المسحور، وهي نوعان:

حلٌّ بسحرٍ مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يُحمل قولُ الحسن، فيتقرَّب الناشرُ والمنتشر إلى الشيطان بما يُحب، فيبطل عمله عن المسحور.

---

(١٣٢) الحديث أخرجه أبو داود في «سننه» في باب: النشرة. (٤/ ٦) برقم: (٣٨٦٨)، وفي «سنن البيهقي» (٩/ ٣٥١) رقم: (١٩٣٩٧)، و«مسند أحمد» (٣/ ٢٩٤) برقم: (١٤١٦٧)، قال الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٤٦٤): صحيح، وقال انظر «المشكاة» برقم: (٤٥٥٣).

(١٣٣) انظر «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٣/ ٦٣) فصل: في النشرة.

(١٣٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» تعليقًا بصيغة الجزم في كتاب: الطب، باب: هل يستخرج السحر. وقال الشيخ الوليد آل فريان: ووصله ابن جرير الطبري في «التهذيب»، والأثرم في «السنن»، كما في «تغليق التعليق» (٥/ ٤٩) بإسناد صحيح. اهـ.

(١٣٥) وقال أيضًا: أخرجه ابن جرير الطبري في «التهذيب»، كما في «فتح الباري» (١٠/ ٢٣٣).

والثاني: النُّشرة بالرُّقية، والتعوذات، والأدوية، والدعوات المباحة، فهذا جائز(١٣٦).

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن النُّشرة.

الثانية: الفرق بين المنهي عنه والمرخَّص فيه مِمَّا يزيل الإشكال.

الشرح

تعريف النشرة: هي حل السحر عن المسحور، وقد اختلفت أقوال السلف فيها فعن جابر رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن النشرة فقال: «**هي من عمل الشيطان**». رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود... الخ، فكلام السلف مختلفٌ كما ترى منهم من أباح النشرة، ومنهم من منعها. فيحمل قول من أباحها على جواز التنشير عنه بالأدوية، والرقى، والدعوات، ويحمل قول من منع على التنشير بالسحر. ولهذا قال الحسن البصري: «لا يحل السحر إلَّا ساحر» فهذه هي الخلاصة كما قال ابن القيم، إن كانت بالسحر فهي غير جائزة وإن كانت بالدعوات، والرقى، والأدوية فهي جائزة.

إذًا الذي يترجح لي أنه لا يجوز التنشير عن المسحور بحل السحر من

(١٣٦) قال الدكتور آل فريان: انظر ابن القيم في «زاد المعاد» (٤/ ١٢٤، ١٨١)، وابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٩٨). اهـ. **قلت: وجدتُه بمعناه لا بنصه**.

قبل الساحر؛ لأنَّ الله ﷻ لا يحرم شيئًا ويجعل إلى أهله حاجة. فالله تعالى حرم إتيان الكهان والمنجمين والسحرة، والقول بإتيانهم لحل السحر مضادة لذلك. وفي إتيان السحرة لهذا الغرض تشجيع لهم وإقرار لباطلهم، وفي هذا القول فتح باب لمن خف دينه، وضعف إيمانه فإنه سيأتيهم للإفادة، ويزعم أنه للإصلاح.



(٢٧) بابُ ما جاء في التطيُّر

وقولِ الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].

وقولِه: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ الآية [يس: ١٩].

عن أبي هريرة ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا عَدوى، ولا طِيرة، ولا هامَة، ولا صَفَر**»[١٣٧]. أخرجاه. زاد مسلمٌ: «**ولا نَوْء**»، «**ولا غُول**»[١٣٨].

ولهما عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا عَدْوَى، ولا طِيرة، ويُعْجِبُني الفألُ**». قالوا: وما الفأل؟ قال: «**الكلمةُ الطيِّبة**»[١٣٩].

ولأبي داود ـ بسند صحيح ـ عن عقبة بن عامر قال: ذُكرت الطيرةُ عند رسول الله ﷺ، فقال: «**أحسنُها الفأل، ولا تَردُّ مسلمًا، فإذا رأى أحدُكم ما يكره فليقُل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلَّا أنت، ولا يدفع السيئات إلَّا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**»[١٤٠].

---

(١٣٧) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: الطب، باب: لا هامة. وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: السلام، باب: لا عدوى ولا طيرة.

(١٣٨) أخرجها الإمام مسلم في كتاب: السلام، باب: لا عدوى ولا طيرة. فزيادة رواية «**ولا نوء**» جاءت من رواية أبي هريرة، وزيادة «**ولا غول**» جاءت من رواية جابر بن عبد الله ﷺ.

(١٣٩) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: الطب، باب: الفأل. وأخرجه مسلم في كتاب: السلام، باب: الطيرة والفأل. من حديث أنس ﷺ.

(١٤٠) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (١٨/٤) برقم: (٣٩١٩)، والإمام البيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٩/٨) برقم: (١٦٢٩٨)، وقد ضعف هذا الحديث الإمام الألباني ﷺ في «ضعيف الجامع» (ص٣٠) برقم: (١٩٩) وأشار إلى ضعفه في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» برقم: (١٦١٩).

وله من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «**الطِّيرةُ شركٌ، الطيرة شرك»، وما منا إلَّا، ولكن الله يُذْهِبُه بالتوكل**. رواه أبو داود، والترمذي، وصحَّحه، وجعل آخرَه من قول ابن مسعود[١٤١].

ولأحمد من حديث ابن عمرو: «**مَن ردَّته الطِّيَرةُ عن حاجته فقد أشرك**». قالوا: فما كفَّارةُ ذلك؟ قال: «**أنْ تقول: اللهم! لا خيرَ إلا خيرُك، ولا طير إلَّا طيرُك، ولا إله غيرك**»[١٤٢].

وله من حديث الفَضل بن عبَّاس: «**إنَّما الطيرةُ ما أمضاك أو رَدَّك**»[١٤٣].

❁ فيه مسائل:

الأولى: التنبيه على قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ مع قوله: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾.

---

(١٤١) الحديث أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٣/ ٤٩١) برقم: (٦١٢٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٤) برقم: (٤٣)، وفي «سنن أبي داود» (٤/ ١٧) رقم: (٣٩١٠)، والترمذي (٤/ ١٦٠) رقم: (١٦١٤)، وابن ماجه (٢/ ١١٧٠) رقم: (٣٥٣٨)، والبيهقي في «سننه» (٨/ ١٣٩) رقم: (١٦٢٩٤)، و«شرح معاني الآثار» (٤/ ٣١٢) رقم: (٦٥٦٨)، و«مسند أحمد» (١/ ٣٨٩) رقم: (٣٦٨٧) و(١/ ٤٣٨) رقم: (٤٢٧١)، وأبو يعلى (٩/ ٢٦) رقم: (٥٠٩٢) و(٩/ ١٤٠) رقم: (٥٢١٩)، والطيالسي في «مسنده» (١/ ٤٧) رقم: (٣٥٦)، وابن الجعد في «مسنده» أيضًا في (١/ ٨٦) رقم: (٤٨٨)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٥/ ٣١٠) رقم: (٢٦٣٩١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٣١٣) رقم: (٩٠٩)، وقد صحح الحديث الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٢/ ٧٣٣) برقم: (٣٩٦٠) وأشار إلى صحته في «غاية المرام» (٣٠٣)، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم: (٤٣٠).

(١٤٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٢٠) برقم: (٧٠٤٥)، وفي «مصنف ابن أبي شيبة» (٥/ ٣١٢) برقم: (٢٦٤١١) و(٦/ ٧٠) برقم: (٢٩٥٤٣) و(٦/ ١١٠) برقم: (٢٩٨٧٢).

(١٤٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢١٣) برقم: (١٨٢٤).

الثانية: نفي العَدْوى.

الثالثة: نفي الطيرة.

الرابعة: نفي الهامة.

الخامسة: نفي الصَّفَر.

السادسة: أنَّ الفأل ليس من ذلك، بل مُستحب.

السابعة: تفسير الفأل.

الثامنة: أن الواقع في القلوب من ذلك ـ مع كراهته ـ لا يضرّ، بل يُذْهِبُهُ اللّهُ بالتوكل.

التاسعة: ذكر ما يقول مَنْ وجده.

العاشرة: التصريحُ بأن الطيرة شرك.

الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة.

الشرح

أولًا: تعريف الطيرة:

الطيره هي: التشاؤم بالطيور، والأسماء، والألفاظ، والبقاع والأزمنة.

ثانيًا: حكمها:

حكم الطيرة حرام؛ لأن الشرع نهى عن التطير، وذَمَّ المتطيرين.

ثالثًا: هل يستثنى من الطيرة شيء؟

الجواب: لا يستثنى من الطيرة التي هي التشاؤم لا يستثنى منها شيء؛ بل كلها حرام، ومذمومة.

أمَّا قوله: «**يعجبني الفأل**». فالفأل هو التفاؤل بالخير، ويكون بالكلمة الحسنة أو بالاسم الحسن. وقد قال النبي ﷺ لمَّا جاء إليه سهيل بن عمرو يوم الحديبية للمفاوضة والصلح؛ قال: «**لقد سهل لكم من أمركم**»[١٤٤]. وهكذا كان النبي ﷺ تعجبه الكلمة الحسنة، ويعجبه الاسم الحسن.

رابعًا: قول الله ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الطائر هو ما طار لك؛ أي ما خرج لك، وكتب أنَّه يقع لك أو عليك؛ لأن الله قد كتب أعمال العباد، وأفعالهم وأقوالهم، وما هو صائرٌ لهم، أو عليهم في اللوح المحفوظ، والمعنى هنا والله أعلم: أنَّ المقصود بذلك ما كتب لهم أو عليهم هو عند الله ﷻ في الذكر الحكيم، واللوح المحفوظ.

وقوله ﷻ: ﴿قَالُوا طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ أي

---

(١٤٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط.

ما كتب لكم أو عليكم، وما أصابكم من ذلك فهو بسبب كسبكم: ﴿أَإِن ذُكِّرْتُم﴾ يعني لما ذُكِّرتم، ووعظتم تطيرتم بالمذكِّر، والواعظ. ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر**». أخرجاه وزاد عليه مسلم: «**ولا نوء، ولا غول**».

قوله: «**لا عدوى**» أي لا عدوى تعدي بنفسها.

قوله: «**ولا طيرة**» هذا نفي للطيرة المحرمة؛ أي أن التشاؤم بالطير لا أثر له؛ أي لا تأثير له سواءٌ أتاك ناطحًا، أو بارحًا، أو من اليمين إلى اليسار، أو من اليسار إلى اليمين، فذلك ليس له تأثير في القدر، ووقوع المصائب، والأحزان، وإنَّما القدر بيد الله هو الذي يجري الأقدار كما يشاء بخير أو شر كلها بقدر الله. فمن اعتقد تأثير الطير المتطير به فقد أشرك، والواجب عليه أن يتوب إلى الله؛ فهذا نفي للطيرة التي كان أهل الجاهلية يعتقدونها.

قوله: «**ولا هامة**» الهامة هي ما كان يعتقده أهل الجاهلية أنَّ من قتل ظلمًا تتحول نفسه هامة أو شيئًا يطلب بالثأر، فالنص هنا للهامة بمعنى أنَّها شيءٌ كان يتصوره أهل الجاهلية؛ وهو شيءٌ لا حقيقة له، وقيل أنَّها البومة.

وكذلك قوله: «**ولا صفر**» فإنَّ أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بشهر صفر، فأخبر النبي ﷺ أنَّ الشهر لا شؤم فيه؛ بل هو كسائر الشهور، وقد كان أناسٌ أيضًا يتشاءمون ببعض الأيام كيوم الأربعاء من آخر كل شهر، ويسمونه ربيعًا لم يدر، ويعتقدون فيه أنَّه يوم نحس مستمر ويقولون بأنَّ يوم الأربعاء من آخر كل شهر هو اليوم الذي سلط الله فيه الريح على عاد فيتشاءمون لذلك.

قوله: زاد مسلم: «**ولا نوء، ولا غول**» يعني أنَّ النوء ليس هو الذي يتخلف عن الإتيان بالمطر أو يأتي المطر به؛ ولكنَّ الله هو الذي يأتي به.

الغول: هو ما يتراءى للإنسان في ظلمة الليل ويضل المسافرين، وتارةً يكون مصحوبًا بالسعالي، والغول: نوع من الشياطين تقع للمسافر تضلله في الليل، لكن ورد في الحديث: «**فإذا تغولت بكم الغيلان فبادروا بالأذان**»(١٤٥).

ولهما عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل**» قالوا: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الطيبة**». ومعنى ذلك لا عدوى تعدي بنفسها، وليس للطيرة تأثيرٌ في واقع العبد إلَّا فيما يجد بنفسه، وقد وردت العدوى في أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها، فقال رسول الله ﷺ: «**فمن أعدى الأول**»(١٤٦). متفق عليه.

المهم أنَّ هذه الأحاديث التي ورد فيها النهي عن العدوى، والطيرة، والهامة، والصفر هي علاجٌ من الشارع الحكيم ﷺ لما قد تأصل في نفوس المشركين من العقائد السيئة، فإذا أسلموا بقي شيءٌ من تلك العقائد، فعالجها الشارع الحكيم ببيان أنَّها اعتقادات وهمية؛ وأنَّها لا تأثير لها بنفسها؛ وإنَّما المؤثر هو الله، فنفى وقوعها استقلالًا، وأرشد إلى علاجها بقوله: «**فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلَّا أنت، ولا يدفع السيئات إلَّا أنت، ولا حول ولا قوة إلَّا بك**».

وفي حديث ابن مسعود: «**الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منَّا إلَّا! ولكن الله يذهبه بالتوكل**»؛ فهذا علاجٌ لما يقع في النفوس من التشاؤم، والخوف

---

(١٤٥) الحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسند باقي المكثرين من الصحابة» من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنه، برقم: (١٤٦٧٢)، وقد أشار الألباني رحمه الله في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٣/ ٢٧٧) برقم: (١١٤٠) إلى ضعف رواية: «**إذ تغولت الغيلان فنادوا بالأذان**».

(١٤٦) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: الطب، باب: لا صفر. وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: السلام، باب: لا عدوى ولا طيرة. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

من المستقبل، فإذا وجد الإنسان في نفسه فليقل: «**اللهم لا يأتي بالحسنات إلَّا أنت**». أو يقول: «**اللهم لا خير إلَّا خيرك، ولا طير إلَّا طيرك، ولا إله غيرك**». وقد بين في حديث ابن عمر، وأنَّ من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك؛ أي وقع في الشرك، فإذا خرج العبد في سفر فقابله غراب يصيح أو ثعلب أو بومة أو ما أشبه ذلك فرجع عن حاجته فتطير بهذا الطير؛ فإنَّه يعتبر قد أشرك.

ويؤخذ من هذا أنَّما يقع في القلب لأول مرة أنَّه لا يؤثر إذا قابله الإنسان بالتوكل على الله ﷻ، والاعتماد عليه، واعتقاد أنَّ هذه المخلوقات الضعيفة لا تأثير لها في القدر، ولا علم لها بما يضر أو ينفع:

بربك ما تدري الطوارق بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع

فالمؤمن يعتمد على الله، ويتوكل عليه؛ ويعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. اللهم وفقنا لما تحب وترضى، وجنبنا مضلات الفتن يا رب العالمين.



(٢٨) بابُ ما جاء في التَّنجيم

قال البخاريُّ في «صحيحه»: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينةً للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلاماتٍ يُهتدَى بها، فمن تأوَّل فيها غيرَ ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلَّف ما لا علمٍ له به[١٤٧]. انتهى.

وكره قتادةُ تعلُّمَ منازل القمر، ولم يُرخِّص ابنُ عيينة فيه. ذكره حربٌ عنهما. ورخَّص في تعلُّمِ المنازل أحمدُ، وإسحاق[١٤٨].

وعن أبي موسى قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ثلاثةٌ لا يدخلون الجنة: مُدمِنُ الخمر، وقاطع الرحم، ومصدِّقٌ بالسحر**». رواه أحمد، وابن حبان في «صحيحه»[١٤٩].

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق النجوم.

---

(١٤٧) الحديث علقه البخاري بصيغة الجزم كما في كتاب: بدء الخلق، باب: في النجوم. (٣/١١٦٨)، وأخرجه ابن ماجه في باب: المياثر (١/ ٢٦٥) برقم: (٣٧٢٦)، وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه «فتح المجيد»: هذا الأثر علقه البخاري في «صحيحه» وأخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وغيرهم. اهـ.

(١٤٨) انظر «طبقات الحنابلة» (١/ ١٤٥)، وابن رجب في «فضل علم السلف» (٣١، ٣٢)، كما قاله محقق «فتح المجيد» الشيخ الوليد بن عبد الرحمن آل فريان (٢/ ٥٣١).

(١٤٩) الحديث أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٢/ ١٦٥) برقم: (٥٣٤٦)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٣٩٩) برقم: (١٩٥٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٦٣) برقم: (١٩٥٨٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣/ ٧٢٤٨).

الثانية: الرَّدُّ على من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلّم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدَّق بشيء من السحر، ولو عرف أنه باطل.

الشرح

تعريف التنجيم: التنجيم هي أمورٌ يستدل بها على وقائع الأرض، وحوادث الكون وهذا العلم مأخوذ عن الأمم الضالة؛ التي سلفت قبل نبوة نبينا ﷺ حيث يعتقدون أنَّ النَّجم الفلاني إذا اقترن بالقمر فمن تزوج في تلك الليلة حصل له كذا، ومن سافر في تلك الليلة حصل له كذا، والمنجمون يأخذون اسم الشخص واسم أمِّه، ويجمعون حروفها، ولهم في ذلك طريقةٌ موروثة عن أهل الباطل تتضمن أمورًا تنافي الشريعة:

الأمر الأول: ادعائهم لعلم الغيب.

الأمر الثاني: ادعائهم التأثير؛ لاقتران النجوم بالقمر.

الأمر الثالث: ادعائهم شريكًا مع الله؛ فإنَّهم يزعمون أنَّ الكواكب لها تأثير في هذا الكون وهذا شركٌ أكبر.

الأمر الرابع: زعمهم العلاقة بين النجوم وبين أدمغة العباد وعقولهم، وأنَّ النجوم لها تأثير على أدمغة الناس، وتأثيرٌ فيها؛ وهذا هو الكذب، والدجل، والتضليل، ونسأل الله السلامة.

ثمَّ اعلم أنَّ علم النجوم ينقسم إلى قسمين:

١ - علم التسيير.

٢ - علم التأثير.

فعلم التسيير: هو علم المنازل؛ وذلك لمعرفة أوقات الزراعة، وغيرها فالمنازل الثمانية والعشرون تقسم على الفصول الأربعة لكل فصلٍ منها سبع منازل مضروبةٌ في ثلاثة عشر يومًا أي ثلاثة أشهر لكل فصل من الفصول، فصل الخريف سبع منازل؛ وفصل الشتاء سبع منازل وفصل الربيع سبع منازل، وفصل الصيف سبع منازل؛ وكل واحدٍ من هذه الفصول ثلاثة أشهر فهذا العلم الذي هو علم التسيير لا شيء فيه، وإن كان قد أنكره بعض السلف، وأجاز ذلك أحمد، وإسحاق.

أمَّا علم التأثير فهو: اعتقاد تأثير النجوم على بني آدم، وربط حياتهم، وموتهم، وصحتهم، ومرضهم، وسلمهم، وحربهم، وراحتهم، وشقائهم، وفقرهم، وغناهم؛ كل ذلك مرتبطٌ في زعم هؤلاء بعلم النجوم، وبالنجوم وتأثيرها؛ وهذا قول باطل، واعتقادٌ محرم؛ من اعتقده خرج من الإسلام، ومن مات عليه مات كافرًا مستحقًّا للخلود في النار؛ إذ إنَّ آيات الله ﷻ تبين لنا أنَّ علم الغيب هو لله ﷻ دون غيره؛ وأنَّه وحده هو المتصرف في أمور عباده؛ فهو الخالق لهم؛ وهو الرازق لهم؛ حياتهم وموتهم بيده، وصحتهم ومرضهم بيده، وفقرهم وغناهم بيده، وسعادتهم وشقاوتهم بيده، وتمليكهم وسلبهم بيده، وإعزازهم وإذلالهم بيده؛ لا معطي لما منع، ولا رادَّ لما قضى؛ كل شيءٍ بيده، وتحت تصرفه وقهره، هذه هي العقيدة الصحيحة التي جاء بها الإسلام، ومن خالفها، واعتقد تأثير النجوم في الكون وفي حياة الناس؛ وذلك بقراءة بعض الكتب التي ينتشر منها هذا العلم الباطل ككتاب أبي معشر الفلكي، وكتاب شمس المعارف،

وغير ذلك، فمن تأوَّل فيها غير ذلك أخطأ، وكلَّف نفسه بما لا طاقة له به، وأضاع نصيبه من الآخرة. ولهذا فقد ذكر قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنَّ الله خلق هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدي بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وكلف ما لا علم له به».

فدليل أنَّها زينة للسماء قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾. ودليل أنَّها رجومٌ للشياطين قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [تبارك: ٥] ودليل أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل النجوم علامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧].

وفي حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثةٌ لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر وقاطع الرحم، ومصدِّق بالسحر**». رواه أحمد، وابن حبان في «صحيحه».

وهذا النهي يتأول على أمرين:

الأمر الأول: من استباح الإدمان على الخمر، واستحله، واستحل قطيعة الرحم؛ فهو لا يدخل الجنة أبدًا؛ بل يكون خالدًا مخلدًا في النار.

الأمر الثاني: وإمَّا أن يكون المعنى مدمن الخمر، وقاطع الرحم لا يدخلون الجنان المعدة للمؤمنين ولكن يدخلون جنانًا متدنية بعد أن يعذبوا، ويطهروا، وينقوا؛ وهي الجنان التي يدخلها أصحاب الكبائر، والعياذ بالله.

أمَّا قوله: «**ومصدقٌ بالسحر**» فالمصدق بالسحر كافر، والكافر مخلد في النار، وأمَّا تَأَوُّلُنا المذنبين الأولين؛ لأن إدمان الخمر؛ كبيرةٌ من الكبائر، وفعلها لا يوجب الكفر المخرج من الملة وكذلك قطيعة الرحم، أمَّا المصدِّق بالسحر فهو كافر كما قلنا.

(٢٩) بابُ
ما جاء في الاستسقاءِ بالأنْوَاء

وقولِ الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨٢].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أربعٌ في أُمَّتي مِن أمر الجاهلية لا يتركونهنّ: الفخرُ بالأحساب، والطعنُ في الأنساب، والاستسقاءُ بالنجوم، والنياحة**». وقال: «**النائحةُ إذا لم تتب قبل موتها تُقام يومَ القيامة وعليها سِربالٌ من قَطِران، ودِرعٌ من جرب**»(١٥٠). رواه مسلم.

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صلَّى لنا رسولُ الله ﷺ صلاة الصبح بالحُدَيبية على إثْر سماءٍ كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**قال: أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر، فأمَّا مَن قال: مُطِرْنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمنٌ بي، كافرٌ بالكوكب، وأمَّا مَن قال: مُطرنا بنَوْءِ كذا وكذا، فذلك كافرٌ بي، مؤمنٌ بالكوكب**»(١٥١).

ولهما من حديث ابن عباس معناه، وفيه: «**قال بعضُهم: لقد صدق نَوءُ كذا وكذا**»، فأنزل الله هذه الآيات: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٨٢].

---

(١٥٠) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب: الجنائز، باب: التشديد في النياحة.

(١٥١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: الأذان باب: يستقبل الإمام الناس إذا سلم. وفي كتاب: الجمعة، باب: قول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾. قال ابن عباس: شكركم، وأخرج الحديث أيضًا الإمام مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الواقعة.

الثانية: ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية.

الثالثة: ذكر الكفر في بعضها.

الرابعة: أنَّ من الكفر ما لا يُخرِج من الملَّة.

الخامسة: قوله: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر**» بسبب نزول النعمة.

السادسة: التفطن للإيمان في هذا الموضع.

السابعة: التفطن للكفر في هذا الموضع.

الثامنة: التفطن لقوله: «**لقد صدق نوء كذا وكذا**».

التاسعة: إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها؛ لقوله: «**أتدرون ماذا قال ربكم؟**».

العاشرة: وعيد النائحة.

الشرح

قوله: «باب: ما جاء في الاستسقاء بالأنواء» الأنواء جمع نوء؛ وهي المنازل أو النجوم وذلك أنَّ المنازل تعرف بسقوط الكواكب، رطلوعها، فإذا طلع الكوكب يسمَّى طلوعه نوءًا يقال: ناء بمعنى طلع، فقد يقع بتلك المنزلة مطرٌ وخيرٌ؛ فيزعم بعض الناس أنَّ تلك المنزلة هي التي فعلت ذلك، فأنزل الله ﷻ قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ ومعنى ذلك: وتجعلون شكر رزقكم أنَّكم تكذبوه؛ فالرزق من الله والمطر هو سبب الرزق والله يأتي بالمطر، ويأتي بالثمرة؛ فقد يأتي المطر، وتصلح الزراعة، ثمَّ بعد ذلك تخيب الثمرة والفضل لله ﷻ في إنزال المطر، وصلاح الثمرة ذلك أنَّه هو الرزاق؛ رزق البهائم بإخراج النبات الذي تأكله، ورزق الناس بإخراج الثمر الذي يأكلونه، والفضل لله في ذلك كله.

والأنواء أو النجوم أو المنازل إنَّما هي أوقاتٌ لتنزيل الغيث، أو لصلاح الثمرة، والله هو الذي ينزل الغيث. كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨] وقال جلَّ من قائل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [غافر: ١٣].

فإسناد نزول المطر أو صلاح الثمر إلى النوء؛ الذي وقع فيه أو المنزلة التي وقع فيها حينما يقول الناس: صدق نوء كذا أو صلح نوء كذا يكون فيه إسنادٌ لنعمة الرزق إلى النوء والمنزلة والله هو الفاعل لذلك كله؛ فيكون فيه نوعٌ من الشرك غير أنَّه لا يخرج من الإسلام، وهو الذي جاء في حديث زيد ابن خالد الجهني وأنزل الله فيه: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أربعٌ في أمتي**

من أمر الجاهلية لا يتركونهنَّ: **الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»** هذه الخصال بقيت في المسلمين رغم إسلامهم، ورغم عقيدتهم التي تعلموها من الكتاب والسنة إلَّا هذه الأربع بقيت فيهم؛ وهي من أمر الجاهلية.

قوله: «**الفخر بالأحساب**» بأن يفتخر الإنسان بحسبه، والمقصود بالحسب: الشرف، والشرف:

١ - إمَّا أن يكون بأمر من أمور الدنيا، كالمال أو الجاه.

٢ - أو بأمرٍ من أمور الآخرة، كالعلم، والعمل الذي ينفع به الناس.

فالناس يفتخرون أي من طبيعتهم يفتخرون بالأحساب فيقول أحدهم: أبي فعل كذا أو جدي الذي فعل كذا، والذي ينبغي ويجب على العبد ألَّا يفتخر بالحسب، سواء كان من أمور الدنيا أو من أمور الدين؛ فإنَّ الفضل لله على العباد، فالفضل له على الصالح في هدايته للصلاح، والفضل له على صاحب المال في إعطاء الله له ذلك، والذي ينبغي للمسلم عدم الفخر بشيء من ذلك، إلَّا أن يذكر شيئًا من باب التحدث بنعمة الله فلا بأس عند المناسبة، والحاجة.

أمَّا قوله: «**والطعن في الأنساب**» هو أنَّ بعض الناس إذا حصل بينه وبين أحد من الناس خصومة ومغاضبة طعن في نسبه بأي قول من الأقوال التي يطعن بها فيه، وهذا مذموم.

قوله: «**والاستسقاء بالنجوم**» هذا هو محل المناسبة للباب، وكون الإنسان يقول: النجم الفلاني جاد، والنجم الفلاني لم يجد، وما أشبه ذلك، فهذا لا ينبغي للمسلم؛ بل المسلم يعتقد أنَّ الله هو الفاعل.

قوله: «**والنياحة**» النياحة: ندب الميت بذكر محاسنه، ولكونه تسخط للقدر، واعتراضٌ عليه فإنَّ الأمر في ذلك لله، هو الذي بيده الإحياء

والإماتة، فلما كانت النائحة معترضةً على قدر الله ﷻ حينئذٍ توعدت في هذا الحديث بقول النبي ﷺ: **«النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرعٌ من جرب»** نسأل الله العفو والعافية.

الثوب الذي يكون من قطران ثوبٌ حار في منتهى الحرارة، والدرع الذي يكون من جرب مؤذٍ للإنسان في جلده بالحكة التي تكون فيه، وهذا من العذاب؛ نسال الله العفو والعافية فهذا وعيدٌ للنائحة أنَّها عندما تقوم يوم القيامة تكون معذبة بذلك؛ نستجير بالله من غضبه.

ثمَّ إنَّ هذه الأربع لا توجب كفرًا يخرج من الملة؛ فقد ورد عن النبي ﷺ: **«اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب، والنياحة على الميت»**(١٥٢) والمراد بذلك كفر دون كفر، وليس من الكفر المخرج من الملة؛ أي من الكفر العام بل الكفر الأصغر، وبالله التوفيق.

ثمَّ أورد حديث زيد بن خالد رضي الله عنه قال: «صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماءٍ كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: . . .» الحديث.

قوله: **«أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر»** المؤمن هو الذي يقول مطرنا بفضل الله ورحمته، والكافر الذي يقول: مطرنا بنوء كذا وليس المقصود به الكفر المخرج من الملة، ولكن المقصود به كفر دون كفر؛ وذلك أنَّ من أسند إنزال المطر إلى الكوكب؛ فإنَّه يعتبر عمله هذا من الكفر العملي، الذي ينبغي للإنسان أن يتركه، وأن يسند إنزال المطر وعدمه إلى الله ﷻ لا إلى الكوكب، فكل هذه ذكر الكفر فيها ليس المراد به الكفر المخرج من الملة، ولكن المراد الكفر العملي.

---

(١٥٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب: الإيمان، باب: إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله: ولهما من حديث ابن عباس معناه؛ أي معنى حديث زيد بن خالد ولهما من حديث ابن عباس بمعناه وفيه: «قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ الآيات، وبهذا تعلم أنَّ النجوم إنَّما هي وقتٌ لتنزُّل المطر أو لصلاح الثمر، والله هو الذي يفعل هذه الأشياء.



(٣٠) بابُ قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ١٦٥]

وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ الآية [التوبة: ٢٤].

عن أنس؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«لا يؤمن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده، ووالده، والناسِ أجمعين»**[١٥٣]. أخرجاه.

ولهما عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: أنْ يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأنْ يُحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلَّا لله، وأنْ يكره أنْ يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أنْ يُقذف في النار»**[١٥٤]. وفي رواية: **«لا يَجِدُ أحدٌ حلاوة الإيمان حتَّى...»** إلى آخره[١٥٥].

وعن ابن عباس قال: من أحبَّ في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله؛ فإنما تُنال ولايةُ الله بذلك، ولن يجدَ عبدٌ طعم الإيمان - وإنْ كثُرت صلاتُه وصومه - حتى يكون كذلك. وقد صارت عامَّةُ

---

(١٥٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: الإيمان، باب: حب الرسول ﷺ من الإيمان. وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: الإيمان، باب: وجوب محبة الرسول ﷺ أكثر من الأهل.

(١٥٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: الإيمان، باب: حلاوة الإيمان. وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال من اتصف بهنَّ وجد حلاوة الإيمان.

(١٥٥) أخرجه الإمام البخاري في كتاب: الأدب، باب: الحب في الله.

مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يُجدي على أهله شيئًا(١٥٦). رواه ابنُ جرير.

وقال ابنُ عباس في قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] قال: المودَّة(١٥٧).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: وجوب تقديم محبته ﷺ على النفس والأهل والمال.

---

(١٥٦) قال محققا «القول المفيد» لابن عثيمين وفقهما الله: وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٥٣) عن ابن عباس موقوفًا، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا، والطبراني في «الكبير» (١٣٥٣٧) عن ابن عمر موقوفًا ومداره على ليث بن أبي سليم وهو [ضعيف مختلط]. «تهذيب التهذيب» (٢/ ١٣٨). ا هـ. وذكر محقق «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» وفقه الله بأنَّ الحديث: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتابه «الإخوان» رقم: (٢٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١٢) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٩٠): وفيه ليث بن أبي سليم، والأكثر على ضعفه. ا هـ. قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن مؤلف «فتح المجيد» رحمه الله: وأخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم الجملة الاولى منه فقط، قال الشيخ الوليد (٢/ ٥٦٧): وأخرجه ابن أبي شيبة في «المسند»، وابن أبي حاتم في «التفسير»، وأخرجه الحكيم الترمذي، كما في «الدر المنثور» (٨/ ٨٧). ا هـ.

(١٥٧) الحديث قال فيه الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: هذا الأثر رواه عبد ابن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وصححه. قال الدكتور: الوليد آل فريان في (٢/ ٥٧٠) انظر: ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (٢٤٢٣) وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (١/ ٤٠٢) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٧٢) اهـ. قال محققا «القول المفيد»: أخرجه ابن جرير (٢/ ٤٣) والحاكم (٢/ ٢٧٢) وصححه، ووافقه الذهبي ا هـ.

الرابعة: أن نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام.

الخامسة: أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان، وقد لا يجدها.

السادسة: أعمال القلب الأربع التي لا تُنال ولاية الله إلَّا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلَّا بها.

السابعة: فهم الصحابي للواقع: أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا.

الثامنة: تفسير: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾.

التاسعة: أن من المشركين من يحب الله حبًّا شديدًا.

العاشرة: الوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه من دينه.

الحادية عشرة: أن من اتخذ ندًّا تساوي محبته محبة الله؛ فهو الشرك الأكبر.



الشرح

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على هذا الباب: أصل التوحيد وروحه إخلاص المحبة لله وحده؛ وهي أصل التأله، والتعبد له؛ بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه، وتسبق محبته جميع المحاب، وتغلبها، ويكون لها الحكم عليها بحيث تكون سائر محاب العبد تبعًا لهذه المحبة التي فيها سعادة العبد، وفلاحه، ومن تفريعها وتكميلها الحب في الله، فيحب العبد ما يحبه الله من الأعمال، والأشخاص، ويبغض ما يبغضه الله من الأشخاص، والأعمال، ويوالي أولياءه، ويعادي أعداءه، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده. ا هـ.

و أقول: هذا كلام نفيس لو كتب بماء الذهب لكان قليلًا عليه، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو الذي أوجد العبد، وهو الذي رباه بنعمه؛ رزقه ما يعيش عليه من الطعام، والشراب وأنفذ ذلك الرزق في جسده يتغذَّى به، ويمنحه به القوة على عبادته، ومنحه لذة الغذاء، ولذة الماء إذا شربه ليكون مقبولًا للشرب؛ فينتفع به، وأوجد له اللسان، واللعاب، والأسنان والأضراس؛ ليتمكن من طحن ذلك الطعام، والانتفاع به في جسده، ولهذا جاء في الحديث: **«أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي بحبي»**(١٥٨).

---

(١٥٨) أخرجه الإمام الترمذي في كتاب «المناقب» باب: مناقب أهل بيت النبي ﷺ قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه. قال شيخنا أحمد النجمي حفظه الله: ذكره الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (١٧٦) وأشار إلى الترمذي والحاكم وقال ضعيف والحديث وإن كان ضعيف السند فإنَّه صحيح المعنى يشهد لمعناه الكتاب والسنة. اهـ.

يضاف إلى ذلك أنَّ الله أوجدنا لعبادته، وعلمنا تلك العبادة بما أنزله في كتابه، وبما بينه رسوله ﷺ من صفات تلك العبادة في سنته، من أقوال، وأفعال؛ أخبرنا بطريق الخير الذي يوصلنا إلى الجنة، وطريق الشر الذي يؤدي بنا إلى النار؛ قال تعالى بعد أن حذَّر من إنكاح المشركين أو نكاح المشركات: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١]؛ ليتذكر أحدنا أنَّه لولا فضل الله عليه بهدايته للإيمان، ووجوده في مجتمعٍ مسلم لكان ممن تحق عليهم كلمة الله بالعذاب.

لهذا فإنَّه يجب علينا محبة الله ﷻ؛ لأنه خلقنا، ورزقنا، وهدانا، ووفقنا، وَعَلَّمَنَا ما لم نكن نعلم، ومن علامات محبة العبد لربه أن يكون محبًّا لما أحب من الأعمال، ومن أحب من الأشخاص، وقد جاء في الحديث: «**اللهم إنِّي أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب كل عملٍ يبلغني إلى حبك**»[١٥٩] .

ومن هنا أيضًا يتبين قول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ ويتبين أيضًا أنَّ من أحبَّ غيره من الآلهة التي لا تخلق، ولا ترزق، ولا تحيي، ولا تميت، ولا تدخل الجنة، ولا تنجي من النار أنَّ من أحبَّ هذه الآلهة، والأنداد التي لا تفعل شيئًا مما يفعله الله، ولا تتصف بشيءٍ مما يتصف به الله؛ فإنَّه قد وضع المحبة في غير محلها، وكان مذمومًا عند الله على ألسنة

---

(١٥٩) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب «تفسير القرآن» باب: من سورة [ص] قال أبو عيسى: هذا حديث حسنٌ صحيح، وفي كتاب «الدعوات» باب: ما جاء في عقد التسبيح باليد. قال الإمام الألباني رحمه الله في «ضعيف سنن الترمذي» (ص٣٨٠) [طبعة مكتبة المعارف]: الحديث ضعيف إلَّا قوله في داود: «كان أعبد البشر» فهو عند (م) ابن عمر «الصحيحة» (٧٠٧) «المشكاة» (٢٤٩٦) - التحقيق الثاني - قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ غريب. وأخرجه الإمام أحمد في «مسند الأنصار» [بترقيم إحياء التراث] (٢١٦٠٤).

رسله، وفي كتابه مستحقًّا للوم، والمقت.

ولهذا فإنَّ من يعبدون الآلهة، ويحبونهم كحب الله، ويوالون، ويعادون، ويقاتلون من أجلهم سيأتي عليهم يومٌ يمقتون فيه أنفسهم، وإنَّ الواجب عل كل مسلم إخلاص العمل لله محبةً له وإجلالًا له، الواجب عل كل مسلم أن يوالي أولياء الله؛ وهم أهل طاعته، واتباع شريعته، ويبغض أعداء الله؛ اللذين يكونون بخلاف ذلك.

وهذه الآيات تبين لنا أنَّه لا يجوز للعبد أن يقدم محبة الآباء، والأبناء، ولا الإخوان، ولا العشيرة، ولا الأموال التي اكتسبها واقترفها ولا الدور التي ألفها، ألا يقدم شيئًا على محبة الله، عندما يتعارض ذلك مع هذه الأمور: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ فإذا دعاك أبوك إلى الكفر بالله، والشرك به أو ابنك أو أخوك أو زوجتك أو عشيرتك فإنه يحرم عليك أن تطيعهم في معصية الله؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ما أكثر هذا في الذين يقطنون في بلاد الكفر، وكذلك في بعض البلاد التي هي محسوبة على الإسلام يدعو الواحد أبوه إلى الكفر أو الفسق، ويقول له إذا لم تفعل كذا، فلست ولدي، وربما يطرده من بيته، وقد وردت إليَّ أسئلة بخصوص ذلك.

وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»** أي لا يكمل إيمان عبد إلَّا بهذا بأن يقدم محبة رسول الله على محبة الناس جميعًا، وطاعة الله ورسوله على طاعة الناس جميعًا.

وكذلك حديث أنس أيضًا: **«ثلاث من كن فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»** ياله من حديث عظيم! ما أعظم هذه الثلاث الخصال التي لا يبلغها العبد إلَّا بعون من الله.

إنَّ العبد في هذه الدنيا ليتعرض لدواعي الشر، ومخالفة ما أمر الله به ورسوله، وصوارف تصرفه عن محبة الله، ومحبة رسوله، وتدعو العبد إلى أن يقدم محبوب العشيرة، أو القرابة أو السلطان أو المجتمع أو الزوجة، والأبناء على محابِّ الله ورسوله، فالمؤمن يستمسك بمحبة الله ورسوله ويضحي بكل شيء سواها إذا كان يدعو إلى مخالفتها، وإنَّ محبة الله تدعو العبد أن يحب له، ومن أجله، فيحب من أحب الله، ومن أحب رسول الله ﷺ ويبغض من أبغضه الله، وأبغضه رسول الله ﷺ وأن يكره الرجوع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار؛ لأن الكفر موجبٌ للقذف في النار، والبقاء فيها أبد الآبدين ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٩ - ٤٠].

وأخيرًا في حديث ابن عباس: **«من أحبَّ في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله؛ فإنَّما تنال ولاية الله بذلك...الخ»** صفة للمؤمن بأنَّه يحب في الله، ويبغض في الله، ويوالي في الله، ويعادي في الله، وأنَّ ولاية الله لا تنال إلَّا بهذه المرتبة، حتى وإن كثرت صلاة العبد، وصومه ولم يكن من الموصوفين بهذه الأوصاف؛ فإنَّه لم يصل إلى حقيقة الإيمان، وكماله، ولن يصل إليه إلَّا بذلك.

ثم أخبر ابن عباس أنَّه: **«قد صارت عامة مؤاخاة الناس، ومودتهم على**

أمور الدنيا؛ وذلك لا يجدي عن أهله شيئًا» أي: لا ينفعهم ذلك يوم القيامة، ولهذا قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ قال: المودة؛ ومنافع تبادلوها، ولكن تلك الأمور، وتلك الدنيا تذهب يوم القيامة، ولا يبقى إلا ما كان لله وفي الله.

اللهم اجعلنا ممن يحب لك، ويبغض من أجلك، ويوالي أهل طاعتك ويعادي أهل معصيتك؛ إنَّك سميع الدعاء.



(٣١) بابُ قول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧٥﴾ [آل عمران: ١٧٥]

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ الآية [التوبة: ١٨]، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ الآية [العنكبوت: ١٠].

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا: **«إنَّ من ضَعف اليقين أنْ تُرضي الناسَ بسخط الله، وأنْ تحمَدهم على رزق الله، وأنْ تَذُمَّهم على ما لم يؤتك الله. إنَّ رزقَ الله لا يَجرُّه حرصُ حريص، ولا يردّه كراهية كاره»**(١٦٠).

---

(١٦٠) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن صاحب «فتح المجيد»: هذا الحديث رواه أبو نعيم في «الحلية» والبيهقي وأعله بمحمد بن مروان السدي وقال: ضعيف وفي إسناده أيضًا عطية العوفي ذكره الذهبي في الضعفاء وموسى بن بلال قال الأزدي: ساقط وتمام الحديث **«إنَّ الله بحكمته جعل الروح والفرح في الرضى واليقين وجعل الهمَّ والحزن في الشك والسخط»** ثم قال: والحديث وإن كان في إسناده من ذكر فمعناه صحيح اهـ. قال الشيخ الوليد آل فريان: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٠٦) (١٠/ ٤١) والبيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٢٠٣) وله شاهدٌ من حديث ابن مسعود، وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٠٥١٤) وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٢١) (٧/ ١٣٠) والبيهقي في «الشعب» رقم (٢٠٤) بإسناد حسن وشاهد عن ابن مسعود موقوفًا أخرجه البيهقي في «الشعب» (٢٠٥) اهـ. وقال الشيخ سليمان رحمه الله في «التيسير» (ص٤٩٠): قلت ضعيف، ومعناه صحيح اهـ نقلًا عن محققي «القول المفيد».

وعن عائشة ﵂؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«من التمس رِضى الله بسخط الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سَخِطَ الله عليه، وأسخط عليه الناس»**(١٦١). رواه ابنُ حبان في «صحيحه».

❁ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: تفسير آية العنكبوت.

الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى.

الخامسة: علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث.

السادسة: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض.

السابعة: ذكر ثواب من فعله.

الثامنة: ذكر عقاب من تركه.

---

(١٦١) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: هذا الحديث رواه ابن حبان بهذا اللفظ ورواه الترمذي عن رجلٍ من أهل المدينة قال: كتب معاوية إلى عائشة: أن اكتبي لي كتابًا توصيني فيه ولا تكثري عليَّ فكتبت عائشة إلى معاوية: سلامٌ عليك أمَّا بعد: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من التمس رضى الله بسخط الناس....»** الحديث. قال الشيخ الوليد: الحديث أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٨٨) (٦/ ٣٩٣، ٣٩٤) والطبراني في «الكبير» رقم (٨٧٨) من حديث الأقرع بن حابس، وأخرجه الترمذي في «الجامع» رقم (٣٢٦٧) وقال: هذا حديثٌ حسن، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٩٦) من حديث البراء بن عازب اهـ. وقال الشيخ سليمان أبو الخيل، والشيخ خالد المشيقح: والحديث

الشرح

قال السعدي رحمه الله تعالى: «هذا الباب عقده المصنف رحمه الله تعالى؛ لوجوب تعلق الخوف، والخشية بالله وحده، والنهي عن تعلقه بالمخلوقين، وبيان أنَّه لا يتم التوحيد إلا بذلك.

ولابُدّ في هذا الموضع من تفصيل يتضح به الأمر، ويزول الاشتباه» ثمَّ قال: «اعلم أنَّ الخوف والخشية تارةً يقع عبادة، وتارةً يقع طبيعة، وعادة، وذلك بحسب أسبابه، ومتعلقاته، فإن كان الخوف، والخشية خوف تأله، وتعبد، وتقرب بذلك الخوف إلى من يخافه، وكان يدعو إلى طاعة باطنه، وخوف سري يزجر عن معصية من يخافه كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان وتعلقه بغير الله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله؛ لأنه أشرك في هذه العبادة التي هي من أعظم واجبات القلب غير الله مع الله، وربما زاد خوفه من غير الله على خوفه من الله اهـ.

وأقول : إن التعلق تارةً يكون سببًا، وصاحبه معتقدٌ أنه سبب؛ فلا يكون من الشرك الأكبر بل يكون من الشرك الأصغر إذا زاد عن العادة، وأذكر قصةً هي تعتبر من هذا القبيل تخرَّج قومٌ من الجامعة، وعقدوا لهم اختبارًا أو طلبوا منهم تقديمًا للتوظيف، فكان منهم من توسط بوزير ومنهم من توسط بغير ذلك، ومن هؤلاء رجلٌ ضعيف ليس له واسطة؛ ولكنه قوي الإيمان وكثير الدعاء، والتعلق بالله ﷻ، وكان يدعو الله ﷻ أن ييسر له ما فيه الخير، فكان الذين توسطوا بأصحاب المناصب قد صارت وظائفهم في أماكن بعيدة، وذلك المسكين الذي يرفع يديه إلى الله في كل صلاة

أخرجه ابن حبان بهذا اللفظ (١٥٤٢) وأخرج بنحوه ابن المبارك في «الزهد» (١٩٩) والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٤١٠) وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١١٨) اهـ.

يدعوه، ويرجوه، ويتضرع إليه ظهرت وظيفته في بلدٍ قريب وبقي فيها إلى أن أحيل إلى التقاعد، وسكنها، فهذا التعلق لا يعد من الشرك؛ لكنَّه إذا زاد في الركون ربما كان من الشرك الأصغر، ومن كان تعلقه بالله خالصًا فهو الذي يفوز بالخير في الدنيا والآخرة.

وأذكر مثالًا آخر للتعلق الذي يكون من الشرك الأكبر أو الخوف الذي يكون من الشرك الأكبر: هو أنَّ رجلًا كان يدعي الولاية فكانت مزرعته، ومواشيه حمًى؛ يزعمون أنَّه يطَّلع على من يأخذ من مزرعته شيئًا، فلا يقرب من مزرعته أحد، وكذلك أيضًا مواشيه؛ لأنَّهم يزعمون بأنَّه يطلع عليهم حتى على نياتهم، فهذا شرك أكبر، وليس هذا من الفرضيات أو التخيلات بل هو واقع بلغني عنه من أخبار عدة.

و أقول: إذا كان الخوف من ذلك الشخص قد زاد على خوف الله أو ساواه على الأقل بحيث زعموا أنَّ لذلك الرجل سلطانًا غيبيًّا يعلم به المغيبات حسب ما يعتقده الخرافيون؛ فهذا من أعظم الشرك الأكبر المخرج من الملة.

أمَّا من خاف من شخص خوفًا طبيعيًّا أن يضربه أو يقتله أو خاف أن يأخذ شيئًا من ماله أو ما أشبه ذلك؛ فهذا الخوف الطبيعي لا يدخل في العبادة، وقد عرفنا مما سبق في هذا العرض أنَّ الخوف من غير الله تارةً يكون مباحًا، وتارةً يكون مكروهًا أو محرمًا؛ لكنَّه لا يخرج من الملة، وتارةً يكون مخرجًا من الملة، وهكذا الرجاء.

ما هي مناسبة الآية للباب؟ الجواب: إنَّ مناسبة آية آل عمران؛ وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ أي: يخوف بأوليائه، فمناسبة هذه الآية واضحة، وقد نهى الله عباده المؤمنين أن يخافوهم بقوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: إن كنتم مؤمنين حق الإيمان فإن

إيمانكم يقتضي ذلك.

أمَّا مناسبة آية التوبة فهي في قوله: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ ومعنى ذلك لم يخش خشية عبادة إلَّا من الله وكذلك قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ أي: لا تخافوهم خوف عبادة.

أمَّا آية العنكبوت التي يقول الله فيها: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ أي: فمنعته تلك الفتنة من أن يؤدي ما أمر الله به خوفًا منها.

ثمَّ أورد حديث أبي سعيد: «**إنَّ من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله؛ إنَّ رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره**».

وأقول: إرضاء الناس بسخط الله محرم، وكذلك أن تحمدهم على رزق الله ناسيًا أنَّ الله هو مسخر القلوب، ومصرفها، وليس معنى ذلك ألَّا تشكر من أحسن إليك؛ بل الواجب عليك أن تشكر الله أولًا، ثمَّ تشكر ذلك الذي أحسن إليك عاطفًا له بثُمَّ، فتقول: إني أشكر الله، ثُمَّ أشكرك على إحسانك إليَّ؛ أما أن تشكره، وتنسى الله، فهذا هو المذموم.

وأمَّا قوله: «**أن تذمهم على مالم يؤتك الله**» فهذا معناه أن تعلم أن الله ﷻ هو المعطي؛ وهو المانع؛ فإن شاء سخر لك ذلك المخلوق الضعيف، وإن شاء لم يسخره، فلا ينبغي أن تسارع بالذم للناس فيما لم يؤتك الله.

ثُمَّ أخبر الرسول ﷺ بهذا الحديث: «**إن رزق الله لا يجره حرص حريص**» يعني أنَّ الرزق بيد الله ﷻ، فتارةً قد يكون من الناس من يكون حريصًا على إعطاءك شيئًا، ويأبى الله فلا يصل إليك ذلك الشيء، وتارة يكون العكس؛ فتجد من الناس من يكون كارهًا إيصال الخير إليك فيصل على رغمه.

أمَّا حديث عائشة ﵂ الذي كتبته إلى معاوية ﵁ فهو حديث عظيم

معناه «**من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس...**» بمعنى أنَّه حرص على رضى الله، وإن كان ذلك الإرضاء لله فيه إسخاطٌ للناس؛ فإنَّ الله يجعل العاقبة أنَّ الناس يرضون عنه بأن يجعل أسبابًا تكون هي المؤثرة في رضاهم عنه، والعكس بالعكس أي من التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس؛ بأن يجعل أسبابًا تسخطهم عليه والقلوب بيد مقلبها.

(٣٢) بابُ قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]

وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ الآية [الأنفال: ٢]. وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٤﴾ الآية [الأنفال: ٦٤]. وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وعن ابن عباس قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيمُ عليه السلام حين أُلْقِي في النار، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ الآية [آل عمران: ١٧٣]. رواه البخاري والنسائي(١٦٢).

فيه مسائل:

الأولى: أن التوكل من الفرائض.

الثانية: أنه من شروط الإيمان.

الثالثة: تفسير آية الأنفال.

---

(١٦٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب «التفسير» باب: تفسير [آل عمران]، وأخرجه الإمام الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢٦) برقم: (٣١٦٧)، وأخرجه الإمام النسائي في «السنن الكبرى» (٦/ ١٥٤) برقم: (١٠٤٣٩) وفي (٦/ ٣١٦) برقم: (١١٠٨١)، وأخرجه الإمام ابن أبي شيبة في (٦/ ٣٢١) برقم: (٣١٨٣٠).

الرابعة: تفسير الآية في آخرها.

الخامسة: تفسير آية الطلاق.

السادسة: عظم شأن هذه الكلمة؛ وأنها قول إبراهيم عليه السلام، ومحمد ﷺ في الشدائد.



الشرح

التوكل على الله:

هو تفويض الأمور إلى الله ﷻ، والوثوق بكفايته والاعتماد عليه ﷻ في تيسير كل مهم من أمور الحياة، وليس معنى ذلك أن يترك العبد الأسباب المادية التي تؤدي إلى إنجاح طلبه من جلب كل مرغوب أو دفع كل مرهوب؛ بل عليه أن يباشرها معتقدًا في تلك الأسباب بأنها من قدر الله، والله ﷻ يقدر أن يرتب عليها ما يطلب منها، ويقدر أن يسلبها ذلك.

وعلى العبد أن يؤمن أنَّ الله ﷻ لا يتصرف بحسب رغبات عباده؛ ولكنه يتصرف ﷻ بحسب ما قد قدره، وكتبه في اللوح المحفوظ؛ وهو أعلم بعباده؛ وأعلم بمصالحهم.

ومن جهة أخرى فإنَّه ينبغي للعبد أيضًا أن يدعو الله ﷻ راغبًا إليه، ومعتمدًا عليه في حصول ما قصد، ودفع ما حذر، وهذا هو سبب آخر؛ أي أنَّ الدعاء سببٌ مستقل؛ بل هو من أنجح الأسباب، ولقد أمر الله ﷻ عباده بالتوكل عليه في قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فهذا أمرٌ من الله ﷺ لعباده أن يتوكلوا عليه، وأن يفوضوا أمورهم إليه مع مباشرة

الأسباب المادية والاعتماد على مسببها.

وكذلك قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ إنَّما أداة حصر، يستفاد منها حصرٌ للإيمان الكامل في هذه الصفات الثلاث:

أولها: أنَّهم إذا سمعوا آيات الله وجلت قلوبهم، وخافت من لقائه، وفرحت بما كانت قد أحسنته لقوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٨].

وثانيهما: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ يؤخذ من هذه الجملة من الآية أن الإيمان يزيد بسماع كلام الله ﷻ، أي: يزيد مقداره في قلب العبد، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، خلافًا للمرجئة والجهمية؛ الذين يقولون: أن الإيمان هو: التصديق، والتصديق لا يزيد ولا ينقص.

ثالثًا: قوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: على ربهم يعتمدون؛ مفوضين إليه أمورهم، وطالبين منه إنجاح مساعيهم، فهذه الثلاث الخصال من جمعها فقد بلغ كمال الإيمان.

وقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ أي: كافيك، قوله: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: وكافي من اتبعك من المؤمنين بإعطاءكم النصر على أعدائكم إن أطعتموه، واتبعتم أمره، واجتنبتم نهيه، وحذرتم الوقوع في محارمه.

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: هو كافيه، وناصره، ومؤيده.

ثُمَّ أورد حديث ابن عباس قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ أي: هذه الجملة التي فيها التفويض لله ﷻ قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ ومعنى

حسبنا الله أي: كافينا، وموفقنا، وهادينا.

ويؤخذ من هذه الآيات أنَّ التوكل على الله فرضٌ من فرائض الإيمان؛ وأنه سببٌ في كماله وأنَّ من توكل على الله كفاه ما أهمه، وأنَّ حسبنا الله ونعم الوكيل؛ كلمتان عظيمتان في التوكل على الله، والاعتماد عليه، وفي صرف كل ما يؤذي، وجلب كل ما ينفع.

ويؤخذ منه أنَّ التوكل من أعمال القلوب، واللسان يصدقها، نسأل الله أن يجعنا ممن يتأسون بالنبيين الكريمين وهما إبراهيم ومحمدٌ عليهما الصلاة والسلام.



(٣٣) بابُ قول الله تعالى:
﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩]

وقولِهِ: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

عن ابن عباس: أنَّ رسول الله ﷺ سُئل عن الكبائر؟ فقال: «**الشركُ بالله، واليأسُ من رَوْحِ الله، والأمنُ من مَكْرِ الله**»(١٦٣).

وعن ابن مسعود قال: أكبرُ الكبائر: الإشراكُ بالله، والأمنُ من مكرِ الله، والقنوطُ من رحمة الله، واليأسُ من رَوْح الله. رواه عبدُ الرزاق(١٦٤).

---

(١٦٣) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ في «فتح المجيد»: هذا الحديث رواه البزار، وابن أبي حاتم من طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس ورجاله ثقات إلَّا شبيب فقال ابن معين: ثقة، وليَّنه أبو حاتم، وقال ابن كثير: في إسناده نظر والأشبه أن يكون موقوفًا. اهـ. قال محققا كتاب «القول المفيد»: أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (ص١٠٦)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٨٥)، والطبراني كما في «المجمع» (١/ ١٠٤)، وفي «الدر المنثور» (٢/ ١٤٢)، وقال الهيثمي (١/ ١٠٤): رواه البزار، والطبراني، ورجاله موثقون. قال الشيخ الوليد آل فريان: وحسنه العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ١٧) اهـ. **قلت**: رواه بنحو هذا الأثر ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤١) [طبعة: دار الفكر بيروت ١٤٠٥ هـ].

(١٦٤) الأثر رواه ابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٤١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٥٦) برقم: (٨٧٨٤)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٠/ ٤٥٩) برقم: (١٩٧٠١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الأعراف.

الثانية: تفسير آية الحجر.

الثالثة: شدَّة الوعيد فيمن أَمِنَ مكرَ الله.

الرابعة: شدَّة الوعيد في القُنوط.

الشرح

باب قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٩٦].

قال أهل العلم:

«ينبغي للعبد أن يكون بين الخوف والرجاء، وألَّا يغلب عليه الأمن من مكر الله واليأس من روح الله أو العكس من ذلك، فإن كلا الطرفين هلاك، والوسط هو عنوان الاستقامة، ويقولون إنَّه ينبغي للعبد أن يكون الخوف والرجاء له بمنزلة الجناحين للطائر؛ فإذا فقد أحدهما لم يستطع الطيران، وإنَّما يستطيع الطيران من كان له جناحان. وقالوا: إنَّ الذي يجب أن يكون العبد في حال صحته وسلامته الخوف عليه أغلب، ويكون في حالة مرضه مثلًا وتهيئه للرحيل من الدنيا أن يكون الرجاء عليه أغلب، ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه: «دخل على شاب وهو في الموت فقال: كيف

تجدك؟ قال: والله يارسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وآمنه مما يخاف**»(١٦٥) وإنَّ الأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله يحصل أحدهما عند غلبة جانب دون جانب، فمن غلب عليه الرجاء وزاد في ذلك حتى يخرج عن الاعتدال؛ فإنَّه في هذه الحالة يأمن مكر الله؛ وهذا دليلٌ على انعدام الخوف من الله عنده أو ضعفه حتى وقع في هذا المأزق الذي حكم الله على أصحابه بالخسار فقال: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ اللهم إنَّا نعوذ بك من أن نأمن مكرك.

والجانب الآخر:

الخوف إذا زاد عن حد الاعتدال، ووصل بالعبد إلى جانب القنوط واليأس فتلك مصيبة أيضًا توروده إلى المهالك، وعلى العبد أن يكون معتدلًا بين الخوف والرجاء؛ فلا يستبد به الخوف حتى يخرجه إلى القنوط، ولا يستبد به الأمن حتى يكون من أهل الخسار؛ فإنَّه إن حصل له ذلك أو بعض ذلك كان على خطر عظيم، والعياذ بالله، ولهذا جاء في حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر فقال: «**الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله**» فالشرك أعظم ذنب عصي الله به؛ فمن أشرك بالله شركًا أكبر فإنَّه محرم عليه دخول الجنة، ومحتمٌ عليه دخول النار، والله ﷻ يقول: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣] ويقول ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

---

(١٦٥) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب «الجنائز» باب: ما جاء أنَّ المؤمن يموت بعرق الجبين، وأخرجه الإمام ابن ماجه في كتاب «الزهد» باب: ذكر الموت والاستعداد له. من حديث أنس بن مالك ﷺ، وهذا الحديث حسَّنه الإمام الألباني ﷺ في «صحيح سنن الترمذي» برقم: (٩٨٣)، وفي «صحيح ابن ماجه» برقم: (٤٢٦١).

﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥﴾ [الزمر: ٦٥] فمن أشرك بالله شركًا أكبر؛ فإنَّه مستحقٌّ لهذا الوعيد. واليأس من روح الله يجعل الإنسان يسيء الظن بربه، فيشتد خوفه، ويكثر قلقه، وربما ظن أنَّ ذنوبه لا تغفر، فيقع فيما هو أشد من ذنوبه التي قارفها.

والثالثة: الأمن من مكر الله؛ فهو يغلب عليه جانب الأمن، فيستهين بحق ربه، ويقع فيما يوجب غضب الله ﷻ عليه.

وهكذا نعود فنقول: العبد بحاجة إذا رأى أنَّ الأمن غلب على نفسه أن يقرأ الآيات التي فيها وعيد وإذا رأى أنَّ اليأس غلب على نفسه أن يقرأ النصوص التي فيها الوعد، وقد جاء في أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ في الشفاعة؛ وأنَّ الله يأمر بإخراج قوم على سبيل التدني: «**انظروا من كان في قلبه زنة دينار من إيمان فأخرجوه**»(١٦٦) «**ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا**»(١٦٧) «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه أدنى وزن شعيرة من إيمان**»(١٦٨) «**أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان**»(١٦٩) «**اذهبوا فمن وجدتم**

---

(١٦٦) هذه الرواية أخرجها الإمام أحمد في «مسند المكثرين» برقم: (١٠٧٠٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(١٦٧) هذه الرواية أخرجها الإمام مسلم في كتاب «الإيمان» باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ. من حديث أنس رضي الله عنه.

(١٦٨) هذه الرواية أخرجها الإمام البخاري في كتاب «الإيمان» باب: زيادة الإيمان ونقصانه. من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي كتاب «التوحيد» باب: قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾. وأخرجها مسلم في كتاب«الإيمان» باب: أدنى أهل الجنة منزلةً. من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما.

(١٦٩) هذه الرواية أخرجها الإمام البخاري في كتاب «الإيمان» باب: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال. من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا»(١٧٠) ومع ذلك يبقي الله في الجنة فضلٌ فينشئ لها أقوامًا أو فيخلق له أقوامًا(١٧١) لم يعملوا خيرًا(١٧٢) قط فيسكنهم إياها.

وهذه الأحاديث التي يغلب فيها الوعد على الوعيد يقرأها العبد إذا اشتد خوفه، ووصل به إلى اليأس، والقنوط.

وأحاديث الوعيد يقرأها العبد إذا أحس من نفسه الأمن، وعدم الخوف، والمبالاة، فإذا توازن في نفس العبد الخوف والرجاء ففي هذه الحالة يكون أقرب إلى الحق، فنسأل الله أن يثبتنا اللهم لا تُأَمنَّا مكرك، ولا تله قلوبنا عن ذكرك، ولا تولِ علينا غيرك.

---

(١٧٠) هذه الرواية أخرجها الإمام البخاري في كتاب «الإيمان» باب: زيادة الإيمان ونقصانه. من حديث أنس بن مالك، وفي كتاب «التوحيد» باب: قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾. وفي باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾. وأخرجها مسلم في كتاب «الإيمان» باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ. من حديث أنس رضي الله عنه، وفي باب: أدنى أهل الجنة منزلةً. من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وفي كتاب «الفتن وأشراط الساعة» باب: في الدجال وهو أهون على الله ﷻ. من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(١٧١) هذه الرواية أخرجها الإمام مسلم رحمه الله في كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ قال رسول الله ﷺ: **«فأمَّا النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله تقول: قط قط قط فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحدًا، وأمَّا الجنة فينشئ لها خلقًا»**.

(١٧٢) هذه الرواية أخرجها الإمام مسلم أيضًا في كتاب «الإيمان» باب: معرفة طريق الرؤية. من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ قال رسول الله ﷺ: **«فيقول الله ﷻ: شفعت الملائكة وشفع النبيون، وشفع المؤمنون؛ ولم يبق إلَّا أرحم الراحمين، فيقبض قبضةً من النار، فيخرج منها أقوامًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حممًا، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة؛ فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل»**.

(٣٤) بابٌ من الإيمان بالله: الصبرُ على أقدار الله

وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

قال عَلْقمةُ: هو الرجلُ تُصيبه المصيبةُ فيعلمُ أنَّها من عند الله، فيرضى ويُسلِّم(١٧٣).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اثنتان في الناس هُما بهم كُفرٌ: الطعنُ في النَّسَب، والنِّياحةُ على الميت**»(١٧٤).

ولهما عن ابن مسعود مرفوعًا: «**ليس مِنَّا من ضرب الخدود، وشقَّ الجيوب، ودعا بدعْوى الجاهلية**»(١٧٥).

وعن أنس؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبةَ في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشرَّ أمسك عنه بذنبه، حتى يُوافِي به يوم**

---

(١٧٣) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في «فتح المجيد»: هذا الأثر رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، قال الشيخ الوليد بن عبد الرحمن آل فريان: أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٨/ ١٢٣) وابن أبي حاتم في «التفسير» كما في «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٦٣) وأخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ٩٥) وعبد بن حميد، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ١٨٣) وأخرج نحوه البخاري في «الصحيح» معلقًا «٨/ ٦٥٢» عن ابن مسعود ا هـ.

(١٧٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب «الإيمان» باب: إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة.

(١٧٥) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب «الجنائز» باب: ليس منَّا من شق الجيوب. وباب: ليس منَّا من ضرب الخدود. وفي كتاب «المناقب» باب: ما ينهى من دعوى الجاهلية. وأخرجه الإمام مسلم في كتاب «الإيمان» باب: تحريم ضرب الخدود.

القيامة»[١٧٦].

وقال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ عِظَم الجزاء مع عِظَمِ البلاء، وإنَّ الله تعالى إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومَن سخِط فله السخط**»[١٧٧]. حسّنه الترمذي.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية التغابن.

الثانية: أن هذا من الا[illegible] بالله.

الثالثة: الطعن في النسب.

الرابعة: شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود، وَشَقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية.

---

(١٧٦) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: هذا الحديث رواه الترمذي، والحاكم، وحسَّنه الترمذي، وأخرجه الطبراني، والحاكم عن عبد الله بن مغفل، وأخرجه ابن عدي عن أبي هريرة، والطبراني عن عمار بن ياسر. **قلت:** أخرجه الترمذي في (٤/ ١) برقم: (٢٣٩٦) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤١٨) برقم: (٨١٣٣) وابن حبان في «صحيحه» (٧/ ١٧١) برقم: (٢٩١١) وقد أشار الإمام الألباني رحمه الله إلى صحته وأشار إلى ذلك في «السلسلة الصحيحة» برقم: (١٢٢٠).

(١٧٧) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: ورواه ابن ماجه، ورواه الإمام أحمد عن محمود بن لبيد رفعه: «**إذا أحب الله قومًا ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع**». قال المنذري: رواته ثقات. اهـ. **قلت:** أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٣٨) برقم: (٤٠٣١) والترمذي (٤/ ٦٠١) برقم: (٢٣٩٦) والشهاب في «مسنده» (٢/ ١٧٠) برقم: (١١٢١)، وقد أشار الإمام الألباني رحمه الله إلى صحته أيضًا في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٤٦) و«المشكاة» برقم: (١٥٦٦).

الخامسة: علامة إرادة الله بعبده الخير.

السادسة: علامة إرادة الله به الشر.

السابعة: علامة حبّ الله للعبد.

الثامنة: تحريم السخط.

التاسعة: ثواب الرضا بالبلاء.

الشرح

قوله: باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله «الصبر على أقدار الله ﷻ هو علامة الإيمان به ﷻ، والمقصود هنا صبر المسلم على الأقدار التي ليس له فيها سبب يعني أنَّ الأقدار تنقسم إلى قسمين:

١ - الأقدار المكروهة التي يقدرها الله تعالى على العبد وليس للعبد فيه سبب كالمرض والحاجة والابتلاءات التي يبتلى بها العبد؛ وهي ليست من المعاصي، فهذه ينبغي للعبد أن يصبر عليها ويجب عليه ذلك، والله ﷻ يقول: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١] ويقول: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]. فالقحط، وعدم المطر من المصائب، والمرض من المصائب، والعاهات التي تأخذ الثمرة من المصائب، والابتلاء بالفقر، والحاجة من المصائب وهكذا فينبغي للعبد أن يؤمن بتلك المصائب المقدرة من الله من قبل أن يخلق السماوات والأرض فيصبر عليها ويقابلها بالحمد والشكر لله ﷻ الذي قدَّرها.

٢ - وأمَّا الابتلاء بالمعاصي؛ فكأن يبتلى الإنسان بفعل الزنا أو بشرب الخمر أو بسفك دم حرام فهذا لا يجوز له أن يحتج عليه بالقدر، وإن احتج بالقدر فهو مخطئ في ذلك. وعلى العبد أن يتوب إلى الله ﷻ من ذلك الذنب الذي قارفه، وأن يلقي باللوم على نفسه، والمقصود أنَّ الصبر هنا هو الصبر على محض الأقدار؛ التي ليس للإنسان فيها سبب، ولا هو قادر على صرفها كما مثلنا سابقًا وتفسير الآية يدل على ذلك.

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة؛ فيعلم أنَّها من عند الله فيرضى ويسلم؛ أي: يجب أن يرضى بقدر الله ويصبر عليه.

وللعبد أمام المقادير [illegible]ن:

أولًا: حالة الصبر، وحالة الرضا، وهذه الحالة؛ وهي الرضا؛ حالة المقربين؛ وهو أن ترضى عن ربك ﷻ بأنه قدر عليك هذا القدر، وتكون راغبًا في ثواب المصيبة أفضل من أن تبقى لك فإن رزقك الله بولد وبعد ما بلغ أنَّه يخدمك بعض الخدمة أخذه الله من بين يديك؛ فأنت حينئذ إذا رضيت بقدر الله تنال كمال الثواب لأنك علمت أنَّ أجر المصيبة الذي ادخره الله لك أفضل من بقاء ذلك الذي سلبك إياه، وقد جاء في الحديث أنَّ الله ﷻ إذا قبض ولد العبد قال الله لملائكته: **«قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة، وسموه بيت الحمد»**(١٧٨) رواه الترمذي، وأحمد.

---

(١٧٨) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب «الجنائز» باب: فضل المصيبة إذا احتسب. قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسنٌ غريب، وأخرجه الإمام أحمد في «مسند الكوفيين» [برقم إحياء التراث]: (١٩٢٢٦) من حديث أبي موسى الأشعري ﵁. قال الإمام الألباني ﵀: حديث حسن. انظر «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم: (١٤٠٨).

فتذكر هذا الحديث يا من أُصِبتَ بقبض روح ولدك وموته حتى إنَّك لو خيرت بين أن يبقى ولدك يعود لك على قيد الحياة، والبيت الذي في الجنة لاخترت البيت الذي في الجنة هكذا حال المؤمن.

أمّا الحالة الثانية: فهي حالة الصبر؛ وهي حبس النفس على ألم المصيبة مع وجود التألم وهي دون حالة الرضى في المرتبة.

إذًا ما مناسبة حديث أبي هريرة للباب: «**اثنتان بالناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت**»؟.

نقول: مناسبته أنَّ النياحة تسخطٌ لقدر الله ﷻ، وعدم رضًى به؛ هذا معناه. وكذلك حديث ابن مسعود أي: في البخاري ومسلم عن ابن مسعود مرفوعًا: «**ليس منا من ضرب الخدود**» أي: عند المصيبة «**وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**» وهو أنَّه من وقعت عليه المصيبة:

١ - إما أن يكون مؤمنًا، فيرضى، ويسلم.

٢ - وإما أن يكون ضعيف الإيمان، فيضرب خده، ويشق جيبه، ضرب الخد معروف، والجيب هو جيب القميص أو ما يقوم مقامه؛ بأن يقدّه [يقطعه] تسخطًا للمصيبة، والجيب هو الفتحة التي يدخل فيها الرأس، المتسخط لقدر الله يشق الجيب أي: يشق قميصه تسخطًا لذلك القدر المقدور.

وكذلك أن يدعو على نفسه بدعوى الجاهلية؛ كقول: واجبلاه واناصراه. نسأل الله العفو والعافية؛ هذه حالة المتسخطين الذين لا يرضون بالقدر، فالواو في واجبلاه، وفي واناصراه تسمَّى عند أهل اللغة: واو الندبة.

وفي حديث أنس: «**إذا أراد الله بعبده خيرًا عجَّل له بالعقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة**» في هذا

الحديث إخبارٌ أنَّ العبد قد تصيبه المصائب وتتوالى عليه النكبات؛ فيظن أنَّ ذلك من كره الله له وليس كذلك؛ بل قد يكون الله محبًّا له ويريد أن يبتليه بالابتلاءات؛ حتى يأتي يوم القيامة، وقد تخفف من الذنوب.

أمَّا من أمسك الله عنه، وأسبل عليه رداء العافية، فأعطاه المال، والولد، وهيأ له الجاه مع أنَّه مقيمٌ على معصية؛ فذلك ربما كان دليلًا على أنَّ الله أراد به شرًّا، وجمع له العقوبة في الآخرة - والعياذ بالله - وفي الحديث الأخير: «**إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء**» يعني أنَّ الثواب الجزيل، والأجر الكثير يكون على من ابتلي ابتلاءات فصبر. ألم تسمع إلى ربك وهو يقول: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة:١٢٤]. وأثنى عليه ربه في قوله: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: ٣٧]. ذلك أنَّه كان مؤمنًا وحده، فكسر أصنام قومه، فحكموا عليه بأن يلقى في النار، فصبر؛ فجعل الله النار عليه بردًا وسلامًا، وخرج مرفوع الرأس، وابتلاه الله بفراق والديه وأهله فصبر وهاجر ومع ذلك ابتلاه الله بعدم الولد فصبر، ثمَّ حصل له إسماعيل، فابتلاه الله بأن يضعه في تلك الجبال القاحلة فصبر، وبتركه هناك فصبر، فلما بلغ معه السعي ابتلاه الله بأن أمره بذبحه فصبر؛ نجح في كل هذه الابتلاءات وغيرها، ونحن يقدر الله علينا بعض المقادير فيتسخط الواحد منا ولا يصبر لبلاء ربه. اللهم اجعلنا ممن يصبر عند البلوى، ويشكر عند النعماء، ثمَّ قال: «**وإنَّ الله إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم**» اختبر صبرهم «**فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط**» أي: من رضي بقدر الله رضي الله عنه، ومن تسخط من قدر الله سخط الله عليه، نعوذ بالله من سخط الله. وعقيدة أهل السنة والجماعة أنَّ الخير والشر كلاهما مقدَّرٌ من الله، ولكنَّ الشرَّ لا ينسب إلى الله ﷻ؛ بل ينبغي نسبته إلى مجهول كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن: ١٠] أو إلى نفس العبد

كما في قوله ﷻ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾ [النساء: ٧٩] يعني أنَّ السيئة حاصلةٌ من كسبك، ومن عملك، فأنت المتسبب فيها كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس: ٤٤] وفي حديث التلبية: «**والشر ليس إليك**». فتنزيه الله عن الشر؛ ليعلم أنَّه إنمَّا يحصل من الله على سبيل المجازاة للعبد والمعاقبة له؛ كما في الحديث السابق: «**وإذا أراد بعبد الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة**»[١٧٩].



(١٧٩) الحديث أخرجه الإمام مسلم ﵀ في باب: الدعاء. في صلاة الليل وقيامه (١/ ٥٣٤) برقم: (٧٧١).

(٣٥) بابُ ما جاء في الرِّياء

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

عن أبي هريرة مرفوعًا: «**قال الله تعالى: أنا أغنى الشُّركاءِ عن الشرك، من عَمِل عملًا أشرك معي فيه غيري تركتُه وشِرْكَه**»(١٨٠). رواه مسلم.

وعن أبي سعيد مرفوعًا: «**ألا أُخبرُكم بما هو أخْوَفُ عليكم عندي من المسيح الدَّجَّال؟**». قالوا: بلى، قال: «**الشركُ الخفي؛ يقوم الرجلُ فيُصلي فيُزَيِّنُ صلاتَه؛ لما يرى من نظر رجل**»(١٨١). رواه أحمد.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الكهف.

الثانية: الأمر العظيم في ردِّ العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله.

الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك؛ وهو كمال الغنى.

---

(١٨٠) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب «الزهد» باب: من أشرك في عمله غير الله.

(١٨١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٠) برقم: (١١٢٧٠) وأخرجه الإمام ابن ماجه (٢/ ١٤٠٦) برقم: (٤٢٠٤) باب: الرياء والسمعة. وفي «السنن الكبرى» للإمام البيهقي (٢/ ٢٩٠) برقم: (٣٤٠٠) باب: الترغيب في تحسين الصلاة. وأخرج نحوه الإمام ابن خزيمة في «صحيحه» (٢/ ٦٧) باب: التغليظ في المراءاة بتزيين الصلاة. برقم: (٩٣٧) وقد جاء فيه بلفظ عن محمد بن لبيد قال: خرج النبي ﷺ فقال: «**أيها الناس إياكم وشرك السرائر**». قالوا يا رسول الله وما شرك السرائر؟ قال: «**يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهدًا لما يرى من نظر الناس إليه فذلك شرك السرائر**».

الرابعة: أن من الأسباب: أنه تعالى خير الشركاء.

الخامسة: خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء.

السادسة: أنه فَسَّرَ ذلك بأن المرء يصلي لله، لكن يُزينها لما يرى من نظر رجلٍ إليه.

الشرح

تعريف الرياء:

هو أن تري الناس بأن عملك لله مع أنَّ عملك إنَّما هو للناس أو للدنيا والعياذ بالله؛ وهو أي: الرياء ينقسم إلى قسمين:

(١) باعث على العمل.

(٢) وعارضٌ في العمل.

فالباعث على العمل هو رياء المنافقين؛ بأن يكون هذا المرائي لولا مراءاته للناس ما عمل ذلك العمل، فيعد الرياء باعثًا له على العمل، وهذا ينطبق على أقوام من الناس إن كان الواحد مع الناس صلى، وإن كان وحده لم يصل؛ وهم الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٤٢] فتجد الواحد منهم لا يعمل العمل الذي يرضي الله إلَّا إذا كان بين الناس؛ يريد أن يثنوا عليه به.

وأمَّا العارض في العمل فهو يعد من الشرك الأصغر؛ فيقوم الإنسان يصلي لكن إذا رأى أحدًا من الناس ينظر إليه زين صلاته من أجل نظر ذلك الرجل، وهكذا أن يدخل في العمل من أجل الله فيعرض له الرياء حين أداء

العمل. وهذا إن غلب على الإنسان فربما أحبط عمله، وإن استعاذ منه فإنه يمكن أن يتغلب عليه؛ لكن ينقص من أجره.

والمهم: أنَّ ما كان باعثًا على العمل فهو يعتبر من الشرك الأكبر، وما كان عارضًا في العمل كان من الشرك الأصغر، وقد علَّم النبي ﷺ أمته بأن يدعو الإنسان إذا أحس من نفسه شيئًا فيقول: «**اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم؛ إنَّك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب**»[(١٨٢)] وأيضًا يدعو بهذاالدعاء: «**اللهم فاطر السماوات والأرض، ربَّ كل شيء ومليكه، أشهد ان لا إله إلَّا أنت؛ أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه وان أقترف على نفسي إثمًا أو أجره إلى مسلم**»[(١٨٣)]

---

(١٨٢) هذا الحديث أخرج نحوه الترمذي في «سننه» (٥/ ٤٧٦) برقم: (٣٤٠٧) بلفظ عن العلاء ابن الشخير عن رجل من بني حنظلة قال: صحبت شداد بن أوس رضي الله عنه في سفر فقال: ألا أعلمك ما كان رسول الله ﷺ يعلمنا أن نقول: «**اللهم إني أسألك الثبات في الأمر وأسألك عزيمة الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك لسانًا صادقًا وقلبًا سليمًا وأعوذ بك من شر ما تعلم وأسألك من خير ما تعلم وأستغفرك مما تعلم إنك أنت علام الغيوب**». قال وكان رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم يأخذ مضجعه يقرأ سورة من كتاب الله إلا وكل الله به ملكًا فلا يقربه شيء يؤذيه حتى يهبَّ متى هبَّ**». قال أبو عيسى: هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه والجريري هو [سعيد بن إياس أبو مسعود الجريري] وأبو العلاء اسمه [يزيد ابن عبد الله بن الشخير]، وأخرجه الإمام الطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ٢٩٣) برقم: (٧١٧٥) و(٧/ ٢٩٤) برقم: (٧١٧٦) و(٧/ ٢٩٤) برقم: (٧١٧٦)، وأخرج أيضًا في «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٤٦) برقم: (٢٩٣٥٨)، وأخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٢٣) برقم: (١٧١٥٥).

(١٨٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذي بهذا اللفظ في كتاب «الدعوات» في باب: ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى. وبنحوه في باب: ما جاء في عقد التسبيح باليد. وأخرجه الإمام أبو داود في كتاب «الأدب» باب: ما يقول إذا أصبح. وأخرجه الإمام أحمد في «مسند العشرة المبشرين بالجنة» برقم: (٥٢، ٦٤، ٨٢)، و«مسند المكثرين من الصحابة» برقم: (٦٥٦١، ٦٨١٢، ٧٩٠١)، وأخرجه الإمام الدارمي في كتاب «الاستئذان» باب: ما يقول إذا أصبح. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

«اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي»[١٨٤] وجاء في الحديث القدسي أنَّ الله تعالى يقول: **«أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»**. هذا مما يدعو العبد إلى الإخلاص في عمله لله ﷻ.

وقول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ معنى كونه صالحًا أن يكون خالصًا لله تعالى، ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا، ومما يدعو الإنسان إلى التوحيد، والإخلاص أن يعلم أنَّ الناس ليس عندهم شيءٌ من الثواب فيعطوه، وليس بأيديهم شيءٌ من العقاب؛ فيسلطوه عليه؛ فالثواب والعقاب بيد الله؛ والخير والشر بيده ﷻ، فلا ينصرف الشك وإرادة الناس بالعمل إلَّا بعون من الله، وذلك إذا دعا العبد ربه، وسأله أن يجعل الأعمال خالصة لوجهه، ولهذا قال النبي ﷺ: **«ألا أخبركم بما هو أخوف عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى؛ قال: الشرك الخفي: يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته؛ لما يرى من نظر رجل»**. وإن النفوس ضعيفة، فينبغي للعبد أن يسأل الله ﷻ أن يصرف عنه كيد الشيطان الرجيم، وأن يجعل عمله خالصًا لله تعالى؛ لأنَّ ما تخوفه النبي ﷺ علينا لا شك أنَّه أمرٌ مخوف، وأنَّ الواجب علينا أن نلجأ إلى الله ﷻ بأن يصرف عنا الشيطان؛ الذي يدعونا إلى البدع والمعاصي ويوقعنا فيما يحبط أعمالنا، وأن يعيننا على أنفسنا من الوقوع فيما يضرنا، والله ﷻ شرع لنا أن نستعين به: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]. فنحن لا نقدر على صرف الشيطان عن أنفسنا إلَّا بهذا، فإذا دعونا الله ﷻ، يصرفه عنَّا؛ صرفه عنَّا.

---

(١٨٤) هذه الزيادة وجدتها في «سنن الترمذي» في كتاب: جامع الدعوات عن رسول الله ﷺ، بابٌ: من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه. كتاب الدعوات، باب: ما جاء في جامع الدعوات من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣٦) بابٌ من الشرك
إرادةُ الإنسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ الآية [هود: ١٥، ١٦].

في «الصحيح» عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«تَعِس عبدُ الدينار، تَعِس عبدُ الدرهم، تَعِسَ عبدُ الخميصة، تَعِسَ عبدُ الخميلة، إنْ أُعطي رضي، وإنْ لم يُعط سَخِط، تَعِس وانْتكس، وإذا شيك فلا انْتقش. طوبى لعَبْدٍ آخذٍ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسهُ، مُغْبَرَّةٌ قدماه، إنْ كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في السَّاقة كان في الساقة، إنْ استأذن لم يُؤذن له، وإن شفع لم يُشفَّع»**(١٨٥).

فيه مسائل:

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

الثانية: تفسير آية هود.

الثالثة: تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار، والدرهم، والخميصة.

---

(١٨٥) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٩٤) برقم: (٢٥٩٥)، وبنحوه أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» في كتاب: الجهاد والسير، باب: الحراسة في الغزو في سبيل الله. وفي كتاب: الرقائق، باب: ما يتقي من فتنة المال.

الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أُعطي رضيَ، وإن لم يُعطَ سخط.

الخامسة: قوله: «**تعس وانتكس**».

السادسة: قوله: «**وإذا شيك فلا انتقش**».

السابعة: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

الشرح

وأقول قوله: «باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا» فإنَّ هذا نوعٌ من أنواع الشرك أي: يريد الإنسان بعمل من أعمال الآخرة يريد به الدنيا فقط، وقد استدل المؤلف على ذلك بقوله تعالى في [سورة هود: ١٥]: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥﴾ دلت هذه الآية على أنَّ من أراد بعمله الدنيا فقط؛ أن ذلك يكون ردة. نسأل الله العفو والعافية وهو يعتبر من الشرك الأكبر؛ لقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ وهذا الوعيد إنَّما يكون لمن يشرك بالله شركًا أكبر، ويترتب عليه حبوط العمل، ودخول النَّار والخلود فيها. أمَّا من قصد الدنيا للاستعانة بها وهو مؤمنٌ بالآخرة لعلمه أنَّها هي الحياة الباقية فإنَّه فيما يظهر لا يناله هذا الوعيد إن شاء الله وهذا لما يكون فيه من المداخلة كمن درس مثلًا العلوم الشرعية من أجل أن يعلمها، ويعمل بها ثمَّ ينال بتلك الشهادة وظيفة يستعين بها على دنياه وآخرته، وإنَّما إرادة الدنيا وزينتها تكون مذمومة في حق من لم تكن له همةٌ في دينه؛ بل إنَّه لو لم يحصل على الدنيا إلَّا بترك الدين لفعله؛ فهذا الذي يناله الوعيد، فالله ﷻ أخبرنا بأنَّ هذا الصنف من

الناس كما قال الله ﷻ في [الآية ١٤: من سورة الأحزاب] في وصف المنافقين: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ۝ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۝﴾ وفي قراءة «لأتوها»[١٨٦] [الأحزاب: ١٤- ١٥] فأخبر فيها عن المنافقين أنَّه لو دخلت عليهم المدينة من جميع جهاتها؛ سواء دخله اليهود أو المشركون، ثمَّ طلب منهم أن يشركوا، وأن يعودوا إلى الشرك لفعلوا، فمن كان هذه حاله، فالظاهر أنَّ هؤلاء هم المقصودون دون النوع الأول؛ الذين ذكرتهم، والله تعالى أعلم.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية [آية هود]: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا﴾... الآية والتي بعدها: «قال العوفي: عن ابن عباس في هذه الآية: إنَّ أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا وذلك أنَّهم لا يظلمون نقيرًا؛ يقول: من عمل صالحًا التماس الدنيا صومًا أو صلاةً أو تهجدًا بالليل لا يعمله إلَّا التماس الدنيا يقول الله تعالى: «أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة» «وحبط عمله الذي كان يعمله لالتماس الدنيا وهو في الآخرة من الخاسرين». وهكذا روي عن مجاهد والضحاك وغير واحد، وقال أنس بن مالك والحسن: نزلت في اليهود والنصارى، وقال مجاهد وغيره: نزلت في أهل الرياء، وقال قتادة: من كانت الدنيا همَّه ونيته وطلبته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثمَّ يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة. وقد ورد في الحديث المرفوع نحوًا من هذا، وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ

---

(١٨٦) قال شيخنا النجمي حفظه الله: معنى قراءة: (لآتوها) أي أعطوها أي الفتنة. وهي الإجابة إلى الكفر والشرك ومعنى قراءة (لأتوها) أي: فعلوها.

جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: ١٨ - ٢١] وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى: ٢٠]» اهـ.

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة؛ إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط**...» الحديث.

قوله «تعس» دعاء عليه، «عبد الدينار» «عبد الدرهم» هو الذي يتوقف رضاه على إعطائه الدينار، والدرهم، وسخطه على عدم ذلك، وهذه منقصةٌ تدل على أنَّ الدنيا إنَّما هي معبرٌ وليست بدار إقامة، ووسيلة وليست غاية، لكنَّ من خالط قلبه الإيمان كان بخلاف ذلك فيستقل الدنيا، ويستضعفها، ويزهد فيها إن لم تكن من طريق حلال، وما عطف على الدينار والدرهم فهو في حكمه كقوله: «**تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة**». والخميصة والخميلة نوعان من الثياب أي: الذي يرضى بوجودها ويغضب عند فقدها.

ثمَّ بالغ في وصفه فقال: «**إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط**». وزاد دعاءً عليه فقال: «**تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش**». ومعنى هذا دعاءٌ عليه، وأنَّه إذا وقع في ورطةٍ لا يخرج منها أي: دعاءٌ عليه بالبقاء فيها، وعدم الخلاص منها.

ثمَّ شرع في وصف النوع الآخر الذي همهُّ أداء ما عليه من واجبات حتى ولو حصل ذلك مع نقص حظوظ نفسه فقال: «**طوبى لعبد آخذٌ بعنان فرسه**

في سبيل الله، أشعث رأسه» أي: أنَّه مهتمٌّ بأداء الواجبات لا يمكنه التفرغ لدهن رأسه وترجيله؛ بل هو مغمورٌ بأداء الواجب ومكثف عليه الأعمال لكونه شخصًا طيِّعًا يريد رضا الله، والتقرب إليه، والتطلع إلى فضله وازدراء الدنيا، واحتقارها، ولهذا قال: **«أشعث رأسه مغبرةٌ قدماه»**. **«إن كان في الحراسة كان في الحراسة»** والمراد بالحراسة حراسة المجاهدين عند نزولهم، ونومهم **«وإن كان في الساقة كان في الساقة»** والمراد بالساقة مؤخرة الجيش؛ وصاحبها يتتبع العاجزين، ويسعفهم، ويعينهم لا يكثر من الاستئذان؛ بل أنَّه قد يستأذن فلا يؤذن له، ويشفع فلا يشفع؛ ويعرض الأمر فلا يقبل رأيه ولا تتبع مشورته، فهذا حال أصحاب الطاعة المتطلعين للثواب الأخروي، وذاك حال أصحاب الدنيا الذين تنعقد نفوسهم بالأمور المادية، فلا يرضون إلَّا بها.



(٣٧) بابٌ مَن أطاع العُلماءَ والأمراء في تحريم ما أحلَّ الله أو تحليلِ ما حرَّمه فقد اتخذهم أربابًا من دون الله

وقال ابنُ عباس: يُوشِكُ أنْ تنزل عليكم حجارةٌ من السماء؛ أقول: قال رسولُ الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر!؟[١٨٧].

وقال أحمد بن حنبل: عجبتُ لقوم عرفوا الإسنادَ وصحَّتَه، يذهبون إلى رأي سُفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. أتدري ما الفتنة؟ الفتنةُ: الشركُ، لعلَّه إذا رَدَّ بعضَ قوله أنْ يقع في قلبه شيءٌ من الزيغ فيهلك[١٨٨].

---

(١٨٧) قال الشيخ الدكتور الوليد بن عبد الرحمن آل فريان في تحقيقه لـ« فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (٢/ ٦٤٣): الأثر أخرجه أحمد في «المسند» برقم: (٣١٢١)، وأبو بكر الأثرم في «السنن» كما في «المغني شرح مختصر الخرقي» (٥/ ٩١) وابن إسحاق كما في «المطالب العالية» (١/ ٣٦٠)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٤٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ١٩٦)، والضياء في «المختارة»، كما في «الآداب» لابن مفلح (٢/ ٦٦) عن سعيد بن جبير، وله شاهدٌ من طريق عروة أخرجه الطبراني في «الأوسط»، كما في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٣٤) بإسناد حسن. اهـ. وقال محققا «القول المفيد شرح كتاب التوحيد»، وابن حزم في «حجة الوداع» (ص٢٦٨، ٢٦٩) اهـ.

(١٨٨) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليهم جميعًا في «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»: هذا الكلام من الإمام أحمد رواه عنه الفضل بن زياد، وأبو طالب، قال الفضل عن أحمد: نظرت في المصحف، فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاث وثلاثين موضعًا، ثمَّ جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النُّور: الآية ٦٣] فذكر من قوله: الفتنة: الشرك إلى قوله: فيهلك، ثمَّ جعل يتلو هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا

وعن عَدي بن حاتم: أنه سمع النبيَّ ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية [التوبة: ٣١]، فقلت له: إنَّا لسنا نعبدهم، قال: «**أليس يُحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرمونه، ويحلُّون ما حرم الله فتحلونه؟**». فقلت: بلى، قال: «**فتلك عبادتهم**». رواه أحمدُ، والترمذي وحسنه(١٨٩).

❁ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النور.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عَدي.

الرابعة: تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة: تغير الأحوال إلى هذه الغاية، حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان: هي أفضل الأعمال، وتُسمَّى الولاية، وعبادة الأحبار: هي العلم والفقه. ثم تغيرت الأحوال إلى أن عُبد من دون الله من ليس من

يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ [النِّساء: الآية ٦٥] . قال الشيخ آل فريان: أخرجه عبيد الله بن بطة في «الإبانة الكبرى» برقم: (٩٧)، وانظر «مسائل عبد الله» (٣/ ١٣٥٥) ا هـ.

(١٨٩) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في «فتح المجيد»: هذا الحديث قد روي من طرق: فرواه ابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي. قال الشيخ آل فريان على «فتح المجيد» (١/ ٢١٠): كما في «الدر المنثور» (٤/ ١٧٤)، وأخرجه الطبراني في «التفسير» برقم: (٢٣٦١٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٤١١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١١٦)، وانظر بقية التخريج في كتاب «الانتصار» لأبي بطين (٣٤) ا هـ.

الصالحين، وعُبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

الشرح

أقول: إنَّ طاعة العلماء والأمراء في مخالفة أمر الله ﷻ بأن يحلوا ما حرم الله أو يحرموا ما أحله فهذه تعتبر عبادةً لهم من دون الله؛ ذلك أنَّ الله ﷻ أنزل إلينا القرآن وتعبدنا به، وأوصل إلينا سنة نبيه ﷺ وتعبدنا بها؛ فهذا هو الدين الذي أمر الله ﷻ بأن يدان به؛ فمن أطاع العلماء أو الأمراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله فإنَّه قد اتخذهم مشرعين، وبذلك اتخذهم أربابًا، والله ﷻ يقول: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١] لهذا أنكر ابن عباس على من كان يقول لهم قال رسول الله كذا، وشرع كذا. وهم يقولون: قال أبو بكر كذا، وشرع عمر كذا؛ وكان الخلاف بينه وبين الصحابة أو غيرهم حصل في التمتع؛ إذ إنَّ رسول الله ﷺ شرع التمتع، وأمر به من لم يسق الهدي من أصحابه، أمرهم أن يحولوا حجتهم إلى عمرة؛ وكان آخر أمره لهم عند المروة لما أكملوا السعي، وكان لأبي بكر وعمر رأيٌ في هذه المسألة؛ إذ إنهم رأيًا أنَّ من تمام العمرة والحج أن ينشأ لكل واحد منهما سفرًا خاصًّا بها، فأمرا بذلك؛ لا معارضةً لأمر الرسول ﷺ ولكن اجتهادًا منهما ﵄، ومن أجل ذاك فقد استمر بعض الناس على هذا وجعلوا ينكرون على من تمتع عمرة إلى الحج فناقش عبد الله بن عباس أقوامًا في ذلك؛ فلذلك قال لهم: «يوشك أن تنزل عليكم حجارةٌ من السماء؛ أقول: قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعمر!».

وقال الإمام أحمد بن حنبل: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك؛ لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيءٌ من الزيغ؛ فيهلك «اللهم إنا نعوذ بك من الزيغ».

معلومٌ أنَّه لا يجوز أن تعارض سنة النبي ﷺ برأي أحد؛ وإن كانوا أفضل الخلق بعد الأنبياء.

وكذلك إنكار أحمد بن حنبل رحمه الله على أقوام عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون لرأي سفيان وإنَّما ذمهم أحمد بن حنبلٍ؛ لأنهم ذهبوا إلى رأي سفيان، وتركوا السنة؛ ولو لم يكن كذلك ما كان لإنكاره عليهم وجاهة، والله ﷻ يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ الضمير في «أمره» يعود إلى رسول الله ﷺ ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ نعوذ بالله من فتنة القلوب. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنَّك أنت الوهاب. إنَّ هذا وعيدٌ أيما وعيد؛ إنه وعيد شديد على من خالف أمر رسول الله ﷺ بأن قبل قول غيره، وترك سنته ﷺ أن يبتلى ببلوى تزيغ قلبه، وتحوله من الإيمان إلى شيء من النفاق؛ نسأل الله السلامة من ذلك؛ لهذا قال: «**أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك**».

وأقول: الأصل في الفتنة أنها هي الابتلاء، والامتحان، ربما أنَّ الله يبتلي العبد بشيء من الابتلاء لينظر هل يقدم أمره أو أمر غيره فإن أراد الله به خيرًا أوقع الإيمان في قلبه، فترك طاعة الناس، وقدَّم طاعة الله، وقال: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزمر: ١٣] اللهم إنا نسألك السلامة.

قوله: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ عذابٌ مؤلم بسبب ما

قدمت أيديهم والعياذ بالله.

ثمَّ أورد حديث عدي بن حاتم: أنَّه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ فقلت: إنّا لسنا نعبدهم. قال: «**أليس يحرمون ما أحلَّ الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه**». فقلت بلى. قال: «**فتلك عبادتهم**». إن طاعة الخلق في معصية الله فيها شيءٌ من الشرك وإن كان شركًا غير مخرج من الملة غالبًا لأنَّه شركٌ أصغر، ويسمى من أجل ذلك عبادة ومن هنا يخطئ كثيرٌ من الناس؛ فيظنون أنَّ طاعة المخلوق في معصية الخالق في أمورٍ جزئية يظنون أنَّ ذلك من الكفر المخرج من الملة؛ وهذا خطأ، والظاهر أنَّ ذلك يتفاوت بتفاوت ما وقعت به الطاعة وهذه المسألة بالذات تحتاج إلى تحقيق أكثر؛ لأنَّا لو قلنا إنَّ كل طاعة قدمت للمخلوق في معصية الخالق تعد كفرًا للزم من ذلك تكفير المسلمين بأمورٍ من المعاصي، ولكنَّها من الشرك الأصغر، والكفر الأصغر الذي لا يخرج من الملة.

ومثال ذلك: لو أنَّ شخصًا أمرته زوجته بأن يشتري لها شيئًا محرمًا في الشريعة؛ فوافقها وحقق رغبتها، هل يعتبر حين أطاع زوجته قد خرج من الإسلام، واتخذها ربًّا، والعياذ بالله؟ الجواب: لا؛ لأنَّ هذه الطاعة هي طاعة في معصية الله، ولكنها طاعةٌ جزئية؛ لا يترتب عليها كفر المطيع.

وكذلك لو أنَّ شخصًا ممن يزعمون أنَّهم علماء، ودعاة، ولكنَّهم مفتونون بالحزبيات؛ كأن يكون إخوانيًّا، أو قطبيًّا، أو تحريريًّا ينتمي إلى حزب التحرير، قال لشخصٍ كان ممتنعًا عن الدخول في الحزبيات: إنَّ الحزبيات جيدة؛ تحفز على العمل، ونحن نرى الحزبيين يجتهدون في الدعوة أكثر عمَّن يقال إنَّهم سلفيون، فأطاعهم ذلك الشخص، ودخل في

الإخوانية مثلًا، أو في حزب التحرير، أو القطبية.

فهل نقول أنَّه كفر بطاعته لهذا المفتي الذي أفتاه؟

الجواب: لا. وإن كان هذا المفتي يعد من الأحبار، والرهبان، وقد أطاعه في معصية الله.

كذلك لو أطاع نفسه التي أمرته بمعصية الله ﷻ، بأن كان في حوارٍ مع أخيه أو مشادةٍ معه، فغضب عليه فسفك دمه أو أزهق روحه، فهل يعتبر قد كفر بذلك؟ الجواب: لا.

ونقول إن كثيرًا من الناس الذين يكفرون الناس بالمعصية يذهبون إلى هذا التأويل الخاطئ الذي يكفرون به عباد الله المسلمين؛ ولو كان هذا من الكفر المخرج من الملة لما بقي من المسلمين أحدٌ على إسلامه؛ ولكن كما قيل في المثل يفسد الأديان نصف فقيه، ويفسد الأبدان نصف طبيب، ولزيادة الإيضاح نجد أنَّ الله ﷻ سمَّى القاتل أخًا في قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨] وقال في [سورة الحجرات]: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝﴾ [الحجرات: ٩ - ١٠] فسمَّى الفئتين المقتتلتين إخوة، فدل ذلك على أنَّهما لم يخرجا من الإسلام بالتقاتل، ومن هنا أيضًا تعلم خطأ الخوارج والمعتزلة؛ الذين يكفرون بالكبيرة، ومن سلك مسلكهم من أهل الحزبيات في هذا الزمن.

لو قال لنا قائلٌ: كيف ترد على من يقول إنَّ تربية الشباب على احترام العلماء، وعدم الإنكار عليهم إذا أخطأوا في اجتهاداتهم أنَّ هذا نوعٌ من الشرك الأكبر؟ **أقول له**: إنَّ القول بأنَّ هذا شرك أكبر قولٌ باطلٌ، وإنَّ تربية

العلماء السلفيين لطلابهم على احترام العلماء لا يلزم منه السكوت عن أخطائهم؛ ولكنهم يقولون إنَّ الذي ينبغي لمن أنكر على العالم أن ينكر عليه بطريقة يكون فيها أدبٌ ولين، إمَّا أن يكون بينه وبين العالم، وإمَّا أن يصوغ له سؤالًا ينبهه على الخطأ من غير مجابهته؛ لأنَّ كلمة أنت أخطأت يا شيخ فيه شيءٌ من الاستخفاف وسوء الأدب، فمن يقول إنَّ السلفيين حينما يأمرون طلابهم باحترام العلماء يكون في ذلك شركٌ أكبر قوله غير صحيح؛ بل هو باطلٌ، والمعروف عن السلفيين أنَّهم يأمرون بالنصيحة بطريقة لبقة لا يكون فيها استهتار، ولا استخفاف كما سبق أن بيَّنَّاه.



(٣٨) باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ...﴾ الآيات [النساء: ٦٠ ـ ٦٢]

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [النساء: ٦٠ ـ ٦٢].

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ١١]. وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الآية [المائدة: ٥٠].

عن عبدالله بن عمر؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«لا يؤمنُ أحدُكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئتُ به»**(١٩٠).

---

(١٩٠) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في «فتح المجيد»: هذا الحديث رواه أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي في كتاب «الحجة على تارك المحجة» بإسناد صحيح كما قاله المصنف عن النووي، ورواه الطبراني، وأبو بكر بن عاصم، والحافظ أبو نعيم في «الأربعين» التي شرط لها أن تكون من صحاح الأخبار. اهـ. قال الشيخ الوليد آل فريان: أخرجه النووي في «الأربعين» (الحديث الحادي والأربعون)، والطبراني، كما في «جامع

قال النووي: حديثٌ صحيح، رُوِّيناه في كتاب «الحجة» بإسنادٍ صحيح.

وقال الشَّعبي: كان بين رجلٍ من المنافقين ورجل من اليهود خصومةٌ، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد؛ عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا أنْ يأتيا كاهنًا في جُهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ. . .﴾(١٩١) الآية [النساء: ٦٠].

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدُهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدُهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم. فضربه بالسيف، فقتله(١٩٢).

= العلوم والحِكم» (٢/ ٢٦٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم: (١٥)، وأبو نعيم في «الأربعين»، وأخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» برقم: (٢٧٩)، والحكيم الترمذي، وأبو نصر السجزي في «الإبانة» وقال: حسنٌ غريب، كما في «الكنز» (١/ ٢١٧)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٦٩)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» (١٨)، قال الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحِكم» (٢/ ٢٦٩): تصحيح هذا الحديث بعيدٌ جدًّا من وجوه وذكرها. اهـ.

(١٩١) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» برقم: (٩٨٩١، ٩٨٩٢، ٩٨٩٣)، وابن المنذر، كما في «الدر المنثور» (٢/ ٥٨٠)، وإسحاق بن راهويه في «تفسيره» بإسنادٍ صحيح كما قال ابن حجر في «فتح الباري» (٥/ ٣٧).

(١٩٢) أخرجه الثعلبي، كما في «الدر المنثور» (٢/ ٥٨٢)، والكلبي، كما في «فتح الباري» (٥/ ٣٧) عن ابن عباس قال ابن حجر: وهذا إسناد وإن كان ضعيفًا لكن تقوى بطريق مجاهد أخرجه الطبري في «التفسير» برقم: (٩٩٠١) بإسناد صحيح. اهـ. نقل تخريج هذين الأثرين من تحقيق الدكتور الوليد آل فريان وفقه الله.

❁ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت.

الثانية: تفسير آية البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾.

الثالثة: تفسير آية الأعراف: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.

الرابعة: تفسير: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾.

الخامسة: ما قاله الشعبي في سبب نزول الآية الأولى.

السادسة: تفسير الإيمان الصادق والكاذب.

السابعة: قصة عمر مع المنافق.

الثامنة: كون الإيمان لا يحصل لأحدٍ حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ.



الشرح

وأقول: إن معنى هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ الآية. أنَّ من زعم أنَّه آمن بما أنزل على النبي ﷺ من كتاب، وسنة، فإنَّه لا يجوز له أن يحاكم إلى غير الله ﷻ وغير رسوله ﷺ وهذا الاستفهام تعجب، ومعناه؛ اعجب يا محمد إلى هؤلاء الذين يزعمون أنَّهم آمنوا بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك، ثم هم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت أليس قد أمروا أن يكفروا به؟ والجوب: بلى قد أمروا أن يكفروا به، ولكن الشيطان يريد أن يضلهم ضلالًا بعيدًا، وأنَّ التحاكم إلى غير الله ﷻ ضلالٌ بعيد، وجريمة عظمى وخطأٌ فادح، وخسارٌ فاحش؛ لا يشبهه خسار، وغبنٌ عظيم ليس مثله غبن أن يترك الإنسان الحق ويذهب إلى الباطل، إنَّ ما جاء به النبي ﷺ هو الحق؛ الذي تطمئن إليه القلوب، وترتاح إليه النفوس؛ حقٌّ ليس فيه باطل، فيجب على المسلم أن يعود إلى الحق، وأن يتحاكم إليه؛ لأنَّ ذلك محض ما أمر الله سبحانه به في آيات كثيرةٍ منها قوله ﷻ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣] وأنَّ إتباع الحق، والرضا به، موجب لدخول الجنة، والنجاة من النار، والعواقب الحميدة في الدنيا والآخرة، وإنَّك لتعجب لكثيرٍ من الدول الذين هم مسلمون يقولون لا إله إلَّا الله، محمدٌ رسول الله. ومع ذلك يستوردون القوانين التي ما أنزل الله بها من سلطان، ويتركون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا يقرأ القرآن في بيوتهم إلَّا في المآتم؛ أما السنة فلا يرضون بها، ولا يقبلونها وإنما يقبلون ما جاء من عند أعداء الله ﷻ؛ سواء كانوا ملحدين، أو نصارى أو يهودًا، وكأن الله ﷻ ما أنزل القرآن إلَّا ليقرأ في المآتم، وإنا لله وإنا إليه راجعون؛ إنَّها والله مصيبةٌ عظمى، وخسارةٌ فادحة؛ أن يتحاكم

المسلمون إلى غير ما أتاهم من عند ربهم؛ وجاء به نبيهم ﷺ الذي هو حق لا باطل فيه، وتوحيدٌ لا شرك فيه، وصدقٌ لا كذب فيه، وعدلٌ لا جور فيه؛ يضمن للناس مصالحهم، ويحقن دماءهم، ويحفظ حقوقهم؛ تضمن لهم به العزة والنصر، والملك، والسؤدد كما ضمنت لمن كان قبلهم، والله تعالى يقول أيضًا: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج: ٤١] والله ﷻ يقول أيضًا: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾ [النور: ٥٥].

وأنَّ الواجب على المسلمين أن يكون تحاكمهم إلى كتاب الله، وإلى سنة رسوله ﷺ وإلى الفقه الإسلامي؛ المأخوذ منهما؛ بواسطة العلماء المبرَّزين، ولا يجوز العدول عنه، بأي صورةٍ من الصور، فليتق الله ولاة أمور المسلمين، وليعودوا إلى الحق؛ الذي هو شرع الله ﷻ المأخوذ من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ وإنَّ العودة إليه؛ هي الصلاح، وتركه هو الفساد، وقد أخبر الله عن المنافقين بأنَّه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۝٦١﴾ أي: يعرضون ويتولون نافرين عن الحق؛ مشتهين للباطل؛ فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ أي: نالتهم عقوبة في النفس، أو المال، أو الأهل والأولاد ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بما سبق لهم من الإعراض عن كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ والحقيقة أنَّ النفور عن شرع الله، وكراهته، ومحبة غيره من الباطل؛ جريمة عظيمة، ومصيبةٌ كبرى؛ بل كفرٌ مخرجٌ من الملة، فلقد أباح الله ﷻ دماء الكفار، أباح إزهاق أرواحهم وسفك دمائهم وسبي نسائهم وأولادهم، وغنيمة أموالهم، كل هذا أبيح؛ بسبب كفرهم،

وعدم إيمانهم؛ أفما أبيح هذا كله من أجله، أيكون سهلًا؟! الجواب: لا. ليس بالأمر السهل؛ أي: أنَّ تركه ليس بسهل وإن استسهلوه بأهوائهم قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ هكذا يقول المنافقون؛ يزعمون أنَّهم أرادوا إحسانًا، وتوفيقًا. ودعاة أنصاف الحلول؛ حالهم قريب من حال أولئك المنافقين؛ تنازلوا أنتم يا أهل الإسلام عن بعض الحق الذي معكم، ويتنازل لكم أعداء الإسلام عن بعض ما يريدون؛ ليتم الوئام، وتجتمع الكلمة؛ هذا هو الإحسان الذي أرادوه، وهذا ليس بإحسان؛ وإنَّما هو إفساد في نفس الأمر وكذلك ما يزعم بعض الناس من دعوى التقارب أو التقريب الآن بين الرافضة وأهل السنة؛ الرافضة الذين يتهمون الأمينين جبريل ومحمدًا عليهما السلام بالخيانة ويسبون أبا بكر وعمر ﷺ، ويسمون بأسماء أبي بكر وعمر كلابهم وحميرهم، بل ويصغرونها؛ فيقول أحدهم لكلبه بكير، ولحماره عمير، والعياذ بالله، ويسبون سائر الصحابة ما عدا عدد قليل مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكل الصحابة أخرجوهم من الإسلام إلَّا ما ندر، واتهموهم بما يستحي من ذكره السوقة، ومع ذلك يزعمون أنَّ التقارب معهم صلاحٌ وإصلاح، وهكذا إذا أنكر أهل السنة على أصحاب الدعوات المبتدعة من إخوانية، وسرورية وقطبية، وغيرهم إذا أنكر عليهم أهل السنة البدع التي يدعون إليها، وأنكروا عليهم تساهلهم في الشرك، وعدم إنكاره، وزهدهم في التوحيد، وعدم العناية به قالوا هذا تفريق وإفساد في الأرض، ولقد قال إخوانهم المنافقون؛ الذين كانوا في زمن النبي ﷺ كعبد الله بن أُبي بن سلول وأمثاله من المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ وهذا قول باطل، وزعم كاذب فمتى كان هؤلاء دعاة إصلاح وإنما هم دعاة فساد، فمن يزعم بأنَّ الاتفاق مع هؤلاء أصلاحٌ وجمع للكلمة فهو كاذبٌ مبطل يريد الترويج

للباطل ونبذ الحق، يريدون من أهل السنة أن يقبلوا البدع، وأن يتركوا الدعوة إلى التوحيد وهذا هو عين الفساد والضلال، وإنا لله وإنا إليه راجعون؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ إنَّ بلادنا[١٩٣] والحمد لله تنعم باجتماع الكلمة، ووحدة الصف، فلما دخل إليها هؤلاء المخربون؛ خربوا علينا أولادنا وفرقوا صفنا وأفسدوا جمعنا وخالفوا بين كلمتنا فالفساد إنَّما جاء منهم، وبهم دخل إلينا وبسببهم تفرقت كلمتنا يستعملون السرية ويهدفون إلى السياسة، ويتظاهرون بالصلاح، والإصلاح، وحفظ القرآن، والدعوة إلى التعبد، والعناية بالفضائل، وترك العقائد، وهذا هو الفساد بعينه ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ فيا أهل السنة ألزموا السنة، واحذروا من هؤلاء أن يخربوا أكثر مما قد خربوا، ويفسدوا أعظم مما قد أفسدوا، والله لئن تساهلتم بهذا الأمر ليوشكنَّ أن تنالكم العقوبة. ثم أورد حديث عبد الله بن عمر أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»**.

وأقول: إن معنى قوله: **«لا يؤمن أحدكم»** أي: لا يبلغ أحدكم كمال الإيمان حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به رسول الله ﷺ، لقد جاء رسول الله ﷺ بالحق صافيًا، ناصعًا. انظر إلى أحكامه هل تجد فيها شيئًا تنكره العقول السليمة؟!! لا والله؛ بل كل ما فيه تؤيده العقول السليمة؛ فإنَّه عين الحق، ومحض الحكمة؛ مع إنه حق قائم بنفسه لا يحتاج إلى شاهد؛ لأنَّه شرع الله المنزَّل، ودينه المكمَّل، والله تعالى يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فأي حكم تجده فيه فاعلم أنَّه عين الحكمة، ولب العدل، وغاية الصلاح والإصلاح؛ يعلم ذلك من يتأمل أحكام الله، التي حملها إلينا رسول الله ﷺ من كتاب وسنة، ولقد قال

---

(١٩٣) أي المملكة العربية السعودية.

صلوات الله وسلامه عليه: «**تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلَّا هالك**»[(١٩٤)] .

ثمَّ ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الأثر عن الشعبي «كان بين رجلٍ من المنافقين ورجلٍ من اليهود خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد؛ عرف أنَّه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أنَّهم يأخذون الرشوة، فاتفقا أن يأتيا كاهنًا في جهينة، فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية، والمقصود به المنافق، وقيل نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهم: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف» إلى آخر القصة، وهذه القصة، والتي قبلها، يؤخذ منهما:

أنَّ من ردَّ حكمًا من أحكام رسول الله ﷺ كارهًا له، محبًّا لغيره؛ فإنَّه كفر، ولو كان في مسألة واحدة؛ وهذا ما حمل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يقتل ذلك المنافق؛ لأنه كره حكم رسول الله ﷺ ولم يرض به، وأحب حكم كعب بن الأشرف.

ومن هنا أيضًا نأخذ: أنَّ من استبدل شرع الله بالقوانين؛ معتقدًا أنَّ القوانين أحسن في نظره فإنَّه قد كفر، وخرج من الإسلام؛ بسبب ذلك، لكن إن حكم بحكم غيره لسبب من الأسباب مع علمه بأنَّ حكم الله هو الحق؛ فإنَّه حينما يقدم غيره، والحال هذه يعتبر عاصيًا، وفاسقًا؛ ولأنَّه حينئذ يكون قد أتى حرامًا، ولم يخرج من الإسلام، وهذا هو القول الفصل في المسألة فيما أظن وأعتقد.

---

(١٩٤) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجه في المقدمة، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، وأخرجه الإمام أحمد في «مسند الشاميين» [بترقيم: إحياء التراث]: (١٦٦٩) من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد صحح الحديث الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم: (٩٣٧).

(٣٩) بابُ من جحد شيئًا من الأسماء والصفات

وقولِ الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ الآية [الرعد: ٣٠].

وفي «صحيح البخاري»: قال علي: حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتُريدون أنْ يُكذَّب الله ورسوله؟(١٩٥)

وروى عبد الرزاق عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس: أنه رأى رجلًا انتفض لما سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات، استنكارًا لذلك! فقال: ما فَرَقُ هؤلاء!؟ يجدون رِقَّةً عند مُحكَمه، ويَهلكُون عند مُتشابهه!(١٩٦) انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر: (الرحمٰن) أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾(١٩٧) [الرعد: ٣٠].

❁ فيه مسائل:

الأولى: عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات.

---

(١٩٥) الأثر أخرجه الإمام البخاري في كتاب: العلم، باب: من رخَّص بالعلم قومًا دون قوم.

(١٩٦) الأثر رواه أيضًا البخاري في كتاب: التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل. ورواه مسلم في صلاة المسافرين، باب: الترغيب في الدعاء. من حديث أبي هريرة، وهو عند مسلم أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ في الموضع السابق.

(١٩٧) الأثر أخرجه ابن حرير الطبري في «تفسيره» عن مجاهد مرسلًا (١٣/١٠١) برقم: (٢٠٣٩٨).

الثانية: تفسير آية الرعد.

الثالثة: ترك التحديث بما لا يفهم السامع.

الرابعة: ذكر العلّة: أنه يُفضي إلى تكذيب الله ورسوله، ولو لم يتعمد المُنكِر.

الخامسة: كلام ابن عباس لمن استنكر شيئًا من ذلك، وأنه هلك.

الشرح

قوله: **باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات** أي ما حكمه؟ هل يكفر بذلك أو يكون أتى شيئًا حرامًا؛ لا يبلغ إلى حد الكفر؟ هذا محل نظر، والذي يظهر لي أنَّ من أنكر شيئًا من أسماء الله وصفاته الثابتة بالقرآن والسنة؛ التي لا يشركه فيها أحد؛ وهي معروفة أنَّها من أسماء الله وصفاته. أنَّ من أنكر شيئًا من ذلك؛ فإنَّه يعتبر كافرًا، أمَّا إن جحد شيئًا من صفات الله ﷻ لقيام شبهة عنده، وكان يريد بهذا الجحد تنزيه الله في زعمه، أو تأويل الصفات كما فعلت الأشاعرة، فهذا لا يكفر فيما يظهر، وبهذا التفصيل يتضح الحق إن شاء الله.

وفي صحيح البخاري قال علي رضي الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله». يؤخذ من هذا الأثر أنَّه ينبغي لطالب العلم أن يحدث الناس بما يعرفون؛ فإنَّه لعله إذا حدثهم بما لا يعرفون أدى بهم ذلك إلى التكذيب فيكون المحدث قد تسبب في تكذيب الله، ورسوله، والذي يظهر والله أعلم أنَّ الأمور التي تخفى على العامة ينبغي طيها عنهم، فإن احتاج إلى التحديث وجب عليه أن يبين، ويوضح؛ حتى يعرف العامي الطريقة الحقة، والحقيقة أنَّ الجهل بهذا أي الجهل ببعض الأمور ينبغي تعليم العامة لها؛ حتى لا يستنكرونها، فلعل الإنكار إنما يكون لشيءٍ لم

يسمعه من ذي قبل، ولقد أنكر الله ﷻ على أهل الكتاب بأنهم يظهرون بعضه ويخفون البعض، وقد نهينا عن مشابهتهم، وإنما يأتي الاستنكار حينما يكون هذا العامي مقيمًا بين أناسٍ يحذِّرون من سماع بعض الأحاديث التي فيها صفة الرحمن لله ﷻ؛ فيأتيه الخوف والفرق مما سمع من هؤلاء، فمن أقام بين الجهمية أو المعتزلة؛ الذين ينكرون صفات الله وأسماءه ويسمع منهم الإنكار لأسماء الله وصفاته؛ لا شك أنَّه يرتعد إذا سمع هذه الصفات، ويخاف ويقشعر جلده؛ لأنَّه لم يتوطن على معرفتها، وعلى سماعها، ومثل هذا ينبغي أن يبين له، فمثلًا يقال نحن إذا أثبتنا لله اليد؛ فإنما نثبت له يدًا تليق بجلاله، منزهة عن الجارحة؛ التي هي يد المخلوق، وهكذا يقال في الأص[illegible] [illegible]يقال في الوجه، ويقال في الرجل، ويقال في القدم ويقال في الساق، فإذا وضح لهذا العامي؛ فإنَّه حينئذٍ سيعتقد الفرق بين صفة الخالق، وصفة المخلوق ويزول عنه الخوف، وتذهب عنه القشعريرة، وهذا هو الواجب على أهل السنة إذا رأوا من أحدٍ استنكارًا لصفة من صفات الله أو اسمٍ من أسمائه بينوا له، فإن أصر بعد البيان فهو مفتون ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما حين رأى رجلًا انتفض لما سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات استنكارًا «ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقةً عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه» الفرق هو الخوف أي ما هو السبب في خوفهم؛ يجدون رقةً عند محكمه[198] ويهلكون عند متشابهه، فقد عدَّ ابن عباس انتفاض ذلك الرجل من سماعه لصفة الرب الجليل عد ذلك هلكة، ولكن ينبغي أن يعلم أن الاتفاق في الأسماء بين صفة الله وصفة خلقه لا يلزم منه الاتفاق في الحقائق؛ فإذا قلنا إنَّ الله حي، واعتقدنا ذلك وصفناه بالحياة،

(١٩٨) قال شيخنا أحمد بن يحيى حفظه الله: المحكم هو الذي له تأويلٌ (معنى) واحد، والمتشابه هو الذي لا يُعرف تأويله، وفيه متشابه قد يكون له تأويلاتٌ فمثلًا الحروف المقطعة هذه من المتشابه. اهـ.

ووصفنا المخلوق بأنَّه حي فإننا في هذه الحالة يجب أن نعرف الفارق بين حياة الله وحياة خلقه، فحياة الله قديمة بلا ابتداء، وباقية بلا انتهاء وهي كاملة كما وصف نفسه بقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: ٢٢٥] أما حياة المخلوق فهي وجدت بعد العدم، وسيكون لها نهاية؛ وهي فيما بين ذلك لا تبقى إلَّا بإبقاء الله لها وهي باقية على أمور لا تبقى إلَّا بها كالطعام، والشراب، والنوم في حق الإنسان، فالله وصف نفسه بأنَّه حيٌّ قيوم لا تأخذه سنةٌ ولا نوم، فالفرق بين حياة الله وحياة المخلوق فرقٌ واضح بيِّن وهكذا في جميع الصفات.

والمهم: أنَّ اتفاق الأسماء أي أسماء الله وأسماء الناس؛ إذا اتفقت الأسماء والصفات فإن الحقائق مختلفة. هكذا يقال في السمع، وفي البصر، وفي جميع صفات الله ﷻ، فإذا بُيِّن للإنسان لعله يعلم الفرق بين صفة الخالق وصفة المخلوق، واسم الخالق واسم المخلوق، وقد يسمى المخلوق بأنه ملك، ويسمى الخالق ملكًا؛ لكن ملك الله شامل، وملك المخلوق محدود، وهو في نفس الوقت عارية، والملك الحقيقي لله ﷻ ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣] وهكذا يظهر الفرق جيدًا.

ثمَّ أورد المؤلف استنكار قريش لاسم الرحمن، وأنَّ الله أنكر عليهم ذلك قال تعالى: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ الرحمن اسمٌ من أسماء الله ﷻ، والكفر به إنكاره، ولمَّا ذكر النبي ﷺ اسم الرحمن أنكرت قريش ذلك، فأنزل الله هذه الآية، والرحمن مشتقٌ من الرحمة وهو أشمل من حيث متناوله، والرحيم كذلك؛ وهو أخصُّ من حيث متناوله قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ أمَّا اسم الرحمن فهو شاملٌ، ويقال: رحمن الدنيا والآخرة، فالرحمة التي جعلها الله في عبادة كما جاء في الحديث الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«جعل الله الرحمة في مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها؛ خشية أن تصيبه»(١٩٩) رواه البخاري، ولمسلم من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه: **«إن لله مائة رحمة، فمنها رحمة بها يتراحم الخلق بينهم، وتسعة وتسعون ليوم القيامة»**. اللهم ارحمنا فيمن ترحم، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.



(١٩٩) الحديث أخرجه الإمام البخاري في باب: جعل الله الرحمة في مائة جزء (٥/٢٢٣٦) برقم: (٥٦٥٤)، ومسلم في باب: سعة رحمة الله تعالى وأنَّها سبقت غضبه (٤/٢١٠٨) برقم: (٥٣٢٧).

(٤٠) بابُ قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ الآية [النحل: ٨٣]

قال الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل: ٨٣] مُجاهد ـ ما معناه ـ: هو قول الرجل: هذا مالي، ورِثْتهُ عن آبائي.

وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا.

وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا[٢٠٠].

وقال أبو العباس ـ بعد حديث زيد بن خالد، الذي فيه: أنَّ الله تعالى قال: «**أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر...**»[٢٠١] الحديث، وقد تقدَّم. وهذا كثيرٌ في الكتاب والسنة؛ يذم سبحانه من يُضيفُ إنعامَه إلى غيره، ويُشرك به.

قال بعضُ السلف: هو كقولهم: كانت الريحُ طيِّبةً، والمَلَّاحُ حاذقًا، ونحوِ ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير.

❁ فيه مسائل:

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

الثانية: معرفة أن هذا جار على ألسنة كثير.

---

(٢٠٠) انظر ابن جرير الطبري في «التفسير» (١٤/ ١٥٧).
(٢٠١) انظر الحديث وتخريجه في (ص١٩٦) باب: ما جاء في الاستسقاءِ بالأنْوَاء.

الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكارًا للنعمة.

الرابعة: اجتماع الضدَّين في القلب.

الشرح

وأقول: إنَّ هذا الباب مقصودٌ لبيان حكم إسناد النعم إلى غير الله ﷻ؛ وهذا نوعٌ من الشرك إلَّا أنَّ الغالب أنَّ الذين يفعلون هذا أو يقولونه لا يقصدون به تحقيق نسبة النعم إلى غير الله ﷻ، وإنَّما يجري على ألسنتهم من غير قصد لذلك؛ فإن قصد أنَّ تلك النعمة أو النعم مضافةٌ إلى من أضافها إليه؛ وأنَّ ذلك الغير هو المتفضل بها دون الله ﷻ فهذا شركٌ أكبر؛ لكن إذا أضافها إليه بلسانه؛ وهو معتقدٌ بقلبه أنَّ الله هو المنعم على العباد؛ فهذا شركٌ أصغر لا يخرج من الإسلام إلا أنَّه يخدش التوحيد ويقدح فيه؛ كما في حديث زيد بن خالد: «**أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر، فأمَّا من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمنٌ بي وكافر بالكوكب، وأمَّا من قال: مطرنا بنو كذا وكذا، فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب**» والميزان كما قلت هو ما في القلب؛ فمن علم أنَّ النعم كلها من الله صغيرها وكبيرها، فذلك هو المؤمن الموحد؛ فإن جرى على لسانه ما يخالف ذلك كان ذلك من قبيل الشرك الأصغر إلَّا أنَّه يخدش كمال التوحيد وهكذا قول من قال لولا الكلب لأتانا اللصوص، لولا فلان لحصل كذا، والمخرج من ذلك أن يبدأ في إسناد النعم بالله ثمَّ يعطف سبب المخلوق عليها بثم، لولا الله ثم كذا لحصل كذا، فإذا فعل ذلك؛ فإنَّه يعتبر قد أضاف النعمة إلى واهبها؛ وهو الله، وخرج من الشرك صغيره وكبيره.

(٤١) بابُ قولِ الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]

قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] قال ابن عباس في الآية: الأندادُ: هو الشِّركُ، أخفى من دَبيب النمل على صفاةٍ سوداء في ظُلمة الليل، وهو أنْ تقول: والله وحياتِك يَا فُلان، وحياتي(٢٠٢)، وتقول: لولا كُليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البَطُّ في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيه: (فلان)!، هذا كلُّه به شركٌ. رواه ابن أبي حاتم(٢٠٣).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك»**(٢٠٤). رواه الترمذيُّ وحسنه، وصححه الحاكم.

---

(٢٠٢) وفي نسخة «فتح المجيد» التي حققها الدكتور الوليد آل فريان: والله وحياتك يا فلانة وحياتي.

(٢٠٣) قال الدكتور الوليد آل فريان: أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» برقم: (٢٣٠) وسنده حسن، كما في «هامش ابن كثير» (١/ ١١٠)، وقال محققا «القول المفيد»: وقال الشيخ سليمان في «تيسير العزيز» (ص٥٨٧): وسنده جيد. اهـ.

(٢٠٤) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في «سننه» (٣/ ٢٢٣) برقم: (٣٢٥١)، والترمذي (٤/ ١١٠) برقم: (١٥٣٥) وقال: حديث حسن، والبيهقي (١٠/ ٢٩) برقم: (١٩٦١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٣٠) برقم: (٧٨١٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وبنحوه في «مسند الإمام أحمد» (٢/ ٦٩) وما بعدها برقم: (٥٣٧٥، ٥٥٩٣، ٦٠٧٣)، وصحح رواية أحمد الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٢/ ١٠٦٧) برقم: (٦٢٠٤).

وقال ابنُ مسعود: لأن أحلفَ بالله كاذبًا أحبُّ إليَّ من أنْ أحلف بغيره صادقًا[٢٠٥].

وعن حُذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»**[٢٠٦]. رواه أبو داود بسند صحيح.

وجاء عن إبراهيم النخعي: أنَّه يكره: أعوذ بالله وبك، ويُجوِّز أنْ يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فُلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان[٢٠٧].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة في الأنداد.

الثانية: أن الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر: أنها تعم الأصغر.

الثالثة: أنَّ الحَلِفَ بغير الله شرك.

---

(٢٠٥) الأثر أخرجه الإمام الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٨٣) برقم: (٨٩٠٢)، والإمام عبد الرزاق في «مصنفه» (٨/ ٤٦٩) برقم: (١٥٩٢٩)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ٧٩) برقم: (١٢٢٨١).

(٢٠٦) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٤/ ٢٩٥) برقم: (٤٩٨٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٢٤٤) برقم: (١٠٨٢٠)، وأحمد (٥/ ٣٨٧٥) برقم: (٢٣٣١٣)، والطيالسي (١/ ٥٧) برقم: (٤٣٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٥/ ٣٤٠) برقم: (٢٦٦٩٠) و(٦/ ٧٤) برقم: (٢٩٥٧٢)، وقد صحح الألباني الحديث في «صحيح الجامع» (٢/ ١٢٣٤) برقم: (٧٤٠٦) وأشار إلى تخريجه في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم: (١٣٧).

(٢٠٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «الصمت» برقم: (٣٤٧).

الرابعة: أنه إذا حَلَف بغير الله صادقًا، فهو أكبر من اليمين الغَموس.

الخامسة: الفرق بين «الواو» و«ثم» في اللفظ.

الشرح

الند: هو النظير والمساوي، والمقصود: لا تتخذوا أندادًا لله ﷻ؛ فتشركوا معه فإنَّ ذلك لا يجوز، وجعل المخلوق ندًّا للخالق يعم الشرك الأكبر والأصغر؛ منه ما هو مخرجٌ من الملة، ومنه ما لا يخرج منها. ولهذا قال ابن عباس: «الأنداد: هو الشرك» فسرها بالشرك كبيره وصغيره حتى إنَّ حلف الصحابة بالآباء قبل أن يمنع كان نوعًا من الشرك؛ مع أنَّه غير مخرج من الملة، ولهذا قال ابن عباس: «الشرك: أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص» تقدم في شرك إسناد النعم؛ وهو غير مخرج من الملة: «وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان؛ لا تجعل فيها فلانًا؛ هذا كله به شرك» هذا يكون من الشرك الأصغر، والخروج منه أن يقول: لولا الله، ثم فلان.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»** الحلف بغير الله شرك أصغر، وسمي كفرًا وشركًا؛ لأنَّه جحدٌ لخصوصية الله بالتعظيم، فالله أعظم من كل عظيم وأولى من كل أحد من المخلوقين أن يحلف به؛ لأنَّ الحلف تعظيم للمحلوف به لكنَّه لا يخرج من الملة إلَّا إذا عرف من حال صاحبه أنَّه يعظم المخلوقين أكثر من تعظيم

الله، وقد بلغنا أنَّ أناسًا ممن يتهمون في سرقة أو غيرها يطلب منهم الحلف بالله للبراءة فيحلفون، ويطلب منهم الحلف بغير الله للبراءة فلا يحلفون، وهذا يدل بأنهم يعظمون المخلوق أعظم من الخالق ويخافون منه أعظم من خوف الخالق، وهذا يعتبر شركًا، وكفرًا مخرجًا من الملة.

أمَّا مطلق الحلف فلا يحكم على صاحبه بالكفر، ولا بالشرك الأكبر، وقد كان الحلف بغير الله مباحًا في أول الإسلام على عهد رسول الله ﷺ ثمَّ منع بعد ذلك. وقد جاء في الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال: **«ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»**[٢٠٨] فهذا يدل على أنَّ مطلق الحلف لا يكون من الشرك الأكبر.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا» وهذا فيه تنفير من الحلف بغير الله ﷻ؛ ذلك لأنَّ أكبر الكبائر أهون من الشرك الأصغر، وقد جاء في الحديث أن أعرابيًّا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما الكبائر؟ قال: **«الإشراك بالله»**. قال: ثمَّ ماذا؟ قال: **«عقوق الوالدين»**. قال: ثمَّ ماذا؟ قال: **«اليمين الغموس»**. قال: وما اليمين الغموس؟ قال: **«الذي يقتطع مال أمرئ مسلم هو فيها كاذب»**. فدل قول ابن مسعود هذا على أنَّ الحلف بالله كاذبًا؛ الذي يعد من جنس اليمين الغموس أقل من الحلف بغير الله ﷻ؛ وذلك أنَّ صغير الشرك أكبر من كبير الكبائر، وفي حديث حذيفة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثمَّ شاء فلان»**. رواه أبو داود بسند

(٢٠٨) الحديث أخرجه البخاري في مواضع من «صحيحه» منها ما جاء في باب: لا تحلفوا بآبائكم (٦/ ٣٤٤٩) برقم: (٦٢٧٠)، ومسلم في باب: النهي عن الحلف بغير الله (٣/ ١٢٦٧) برقم: (١٦٤٦).

صحيح. هذا تعليم من الصحابي الجليل للأمة حتى لا يقعوا في الشرك الأصغر؛ فإن من قال: ما شاء الله ثمَّ شاء فلان احتاط لنفسه بالبعد عن مواطن الشرك.

وجاء عن إبراهيم النخعي: «أنَّه يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثمَّ بك؛ قال: ويقول: لولا الله ثمَّ فلان، ولا يقول: لولا الله وفلان» أوصيك يا عبد الله أن تحذر من الشرك صغيره وكبيره، وأن تبتعد عنه بالتحرز من الألفاظ الموهمة.



(٤٢) بابُ ما جاء فيمن لم يقْنع بالحَلفِ بالله

عن ابن عمر ؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تحلفوا بآبائكم، من حَلَف بالله فليصْدُق، ومن حُلف له بالله فليرضَ، ومن لم يرضَ فليس من الله**»[٢٠٩]. رواه ابنُ ماجه بسند حسن.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الحلف بالآباء.

الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى.

الثالثة: وعيد من لم يرضَ.

---

(٢٠٩) الحديث أخرجه ابن ماجه في الكفارات باب: من حلف له بالله فليرض. وقال في «الزوائد» رجاله ثقات، وحسنه الحافظ في «الفتح» (١١/٥٣٦)، وحسنه أيضًا الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، وصححه الشيخ سليمان رَحِمَهُ اللهُ في «التيسير» (ص٩٥٦) على شرط مسلم. انظر تخريج محققي كتاب «القول المفيد»، وقال الدكتور الوليد آل فريان: وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/١٤٣): هذا إسنادٌ رجاله ثقات.

الشرح

قوله: باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله أي أنَّه لم يعظم الله حق تعظيمه من لم يرض بالحلف بالله. ومن هنا جاءت مناسبته للتوحيد؛ فتوحيد الله ﷻ هو الإقرار له بالعظمة، والكبرياء، وأنَّه هو الخالق لهذا الكون، المتصرف فيه، وأنَّ اسمه ﷻ يجب أن يعظَّم إجلالًا له جلَّ وعلا، ولا يجوز أن يبتذل، ويستخفَّ بحقه؛ لهذا أمر رسول الله ﷺ أن يحلف الناس بربهم، وأنَّ من حلف بالله فإنَّ الواجب عليه أن يصدق في حلفه، وفي يمينه وأنَّ الواجب على من حلف له بالله أن يرضى، وإن غلب على ظنه بأنَّ الحالف كاذبٌ. اعتقد بأنَّ الله ﷻ سيجزيه بما يجزي به الكاذبين؛ المتجرئين على الله ﷻ؛ ولهذا جاء: **ومن حلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله**. وهذا وعيدٌ يدل على أنَّ من لم يرض باليمين بالله ﷻ، ويقنع به، ويعلم بأنَّ في الله خلفًا من كل شيء؛ فهذا دليلٌ على ضعف إيمانه.



(٤٣) بابُ قولِ: ما شاء الله وشئتَ

عن قُتَيلة: أنَّ يهوديًّا أتى النبيَّ ﷺ، فقال: إنكم تُشركون؛ تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبيُّ ﷺ إذا أرادوا أنْ يحلفوا أن يقولوا: وربِّ الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت. رواه النسائي وصححه[٢١٠].

وله أيضًا عن ابن عباس: أنَّ رجلًا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئتَ، قال: «**أجعلتني لله ندًّا؟! بل ما شاء الله وحده**»[٢١١].

ولابن ماجه عن الطُّفيل - أخي عائشة لأُمّها - قال: رأيتُ كأني أتيتُ على نفر من اليهود، قلتُ: إنكم لأنتم[٢١٢] القوم، لولا أنكم تقولون: عُزيرٌ ابن الله! قالوا: وأنتم لأنتم[٢١٢] القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد!

ثم مررتُ بنفر من النصارى، فقلتُ: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيحُ ابن الله! قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما

---

(٢١٠) الحديث أخرجه الإمام النسائي في «المجتبى» (٧/ ٦) برقم: (٣٧٧٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٣١) في كتاب: الأيمان والنذور برقم(٧٨١٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ١٢٤) برقم: (٤٧١٤) و(٦/ ٢٤٥) برقم: (١٠٨٢٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥/ ١٤) برقم: (٧).

(٢١١) أخرج هذه الرواية الإمام البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٢٤٥) برقم: (١٠٨٢٥) و(٣/ ٢١٧) برقم: (٥٦٠٣)، والإمام أحمد (١/ ٢١٤) في «مسند عبد الله بن عباس» برقم: (١٨٣٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ١٠٤) برقم: (٤٢١٨).

(٢١٢) وفي نسخة [دار الصميعي] التي قام بتحقيقها الدكتور الوليد آل فريان: وأنتم لأنتم القوم.

شاء الله وشاء محمد! فلما أصبحتُ، أخبرتُ بها من أخبرت، ثم أتيتُ النبيَّ ﷺ فأخبرته، قال: «**هل أخبرتَ بها أحدًا؟**». قلتُ: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أمَّا بعدُ، فإنَّ طُفيلًا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمةً كان يمنعني كذا وكذا أنْ أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده**»(٢١٣).

فيه مسائل:

الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوى.

الثالثة: قوله ﷺ: «**أجعلتني لله ندًّا**»، فكيف بمن قال: يا أكرم الخلق! ما لي من ألوذ به سواك... والبيتين بعده؟!

الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر؛ لقوله: «**يمنعني كذا وكذا**».

الخامسة: أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي.

السادسة: أنها قد تكون سببًا لشرع بعض الأحكام.

---

(٢١٣) الحديث أخرجه ابن ماجه في الكفارات، باب: أن يقال: ما شاء الله وشئت، وابن حبان في «صحيحه» (٣/ ٢٨) برقم: (٥٧٢٥)، وفي «المعجم الكبير» للطبراني (٨/ ٣٢٤) برقم: (٨٢١٤، ٨٢١٥)، وفي «مصنف عبد الرزاق» (١١/ ٢٨) برقم: (١٩٨١٣)، والدارمي (٢/ ٣٨٢) برقم: (٢٦٩٩)، وأحمد (٥/ ٧٢) برقم: (٢٠٧١٣).

الشرح

هذا الباب فيه نهيٌ عن التشريك في المشيئة ولذا عطف بقوله: «وشئت» أي بالواو، وحينئذ كان شريكًا لله في المشيئة؛ وهذا لا يجوز.

وقد أورد فيه حديث قتيلة: أنَّ يهوديًّا أتى النبي ﷺ فقال: إنَّكم تشركون؛ تقولون: ما شاء الله وشئت . . . الحديث.

يؤخذ من هذا:

أولًا: أنَّ الحلف لا يجوز إلَّا بالله ﷻ؛ فلا يجوز الحلف بالكعبة ولا بالنبي، ولا جبريل، ولا بأحدٍ من المخلوقين كائنًا من كان؛ إذ إنَّ الحلف تعظيم، وتعظيم غير الله شرك؛ إذا حلفت بهذا المعظم فإنَّك حينئذ تكون قد عظمته تعظيمًا كتعظيم الله ﷻ. فإن احتج أحدٌ بأنَّ الله أقسم بأشياء كثيرة؛ فينبغي أن يعلم هذا الذي يحتج هذا الاحتجاج أنَّ الله ﷻ له أن يقسم بما شاء من خلقه، وإذا أقسم بما شاء من خلقه فإن قسمه به تشريفًا له؛ أمَّا نحن المخلوقين فلا يجوز أن نقسم بأحد غير الله ﷻ، وقد جاء في الحديث عن ابن عمر «أنه أدرك عمر بن الخطاب وهو يحلف بأبيه، فناداهم رسول الله ﷺ: **«ألا إنَّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله وإلَّا فليصمت»**[(٢١٤)] . وهذا ثابتٌ في صحيح البخاري، فمن كان حالفًا بالنبي أو بالكعبة؛ فليقل: وربَّ محمد أو وربَّ الكعبة وما أشبه ذلك.

ثانيًا: النهي عن التشريك في المشيئة؛ فلا يجوز للمكلف أن يقول

---

(٢١٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: الأدب، باب: من لم ير إكفار من قال ذلك متأولًا أو جاهلًا. وأخرجه أيضا في كتاب: الأيمان، باب: لا تحلفوا بآبائكم، وأخرجه الإمام مسلم في أول كتاب: الأيمان.

لمكلف مثله ما شاء الله وشئت أو لولا الله وأنت؛ بل يجب أن يقول: ما شاء الله ثمَّ شئت، ولولا الله ثم أنت.

كذلك حديث ابن عباس: أنَّ رجلًا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: «**أجعلتني لله ندًّا؟ بل ما شاء الله وحده**». فالمشيئة هي في الحقيقة مشيئة الله؛ فلا يمكن لأحد أن يشاء غير ما شاء الله؛ إذ إنَّ القدر قد كتب، فالنافذة مشيئة الله، ومشيئة العباد تأتي تبعًا لمشيئة الله ﷻ ولهذا جاء ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلو أردت شيئًا والله لم يشأ أن يقع لم تقدر على إنفاذ تلك المشيئة إلَّا إذا أراد الله ﷻ ذلك، والله ﷻ يقول: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٧، ٢٩].

ثمَّ أورد رؤيا الطفيل - آخى عائشة لأمها - قال: «رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود. قلت: إنَّكم لأنتم القوم لولا أنَّكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وإنَّكم لأنتم القوم لولا أنَّكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد» أي فتشركون في المشيئة، وبهذا يتبين أنَّ التشريك في المشيئة لا يجوز، وأنَّ الخلاص من ذلك أن يقول العبد ما شاء الله وحده؛ أو يقول ما شاء الله ثمَّ شاء فلان.

ملحوظة:

ينبغي أن يعلم أن التشريك في المشيئة يعد من الشرك الأصغر الذي لا يخرج من الملة.



(٤٤) بابُ من سَبَّ الدهرَ فقد آذى الله

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ الآية [الجاثية: ٢٤].

وفي «الصحيح» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**قال الله تعالى: يُؤذيني ابنُ آدم؛ يَسبُّ الدهر، وأنا الدهر، أُقلِّبُ الليل والنهار**». وفي رواية: «**لا تسُبُّوا الدهرَ، فإنَّ الله هو الدهر**»(٢١٥).

۞ فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الدهر.

الثانية: تسميته أذًى لله.

الثالثة: التأمل في قوله: «**فإن الله هو الدهر**».

الرابعة: أنه قد يكون سابًّا، ولو لم يقصده بقلبه.

---

(٢١٥) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾.
وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: الألفاظ من الآداب وغيرها، باب: النهي عن سب الدهر.

الشرح

الله ﷻ هو الذي يقلب الدهر؛ أي يقلب الزمان كيف يشاء، فلا بد في الزمان من تقلبات يأتي فيه حر وبرد في الصيف والشتاء، ويأتي في الزمان عسر ويسر، وشدة ورخاء، وحياةٌ وموت، وصحةٌ ومرض؛ أحيانًا يسلط الله الآفات، ويبتلي بالبلايا، وأحيانًا يمنح الله عباده العافية، ويعطيهم النعم المتوالية، أحيانًا يبتلي بالحروب، واستحكام الخوف وقلة الأمن، ونحن نسمع بين حين وآخر؛ إمَّا زلازل مدمرة، وإمَّا فيضانات تأخذ الأخضر واليابس، وتجتاح القرى، وتذهب بالغلال، وأحيانًا تأتي أعاصير تحرق ما وقعت عليه، والناس يرون هذه التقلبات ويعيشونها، وبالأخص في زمننا هذا، والكثير منهم لا يفكرون، ولا يتأملون والله ﷻ إنمَّا يسلط هذه الكوارث؛ ليذكر عباده بأنَّه هو المتصرف في الدهر، فينبغي لهم أن يحرصوا على رضاه، وأن يبتعدوا عن كل ما يسخطه؛ فإنَّهم إذا فعلوا ذلك أرضوا ربهم وضمنوا لأنفسهم الفلاح والفوز، فلا يجوز للإنسان أن يسب الدهر إذا رأى ما يكره أو يسند إلى الزمان الشيء الذي قدره ﷻ ومنحه عباده. لا يجوز هذا، ولا ذاك، فإنَّ الله هو الذي يقلب الدهر، ويصرفه؛ لأنَّه هو الذي أوجد الليل والنهار، والشمس والقمر؛ وهو الذي أوجد الدهر، فلا يجوز أن ينسب إلى الدهر شيء من النعم، ولا يجوز أن يسب الدهر تسخطًا لما وقع فيه، ومن الملاحظ أنَّ كثيرًا من الناس يسمُّون الكوارث - من زلازل مدمِّرة، وأعاصير مهلكة لما وقعت عليه، وفيضانات، وغير ذلك - كوارث طبيعيةً، وهذا يعتبر شركًا وقد يكون من الشرك الأكبر حينما ينسبون هذه الكوارث إلى الطبيعة، وينسون خالق هذا الكون، والمتصرف فيه، والله سبحانه يقول في ردِّه على المشركين: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي

ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ:٢٢] ويقول: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٤] فيجب على المسلم أن يعلم أن الله ﷻ هو المتصرف في هذا الكون بأسره ليس لأحدٍ معه ملكٌ ولا شراكة.



(٤٥) بابُ التسمّي بقاضي القضاة ونحوِه

في «الصحيح» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ أخنع اسمٍ عند الله رجلٌ تسمَّى: ملك الأملاك! لا مالك إلا الله**».

قال سُفيان: مثلُ شَاهَانْ شَاهْ(٢١٦).

وفي رواية: «**أغيظُ رجل على الله يوم القيامة وأخبثُه**»(٢١٧).

قوله: «**أخنع**» يعني: أوضع.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن التسمِّي بملك الأملاك.

الثانية: أنَّ ما في معناه مثله، كما قال سفيان.

الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأنَّ القلب لم يقصد معناه.

الرابعة: التفطن أن هذا لإجلال الله سبحانه.

---

(٢١٦) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: الأدب، باب: أبغض الأسماء إلى الله تعالى. وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: الآداب، باب: تحريم التسمي بملك الأملاك.

(٢١٧) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب: الآداب، باب: تحريم التسمي بملك الأملاك.

الشرح

أقول: في هذا الباب كراهة التسمي بقاضي القضاة، وملك الملوك أو ملك الأملاك؛ إذ إنَّ الله هو قاضي القضاة، أي يحكم بينهم، وكذلك ملك الملوك أو الأملاك، فالله هو الملك وقد أثبت الله ﷻ اسم الملك في القرآن بقوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩] فالتسمي بالملك جائزٌ؛ لكن المحذور والممنوع أن يتسمى بملك الملوك أو ملك الأملاك؛ وهذه الصفة لا تليق إلَّا بالله ﷻ، ولا يجوز لأحدٍ أن يتسمى بها ومثل ذلك قاضي القضاة؛ إذ إنَّ قاضي القضاة هو الله، ولكن يقال رئيس القضاة أو ما أشبه ذلك.

لربما قيل: ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد الذي يحذر من الشرك، ويأمر بالتوحيد؟ **فأقول**: التشريك في التسمية بأن يتسمَّى شخصٌ بأنَّه ملك الملوك، فهذا فيه مضاهاة لله ﷻ بهذه التسمية، فلذلك منعت، ويقاس عليه التسمي بقاضي القضاة؛ فلا يجوز لأحد أن يتسمَّى بهذا الاسم. لا بقاضي القضاة، ولا بملك الأملاك أو ملك الملوك لِما في هذين الاسمين من المضاهاة لله ﷻ.

أمَّا كلمة شاهان شاه، فهو بمعنى ملك الملوك، بلغة فارس.



(٤٦) بابُ احترامِ أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شُريح: أنه كان يُكنى أبا الحكم، فقال له النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله هو الحَكَم، وإليه الحُكم**». فقال: إنَّ قومي إذا اختلفوا في شيء أتَوْني فحكمتُ بينهم، فرضي كلا الفريقين، فقال: «**ما أحسن هذا! فما لك من الولد؟**». قلت: شريح ومسلم وعبد الله. قال: «**فمن أكبرهم؟**». قلت: شُريح. قال: «**فأنت أبو شُريح**»(٢١٨). رواه أبو داود، وغيره.

فيه مسائل:

الأولى: احترام صفات الله وأسماء الله، ولو لم يقصد معناه.

الثانية: تغيير الاسم لأجل ذلك.

الثالثة: اختيار أكبر الأبناء للكنية.

---

(٢١٨) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في «سننه» (٤/ ٢٨٩) باب: في تغيير الاسم. برقم: (٤٩٩٥)، والإمام النسائي في «المجتبى» (٨/ ٢٢٦) باب: إذا حكموا بينهم رجلًا فقضى بينهم. برقم: (٥٣٨٧)، والإمام النسائي أيضًا في «السنن الكبرى» (٣/ ٤٦٦) باب: إذا حكموا رجلًا ورضوا به. برقم: (٥٩٤٠)، والإمام البيهقي في «سننه» (١٠/ ١٤٥) باب: ما جاء في التحكيم. برقم: (٢٠٢٩٨).

الشرح

هذا الحديث فيه تغيير الاسم الذي يكون فيه مشابهة لاسم الله ﷻ، وهذا أبو شريح الخزاعي جاء إلى النبي ﷺ وهو يكنى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: «**إنَّ الله هو الحكم وإليه الحكم**» ولما سأله عن أسماء أبنائه، وأخبره بذلك كناه أبا شريح، وعلى هذا فإنَّ الواجب احترام أسماء الله تعالى، وعدم الاعتداء عليها بشيء من المشابهة، وهذا من الاحترام الواجب لأسماء الله تعالى؛ **قلت**: ومن أسماء الله تعالى: الحكم العدل، والله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٩] وتجوز المشابهة لأسماء الله في ما ورد به الأذن في النصوص كالملك، وما أشبه ذلك.



(٤٧) بابُ من هَزل بشيء فيه ذكرُ الله أو القرآن أو الرسول

وقولِ الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ الآية [التوبة: ٦٥].

عن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسْلَم، وقتادة ـ دخل حديثُ بعضهم في بعض ـ: أنه قال رجلٌ في غزوة تَبوك: ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء؛ أرغبَ بطونًا، ولا أكذَب ألسُنًا، ولا أجبن عند اللقاء! يعني رسول الله ﷺ وأصحابَه القُراء، فقال له عوفُ بن مالك: كذبت! ولكنك منافق، لأخبرنَّ رسول الله ﷺ.

فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ؛ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجلُ إلى رسول الله ﷺ، وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدثُ حديث الركب؛ نقطع به عنَّا الطريق(٢١٩).

قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلِّقًا بنِسْعَة ناقة رسول الله ﷺ، وإنَّ الحجارة تَنكبُ رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقولُ له رسولُ الله ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥]، ما يلتفتُ إليه، وما يزيده عليه(٢٢٠).

---

(٢١٩) وفي نسخة [دار التوحيد] التي قامت بطبع شرح كتاب «التوحيد» لمعالي الشيخ صالح ابن عبد العزيز آل الشيخ ورد فيها رواية: «نقطع به عناء الطريق» اهـ.

(٢٢٠) الحديث أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٧٣) عند تفسير سورة [التوبة: الآية: ٦٧] وقال الدكتور آل فريان: وأخرجه ابن مردويه، كما في «الدر المنثور» (٤/

❁ فيه مسائل:

الأولى ـ وهي العظيمة ـ: أن من هزل بهذا فهو كافر.

الثانية: أن هذا تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنًا من كان.

الثالثة: الفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ولرسوله.

الرابعة: الفرق بين العفو الذي يُحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله.

الخامسة: أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يُقبل.

الشرح

يؤخذ من هذا كفر من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول، فمن استهزأ بشيء من ذلك؛ فإنه يعتبر قد كفر كفرًا يخرجه من الملة.

يقصد بقول هذا الرجل(٢٢١)؛ يقصد بقوله هذا رسول الله، والعياذ بالله، ويقصد به أصحابه القراء. إنَّ رسول الله كان غاية في الشجاعة؛ كانوا يتقون به إذا احمرَّ الحدق، فلما انهزم بعض من كان معه يوم حنين؛ جعل النبي ﷺ يركض ببغلته إلى العدو ويقول: «**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب**»(٢٢٢).

= ٢٣٠) وإسناده حسن. اهـ.

(٢٢١) أي قول المنافق كما في الحديث: «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء».

(٢٢٢) الحديث متفق عليه من حديث البراء بن عازب ﷺ، فقد أخرجه الإمام البخاري ﷺ

ويوم أحد كان كذلك ثابت الجأش، قويًّا حتى ضرب المغفر على رأسه، وغاص في وجنته فشجَّ بذلك، وقال: «**كيف يفلح قومٌ شجوا وجه نبيهم**»(٢٢٣) أو «**خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله ﷻ**»(٢٢٤) ولقد كان القراء يثبتون غاية في الثبات؛ ثبتوا يوم قتال مسيلمة حتى إنَّ الواحد منهم ليحفر لرجليه كما يقال حتى لا يفر، وقتل منهم يوم حرب مسيلمة خمسمائة (٥٠٠) قتيلًا من القراء؛ حتى خاف الصحابة أنَّ القرآن يضيع بعضه. والمهم، أنَّ كذب هذا الرجل غاية الوضوح، وإنَّما حمله على ذلك النفاق، والله ﷻ يقول: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٦] فيجب على كل مسلم أن يحذر من الوقوع فيما وقع فيه هؤلاء من الاستهزاء بكتاب الله أو بسنة رسول الله ﷺ فإنَّ في ذلك الهلكة.

ملحوظة:

معنى أرغب «بطونًا» أي: يصف المنافق الرسول وأصحابه ﷺ بكثرة الأكل وهذا ذمٌّ لهم.

= في كتاب الجهاد والسير، باب: في بغلة النبي ﷺ البيضاء. وفي باب: من صفَّ أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته واستنصر، وفي باب: من قال خذها وأنا ابن فلان، وفي باب: قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: الآية ٢٥] وكذا أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب: الجهاد والسير، باب: في غزوة حنين.

(٢٢٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: المغازي، باب: ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد. والإمام مسلمٌ في كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة أحد. وقد تقدم بيان ما فيه من الفوائد تحت باب: قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٩١].

(٢٢٤) هذه الرواية وردت عند الإمام ابن ماجه في «سننه» في كتاب: الفتن، باب: الصبر على البلاء. وعند الإمام أحمد رحمه الله في «مسند باقي المكثرين» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه برقم: (١٢٤٢٠، ١٢٧٢٥) [بترقيم: إحياء التراث].

(٤٨) بابُ ما جاء في قولِ الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ الآية [فصلت: ٥٠]

وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٠﴾ [فصلت: ٥٠] قال مُجاهد: هذا بعملي، وأنا محقوقٌ[(٢٢٥)] به.

وقال ابن عباس: يُريد: من عندي.

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨]: قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب[(٢٢٦)]. وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل[(٢٢٧)].

وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف[(٢٢٨)].

---

(٢٢٥) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٥/ ٣) عند سورة: [فصلت آية: ٥٠]، وابن زمنين في «تفسيره» (٤/ ١١٥) عند تفسير سورة: [الزمر]، وفي (٤/ ١١٥) [من الآية ٤٩ إلى آية ٥٢]، والبخاري في كتاب: التفسير، باب: في تفسير سورة [حم السجدة] (٤/ ١٨١٥).

(٢٢٦) أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (٦/ ٤٤٠).

(٢٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي كما في المصدر السابق.

(٢٢٨) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٤/ ١٢)، وقال الدكتور وليد آل فريان في «فتح المجيد»: وأخرجه الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢٣٤).

وعن أبي هريرة؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ ثلاثةً من بني إسرائيل: أبرصَ، وأقرعَ، وأعمى؛ فأراد الله أن يبتليَهم، فبعث إليهم مَلَكًا، فأتى الأبرص، فقال: أيُّ شيء أحبُّ إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. قال: فمسحه؛ فذهب عنه قذرُه، فأُعطي لونًا حسنًا، وجلدًا حسنًا. قال: فأي المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبل أو البقر - شك إسحاق -. فأُعطي ناقةً عُشرَاء، فقال: بارك الله لك فيها». قال: «فأتى الأقرع، فقال: أيُّ شيء أحبُّ إليك؟ قال: شعرٌ حسن، ويَذْهَب عني الذي قد قَذِرَني الناس به. فمسحه، فذهب عنه، وأُعطي شعرًا حسنًا، فقال: أي المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر أو الإبل، فأُعطي بقرة حاملًا، فقال: بارك الله لك فيها». قال: «فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحبُّ إليك؟ قال: أنْ يَرُدَّ الله إليَّ بصري، فأُبصر به الناس. فمسحه، فردَّ الله إليه بصره. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأُعطي شاة والدًا، فأُنْتجَ هذان، ووَلَّد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم».

قال: «ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحِبالُ في سفري هذا، فلا بلاغ لي اليوم إلَّا بالله ثم بك، أسألُك بالذي أعطاك اللونَ الحسن، والجلد الحسن، والمال بعيرًا أتبلَّغ به في سفري. فقال: الحقوقُ كثيرة! فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرصَ يَقذَرُك الناس، فقيرًا، فأعطاك الله ﷻ المال؟ فقال: إنما ورثتُ هذا المال كابرًا عن كابر. فقال: إن كنت كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنت!».

قال: «وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورَدَّ عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنت!».

قال: «وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين، وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلَّا بالله ثم بك، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاةً أتبلَّغُ بها في سفري. فقال: قد كنتُ أعمى فردَّ الله

إليَّ بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله! لا أجهَدُك اليوم بشيء أخذتَه لله. فقال: أمسك مالك، فإنما ابتُليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك»[٢٢٩]. أخرجاه.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما معنى: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ [فصلت: ٥٠].

الثالثة: ما معنى قوله: ﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨].

الرابعة: ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة.

الشرح

هذا الباب فيه النهي عن الإدلال على الله بالعمل أو المنزلة، وحيث إنَّ ذلك يصير به الإنسان نفسه شريكًا مع الله، حيث نسب النعمة التي أنعم الله بها عليه إلى علمه، ومعرفته أو إلى مقامه عند ربه ومنزلته.

فإن كان المعنى أنَّ هذا حصل لي بعملي، ومعرفتي بوجوه المكاسب، فهذا إدلالٌ بعمله، وأنَّه بعمله ذلك حصل له ما حصل، وفي ذلك جحدٌ

---

(٢٢٩) الحديث أخرجه الإمام مسلم بهذا اللفظ في أول كتاب: «الزهد والرقائق»، وأخرجه الإمام البخاري بنحوه في كتاب: «أحاديث الأنبياء»، باب: حديث أبرص وأقرع وأعمى في بني إسرائيل.

لنعمة الله (ﷻ)، وإن كان المعنى هو الإدلال بالمنزلة، فكذلك (أيضًا) فيه جحدٌ لنعمة الله وفضله؛ حيث إنَّ الله ﷻ يتفضل على عباده بالنعم من غير حقٍّ لهم عليه، إذ كل النِّعم هي من الله فضلٌ، ولكون هذا فيه شيءٌ من الجحود لنعم الله، وجعل الإنسان لنفسه منزلةً استحق بها ذلك، فلذلك كان هذا داخلًا في الشرك، ومناقضًا لكمال التوحيد.

وعلى هذا المعنى جاء ابتلاء الثلاثة، فاثنان منهم سقطوا في هذا الابتلاء، وحملهم ما عندهم من الجهل؛ إذ نسوا ما كانوا عليه، وما صيرهم الله إليه؛ فمنعوا، وحملهم الشيطان على البخل وجحود نعمة الله؛ فسقطوا في الابتلاء، والامتحان، وأمَّا الثالث: وهو الذي كان أعمى؛ فإنَّه عرف نعمة الله عليه، وبذل لربه ﷻ؛ شاكرًا لنعمته، ومثنيًا عليه بها فكان له الفلاح والفوز، نعوذ بالله من السقوط في الامتحان والابتلاء، ونعوذ من غضبه جلَّ وعلا ألا يرى الإنسان أنَّه كان مبتلى مصابًا بعاهة، ومستقذرًا من قبل الناس، فشفاه الله من ذلك الداء، وأعطاه المال الذي ساد به، وكان مقبولًا عند الخلق، فلو تفكَّر العبد فيما كان عليه، وما آل أمره إليه لكان في ذلك عظةً له وعبرة تحمله على أن يشكر الله على ما أعطاه من المال، واللون الحسن، ولكن نعوذ بالله من الخذلان.

ويؤخذ من هذه القصة:

أنَّ العبد لا يركن، ولا يأمن، فقد يكون ما أعطاه الله إياه ابتلاءً، وامتحانًا؛ كما قال جلَّ من قائل: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ: ٣٧]. وبالله التوفيق.



(٤٩) بابُ قول الله تعالى:
﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآۚ﴾ الآية [الأعراف: ١٩٠]

قال ابنُ حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم مُعبَّدٍ لغير الله، كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك؛ حاشا عبدَ المطلب(٢٣٠).

وعن ابن عباس في الآية قال: لما تَغشَّاها آدمُ حملت، فأتاهما إبليسُ، فقال: إني صاحبُكما الذي أخرجتكما من الجنة، لَتُطيعانِّني أو لأجعلنَّ له قَرْني أيِّل، فيخرج من بطنك فيشقّه، ولأفعلنَّ ولأفعلنَّ، يخوِّفهما، سمِّياه عبد الحارث! فأبيا أن يُطيعاه، فخرج ميتًا. ثم حملت، فأتاهما، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا. ثم حملت فأتاهما، فذكر لهما، فأدركهما حُبُّ الولد، فسمَّياه عبدالحارث، فذلك قولُه: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآۚ﴾. رواه ابنُ أبي حاتم(٢٣١). وله بسندٍ صحيح عن قتادة قال: شُركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته(٢٣٢).

وله بسندٍ صحيحٍ عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ قال: أشفقا أنْ لا يكون إنسانًا.

وذكر معناه عن الحسن، وسعيد، وغيرهما(٢٣٣).

---

(٢٣٠) ابن حزم في «مراتب الإجماع» (١٥٤).

(٢٣١) ابن أبي حاتم في «التفسير» وأخرجه سعيد بن منصور، وابن المنذر؛ كما في «الدر المنثور» (٣/ ٦).

(٢٣٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (١٥٥٢١).

(٢٣٣) ابن أبي حاتم في «التفسير» كما في «الدر المنثور» (٣/ ٦٢٦) نقلًا عن الدكتور الوليد آل

فيه مسائل:

الأولى: تحريم كل اسم مُعَبَّدٍ لغير الله.

الثانية: تفسير الآية.

الثالثة: أنَّ هذا الشرك في مُجرَّد تسميةٍ لم تقصد حقيقتها.

الرابعة: أن هبة الله للرجل البنت السويَّة من النعم.

الخامسة: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة، والشرك في العبادة.



الشرح

قال ابن حزم:

«اتفقوا على تحريم كل اسم معبَّد لغير الله؛ كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب» ابن حزم هو عالم الأندلس في زمنه؛ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري توفي سنة ٤٥٦هـ وله ٧٢ سنة، وقد حكى رحمه الله اتفاق العلماء على تحريم كل ما عبِّد لغير الله؛ لأنَّه شركٌ في الربوبية، والإلهية، ولأنَّ الخلق كلهم ملكٌ لله، وعبيدٌ له؛ خلقهم؛ لعبادته، وأمرهم بتوحيده، فلا يجوز لأحد منهم أن يعبِّد ولده لغير

= فريان؛ وأخرجه ابن جرير الطبري في (ج٩/ ١٤٤) عن تفسير سورة الأعراف آية (١٩٠) وابن زمنين في (ج٢/ ١٥٩) وابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٧٥).

خالقه، ومن فعل ذلك فقد أشرك بالله، ومن هنا نعلم أنَّ ما يعمله الرافضة من تعبيد أبنائهم لغير الله ﷻ كعبد الزهراء، وعبد الكاظم، وعبد الحسين، وما إلى ذلك أنَّه شركٌ بالله.

أمَّا استثناء عبد المطلب، وأن هذه التسمية لا يقصد بها العبودية، فهذا فيما يظهر متفقٌ عليه ولا شك أنَّ التعبيد لله رب العالمين هو الواجب على المسلم، وقد قال النبي ﷺ في غزوة حنين:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب[٢٣٤]

وعن أنس بن مالك يقول: «بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد، ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد، والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ؟ فقال له الرجل: ابن عبد المطلب، فقال له النبي ﷺ: **«قد أجبتك...»**[٢٣٥] الحديث، فيكون مستثنى بهذا الإقرار.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية؛ قال: لمَّا تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس: فقال: إنِّي صاحبكما الذي أخرجتكما في الجنة؛ لتطيعانِّني أو لأجعلنَّ له قرني أيل» الحديث.

أقول: في صحة هذا منسوبًا إلى آدم نظر، ولكن كونه من ذرية آدم من فعل ذلك فهذا لا يبعد؛ إذ إنَّ صدور الشرك من آدم وزوجته؛ مع علمهما بكيد عدوهما الشيطان الرجيم في ثبوته نظر؛ إذ إنَّ قوله: «**لتطيعانِّني أو لأجعلنَّ له قرني أيَّل**» هذا يعني تصديق للشيطان في أنَّه يقدر أن يحول ما في

(٢٣٤) الحديث سبق تخريجه في (ص٢٨٢) الحاشية رقم (٢٢٢).

(٢٣٥) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: العلم، باب: ما جاء في العلم وقول الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: الآية ١١٤].

بطنها من خلقة إنسان إلى خلقة حيوان، ومن صدَّق بهذا فإنَّه يعتبر قد أشرك شركًا أكبر ولكن طاعته في التسمية لا تكون من الشرك الأكبر؛ بل تكون من الشرك الأصغر، وعلى ذلك فقول قتادة جعلا له شركاء في طاعته؛ ولم يكن في عبادته، ولعلَّ ذلك حصل لهما برؤيا ظنَّا أنَّها حقٌّ وهي باطل.

وأخيرًا: أقول اللهم إنَّا نبرأ من اتهام آدم بذلك؛ أمَّا كونه من ذريتهما فهذا لا يبعد.



(٥٠) بابُ قول الله تعالى:
﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]

ذكر ابنُ أبي حاتم عن ابن عباس: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾: يُشركون.

وعنه: سمُّوا اللات من الإله، والعُزَّى من العزيز.

وعن الأعمش: يد[illegible]ن فيها ما ليس منها(٢٣٦).

۞ فيه مسائل:

الأولى: إثبات الأسماء.

الثانية: كونها حُسنى.

الثالثة: الأمر بدعائه بها.

الرابعة: ترك من عارضَ من الجاهلين الملحدين.

الخامسة: تفسير الإلحاد فيها.

السادسة: وعيد من ألحد.

---

(٢٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير كما في «الدر المنثور» (٣/ ٦١٦).

الشرح

وأقول قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ هذا أمر من الله ﷻ لعباده بأن يدعوه بالأسماء الحسنى، وفي الحديث المتفق عليه: «**إنَّ لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**»[٢٣٧] وأسماء الله ﷻ أكثر من ذلك بدليل ما جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: «**ما أصاب أحدًا قطُ همٌّ، ولا حزنٌ، فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك، وابن أمتك ناصيتي بيدك؛ ماض فيَّ حكمك؛ عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسالك بكل اسمٌ هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب غمي، إلَّا أذهب الله حزنه، وهمَّه، وأبدل مكانه فرحًا**»، فقيل يا رسول الله: أفلا نتعلمه؟ فقال: «**بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها**»، عزاه ابن كثير إلى مسند أحمد بن حنبل رحمه الله من طريق يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ وقال بعد ذلك، فقد أخرجه أبو حاتم، وابن حبان البستي في صحيحه بمثله[٢٣٨].

---

(٢٣٧) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في كتاب: الدعوات، باب: لله مائة اسم غير واحد، وأخرجه الإمام مسلم رحمهما الله في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: في أسماء الله (تعالى) وفضل من أحصاها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٣٨) الحديث أخرجه ابن حبان في «صحيحه» في ج(٣/ ٢٥٣) برقم الحديث (٩٧٢)، باب: ذكر الأمر لمن أصابه حزنٌ، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» في (ج/١ ٦٩٠) برقم (١٨٧٧) في كتاب: «الدعاء والتكبير والتسبيح والذكر» وأحمد في (ج/١ ٣٩١) برقم (٣٧١٢) في آخر أحاديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وكذا رواه في (ج/١ ٤٥٢) برقم (٤٣١٨) وأخرج الحديث أيضًا في مسند الحارث زوائد الهيثمي في (ج/٢ ٩٥٧) برقم ١٠٥٧) وأبو

قوله: «**الحسنى**» وهي كل اسم تضمَّن كمالًا كالعليم، والحكيم، والرحيم، وما أشبه ذلك، لكن إذا وصف الله أو سمِّي بما لم يكن فيه مدحٌ كقوله (تعالى): ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام:١٩]. فسمَّاه شيئًا، ولكن لكون الشيء لا يكون فيه مدحٌ ولا يدل على صفة كمال فلا يدعى به، فلا يقال يا شيء أعطني أو ارزقني.

وكذلك مما جاء في الحديث «**لا شخص أغير من الله**»[٢٣٩] فهذا (أيضًا) لا يتضمن كمالًا، فلا يدعي به، وصف الله نفسه بأوصاف على سبيل المقابلة، لا تكون مدحًا إلا إذا جاءت على سبيل المقابلة، فقال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠] وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق:١٥-١٦] وقال: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد:١٣] وهذه الخصال إذا انفردت تكون ذمًّا، لكن وردت في سياق المقابلة، لما يعمله الكفار من المكر بدينه، وأوليائه، والكيد لهم، والخداع لهم، كما في قوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢].

= يعلى في «مسنده» (٩/ ١٩٨) برقم (٥٢٩٧) والطبراني في «المعجم الكبير» في (ج١٠/ ١٦٩) برقم (١٠٣٥٢) وعبد الرزاق في «مصنفه» في (ج١١/ ٣٢٣) برقم (٢٠٦٥٩) وابن أبي شيبة في (ج٦/ ٤٠) برقم (٢٩٣١٨).

(٢٣٩) وردت هذه اللفظ معلقة عند الإمام البخاري في كتاب التوحيد، باب: قول النبي ﷺ: «**لا شخص أغير من الله**»، وقال عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك: «**لا شخص أغير من الله**» وأخرجه الإمام مسلم في أول كتاب: «اللعان» من حديث المغير بن شعبة رضي الله عنه قال: قال: سعد بن عبادة رضي الله عنه: «لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح عنه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**أتعجبون من غيرة سعد، فوالله لأنا أغير منه، والله أغير مني؛ من أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شخص أحب إليه العذر من الله؛ من أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين، ولا شخص أحب إليه المدحة إليه من الله من أجل ذلك وعد الله الجنة**».

فهذه الأسماء لا يدعى بها؛ لأنَّها لم تشتمل على مدحٍ إلَّا على سبيل المقابلة، والمجازاة لأعدائه.

والمهم أنَّ الله لا يدعى إلَّا بالأسماء الحسنى؛ التي اشتملت على نعوت كمال، وخصال جلال.

أمَّا قوله: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾.

فالإلحاد هو: الميل بالشيء عن سمته.

قال ابن كثير: «وأصل الإلحاد في كلام العرب العدل عن القصد، والميل، والجور، والانحراف، ومنه اللحد في القبر، وذلك أنَّ العرب ألحدوا في أسماء الله، فجعلوها لغيره، واشتقوا أسماء آلهتهم منها فسموا اللات من الإله، والعزى من العزيز؛ كما روى ذلك ابن جريج عن مجاهد، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الإلحاد التكذيب، ولهذا جاء عن ابن عباس يلحدون يشركون، وقال الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها» اهـ بتصرف.

وأقول: هذه أوصاف عاب الله فيها المشركون، وذمهم بها؛ لذلك فإنَّ الواجب على المسلمين أن يجلوا أسماء الله، ويعرفوا حقها، وما اشتملت عليه من الكمال؛ الذي لا يوازيه فيه أحد ونحن إذا تأملنا أسماء الله نجدها كاملةً أعظم الكمال، وحسنةً في غاية الحسن، فإذا وصفنا الله ﷻ بالحكمة، ونظرنا في مخلوقاته؛ نجد أن الله ﷻ قد جعل لكل مخلوق ما يناسبه فالإنسان كرمه الله، وسواه في أحسن خلق، فإن أطاع ربه، وعرف حقه عليه أعطاه من مواهبه وقدرته، وإفضاله الشيء الكثير، والجزاء الحسن، ومن ذلك قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ﴾ [يونس:٢٦] وقوله: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٦﴾ [التين: ٤، ٦]

وقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧] فانظر أخي المسلم كيف خلق الله كل شيءٍ وهيئه للمقصود منه، فالتي خلقت للحمل كالإبل، والخيل، والبغال، والحمير؛ انظر كيف خلقت مناسبةً للحمل عليها، والركوب، وهكذا جعل الله لكل شيءٍ ما يناسبه: وفي «صيحة حق» قلت ما يلي:

من صوَّر النطفة في الأرحام	وأنطق الإنسان بالكلام
أمَّن بشكل الآدميِّ قد عنِيَ	سواه في خلقٍ عظيم متقن
إذ جعل الوجه بأعلى والبصر	لكي يكون مدركًا لما نظر
وإن تكن قد جعلت في الركبتين	ما نظرت غير محل القدمين
ثم اللسان والشفاه قد عرى	عن شعر لحكمة لا تزدرى
سل شعر الأجفان من قوَّسه	بحكمة للعين قد ألبسه
وكل أصبعٍ بظفر شدها	لكي يقويها به أمدَّها
قد جعل المدخل في أعلى الجسد	ومخرجًا في أسفلٍ للنبذ قد
هيئه ربي بتفصيل عجيب	يهدي إلى الإيمان ذا العقل الأريب

وبالله التوفيق.



(٥١) بابٌ لا يُقال: السلامُ على الله

في «الصحيح» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا كُنَّا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلامُ على الله من عبادهِ، السلامُ على فلان وفلان، فقال النبيُّ ﷺ: **«لا تقولوا: السلامُ على الله؛ فإنَّ الله هو السلام»**(٢٤٠).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير السلام.

الثانية: أنه تحيّة.

الثالثة: أنها لا تصلح لله.

الرابعة: العلّة في ذلك.

الخامسة: تعليمهم التحية التي تصلح لله.

---

(٢٤٠) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: «الأذان»، باب: ما يتخير من الدعاء بعد التشهد وليس بواجب، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: «الصلاة»، باب: التشهد في الصلاة.

الشرح

وأقول المستنكر هنا قولهم السلام على الله من عباده لأنَّ السلام معناه دعاء بالسلامة من النقائص والآفات، والله ﷻ غنيٌّ عن ذلك لم يكن في حاجة أحد من عباده؛ لأنَّه هو السلام، ومنه السلام أي هو اسمه السلام، ومنه السلام فهو يمنح عباده السلامة، ويوفقهم لما فيه صلاحهم، وسلامتهم في الدنيا والآخرة، وقد كان النبي ﷺ إذا انصرف من الصلاة استغفر ثلاثًا ثمَّ قال: «**اللهم أنت السلام، ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»(٢٤١) .

قال في فتح المجيد:

ومعنى قوله ﷺ: «**إنَّ الله هو السلام**» أنَّه تعالى سالمٌ من كل نقص، ومن كل تمثيل، فهو الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل عيبٍ ونقص».

قلت: العباد كلهم بحاجة إلى ربهم ﷻ يذكرونه باسمه السلام، ويطلبون منه السلامة في مبادئ الأمور، وعواقبها، ولهذا وجه النبي ﷺ أمته إلى أن يسألوا ربهم ﷻ المغفرة والرحمة التي تتم بها سلامتهم، ولهذا يكون دعاء الرسل يوم القيامة على الصراط: «**اللهم سلم سلم**»(٢٤٢)

---

(٢٤١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب: «المساجد ومواضع الصلاة»، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان سببه.

(٢٤٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: «الأذان»، باب: فضل السجود، وفي كتاب: «الرقاق»، باب: الصراط جسر جهنَّم، وفي كتاب: «التوحيد»، باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأورد الحديث الإمام مسلم في كتاب: «الإيمان»، باب: معرفة طريق الرؤية من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وقد روى أبو بكر ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال له لما سأله أن يعلمه دعاءً يدعو به: **«قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلَّا أنت فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني إنَّك أنت الغفور الرحيم»**(٢٤٣) نسأل الله ﷻ أن يسلمنا من كل سوء ومكروه، وأن يثبتنا على الحق حتى نلقاه ونحن على ذلك وبالله التوفيق.



(٢٤٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري ﷺ في كتاب: الأذان، باب: الدعاء قبل السلام، وفي كتاب: الدعوات، باب: الدعاء في الصلاة، وفي كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ وأخرجه الإمام مسلم ﷺ في كتاب: الذكر والدعاء، باب: استحباب خفض الصوت بالذكر.

(٥٢) بابُ قولِ: اللهم اغفر لي إنْ شئت

في «الصحيح» عن أبي هريرة؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«لا يقُلْ أحدُكم: اللهم! اغفر لي إنْ شئت، اللهم! ارحمني إنْ شئت، ليَعزم المسألة؛ فإنَّ الله لا مُكْرِه له»**(٢٤٤).

ولمسلم: **«وليُعَظِّم الرَّغبة، فإنَّ الله لا يتعاظَمُه شيءٌ أعطاه»**(٢٤٥).

۞ فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء.

الثانية: بيان العلّة في ذلك.

الثالثة: قوله: **«ليعزم المسألة»**.

الرابعة: إعظام الرغبة.

الخامسة: التعليل لهذا الأمر.

---

(٢٤٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: الدعوات، باب: ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له، وأخرجه في كتاب: التوحيد، باب: المشيئة والإرادة، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: «الذكر والدعاء»، باب: العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت.

(٢٤٥) أخرجه الإمام مسلم في كتاب: الذكر والدعاء، باب: العزم بالدعاء ولا يقل: إن شئت.

الشرح

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله «بخلاف العبد؛ فإنَّه قد يعطي السائل مسألته لحاجته إليه أو لخوفه منه أو رجائه، فيعطيه مسألته وهو كاره.

فاللائق بالسائل للمخلوق أن يعلق حصول حاجته على مشيئة المسؤول؛ مخافة أن يعطيه وهو كاره، بخلاف رب العالمين تعالى؛ فإنَّه لا يليق به ذلك؛ لكمال غناه عن جميع خلقه، وكمال جوده وكرمه، وكلهم فقيرٌ إليه، محتاجٌ لا يستغني عن ربه طرفة عين، وعطاؤه كلام، وفي الحديث: «**يمين الله ملأى؛ لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض؟ لم يَغِض ما في يمينه، وفي يده الأخرى القسط يخفضه، ويرفعه**» يعطي تعالى لحكمة، ويمنع لحكمة؛ وهو الحكيم الخبير»اهـ.

وأقول: إنَّ مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد حتى لا يشبَّه الله ﷻ بخلقه؛ فإنُّه إن قال: «**اللهم اغفر لي إن شئت**» فكأنَّما ظنَّ به البخل أو العُدم أو تعاظم المسألة؛ كما أنَّ هذه صفة المخلوقين، وتمام الحديث عند مسلم: «**وليعظم الرغبة، فإنَّ الله لا يتعاظمه شيءٌ أعطاه**».

ملحوظة:

ينبغي أن نعلم أن الله ﷻ كريمٌ بل هو أكرم الكرماء، وأنَّ الله غنيٌّ لا يعدم، وكريم لا يبخل فإن لم تحصل للإنسان طلبته التي طلبها من ربه؛ فإنَّه ينبغي أن يعلم أنَّ ذلك إنَّما كان لمانعٍ من الموانع؛ وهو إمَّا أن يكون الله ﷻ لم يعطه مسألته من أجل أنَّه يريدُ أن يدخر له ذلك عنده إلى يوم القيامة أو من أجل أنَّ الله يريد أن يصرف عنه من الشر بقدر مسألته تلك أو

من أجل أنَّ الله ﷻ يرى المصلحة في عدم إجابته في الدنيا أو من أجل أن دعوته كان ينقصها الإخلاص والإيمان أو غير ذلك من الموانع... فلا يجوز للعبد أن يظنَّ بربه ظنًّا سيئًا؛ بل يجب عليه أن يعتقد أن عدم الإجابة حاصلٌ من قبل نفسه هو، وفي الحديث: «**ما من مسلم يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إمَّا أن تعجل له دعوته، وإمَّا أن يدخرها له في الآخرة، وإمَّا أن يصرف عنه من السوء مثلها،**» قالوا: إذًا نكثر؛ قال: «**الله أكثر**»[٢٤٦] رواه أحمد. وبالله التوفيق.

---

(٢٤٦) الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ في «مسند باقي المكثرين من الصحابة» من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم الحديث (١٠٧٤٩) [بترقيم إحياء التراث]، وقال عنه الإمام الألباني (رَحِمَهُ اللَّهُ) في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» برقم الحديث (٤٤٨٣) في (ج٩/ ٤٦٧) [طبعة مكتبة المعارف]: «أخرجه أحمد (٣/ ١٨) والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٠) والحاكم (١/ ٤٩٣) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وهو كما قالا» اهـ.

(٥٣) بابٌ
لا يقول: عبدي وأَمَتي

في «الصحيح» عن أبي هُريرة؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«لا يقُلْ أحدُكم: أطعِمْ ربَّك، وضِّئْ ربَّك، وليقل: سيِّدي ومولاي. ولا يقل أحدُكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي، وفتاتي، وغُلامي»**[٢٤٧].

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن قول: عبدي وأمتي.

الثانية: لا يقول العبد: ربي، ولا يقال له: أَطْعِمْ ربك.

الثالثة: تعليم الأول قول: فتاي، وفتاتي، وغلامي.

الرابعة: تعليم الثاني قول: سيدي، ومولاي.

الخامسة: التنبيه للمراد؛ وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ.

---

(٢٤٧) الحديث أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» في كتاب: العتق، باب: كراهة التطاول على الرقيق، ومسلم في كتاب: الأدب، باب: حكم إطلاق لفظ العبد والأمة.

الشرح

في هذا الباب النهي عن إطلاق الرب على المولى الأعلى؛ يعني المالك أو المعتق والنهي عن إطلاق عبدي وأمتي على المولى الأسفل؛ وهذا نهيٌ عن التشبيه في اللفظ؛ وإن كان جائزًا إلَّا أنَّ الأولى والأبلغ في الأدب ألَّا يقول المولى الأسفل لمولاه الأعلى ألَّا يقول له: ربي، ولا يقال: أطعم ربك، وضئ ربك، ومن باب الأدب أن يقال: فتاي، وفتاتي بدل عبدي وأمتي؛ من أجل أن يكون ذلك تحقيقًا للتوحيد، فينهى عن التشابه في الألفاظ أدبًا مع الله (ﷻ)؛ لما في ذلك من كمال التوحيد، فأبدل بدل رب سيد ومولى، وبدل عبدي وأمتي فتاي وفتاتي. وبالله التوفيق.



(٥٤) بابٌ لا يُردُّ من سأل بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من استعاذ بالله؛ فأعيذوه، ومن سأل بالله؛ فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا؛ فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له، حتى تَروا أنكم قد كافأتموه**»[٢٤٨]. رواه أبو داود، والنسائي بسند صحيح.

۞ فيه مسائل:

الأولى: إعاذة من استعاذ بالله.

الثانية: إعطاء من سأل بالله.

الثالثة: إجابة الدعوة.

---

(٢٤٨) الحديث أخرجه النسائي في «سننه المجتبى» في (ج٥/ ٨٢) برقم الحديث (٢٥٦٧)، باب: من سأل بالله ﷻ وأبو داود في «سننه» في (ج٢/ ١٢٨)، باب: عطية من سأل بالله، وأخرجه أيضًا ابن حبان في «صحيحه» في (ج٨/ ١٩٩) برقم (٣٤٠٨)، باب: ذكر الأمر بالمكافأة لمن صنع المعروف، والشهاب في «مسنده» في (ج١/ ٢٦٠) برقم (٢٩٥) و(٤٢١) والبخاري في «الأدب المفرد» في (ج١/ ٨٥) برقم (٢١٦) والطبراني في «المعجم الكبير» في (ج١٢/ ٣٩٧) برقم (١٣٤٦٥) والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» في (ج١/ ٥٧٢) برقم (١٥٠٢) والبيهقي في «السنن الكبرى» في (ج٤/ ١٩٩) برقم (٧٦٧٩) والطيالسي في «مسنده» في (ج١/ ٢٥٧) برقم (١٨٩٥) وأخرجه أحمد في «مسنده» في (ج٢/ ٦٨) في مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب برقم الحديث (٥٣٦٥) وفي (ج٢/ ٩٩) برقم (٥٧٤٣) وفي (ج٢/ ١٢٧) برقم (٦١٠٦) وفي «مسند عبد بن حميد» في (ج١/ ٢٥٦) برقم (٨٠٦).

الرابعة: المكافأة على الصنيعة.

الخامسة: أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه.

السادسة: قوله: «**حتى تروا أنكم قد كافأتموه**».

الشرح

ترجمة هذا الباب أنَّه لا يرد من سأل بالله؛ فإنَّ الله ﷻ هو الذي أعطى وخوَّل، ويسر للعبد الرزق، والمال، ويسر له الأسباب الجالبة للخير، وقواه على ذلك ذهنيًّا وجسديًّا، فإذا سُئل أحدٌ بالله فإنَّه ينبغي للمسؤول أن يتذكر نعمة الله عليه، وإكرامه إياه بأن جعله مسؤولًا لا سائلًا، ومعطيًا متفضلًا على غيره بسبب ما خوله إياه، ومن حق هذا المنعم عليه أن يعطي من أجله أي من أجل الله، وليس معنى ذلك أن يعطي السائل ما سأل، ولكن أن يعطيه على قدر استطاعته بحسب ما تيسر له، ولهذا جاء في الحديث: «**من سأل بالله فأعطوه**» أي ابذلوا له، وأطيعوا ربكم في البذل له؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى ندب العباد إلى الإنفاق في غير ما آية قال جل من قائل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝﴾ [الليل: ٥، ٧]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝﴾ [البقرة: ٢٦٧، ٢٦٨] وقال سبحانه: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقال جل من قائل: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥].

والمهم أنَّ الله ندب عباده للإنفاق كل بحسب حاله، وفي هذا الحديث أمرٌ بإعطاء من سأل بالله على حسب المتيسر للمسؤول.

وقال أيضًا في الحديث: «**ومن استعاذ بالله فأعيذوه**» أي إذا استعاذكم أحدٌ بالله، فينبغي لكم أن تعيذوه، إذا قدرتم على ذلك، إلَّا من استعاذ من حدٍّ أو حقٍّ واجبٍ عليه؛ فإنَّه لا يعاذ من الحد، ولا من القصاص.

قوله: «**ومن دعاكم فأجيبوه**» كذلك أيضًا من حق المسلم على المسلم إجابة دعوته إذا استطاع، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**حق المسلم على المسلم**» ست قيل وما هنَّ يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا دعاك فأجبه، وإذا عطس فحمد الله فسمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»[(٢٤٩)].

قوله: «**ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه**» أي كافئوه على الصنيعة، والمعروف إن قدرتم على ذلك، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له، فجعل الدعاء مكافئةً.

قوله: «**حتى تروا**» أي: تظنوا أنَّكم قد كافئتموه.

ويؤخذ من هذا الحديث:

أنَّ النبي ﷺ دل أمته على كمال الخير، وخصال الفضل، فمن عمل

---

(٢٤٩) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب: «السلام»، باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام، وأخرجه الإمام أحمد في «مسند باقي المكثرين» برقم (٨٦٢٨) و(٩٠٨٠) إلَّا أنَّه جاء بلفظ: «وإذا عطس فشمته «بدل فسمته» وإذا مات فاصحبه «بدل» وإذا مات فاتبعه».

بطاعة ربه سبحانه تعالى، واتبع ما أرشد إليه النبي ﷺ فإنَّه يعيش على خير، ويموت على خير نسأل الله أن يجعلنا من أهل ذلك.

ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد:

أنَّ من تعظيم الله ﷻ الإعطاء من أجله. وبالله التوفيق.

(٥٥) بابٌ لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يُسأل بوجه الله إلَّا الجنة»**[٢٥٠]. رواه أبو داود.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن أن يسأل بوجه الله إلَّا غاية المطالب.

---

(٢٥٠) أخرجه الإمام أبو داود في كتاب: «الزكاة»، باب: كراهية المسألة بوجه الله في (ج٢/ ١٢٧) برقم الحديث (١٦٧١) والبيهقي في «السنن الكبرى» في (ج٤/ ١٩٩) برقم (٧٦٧٨) وقال الشيخ سليمان أبو الخيل والشيخ خالد المشيقح محققا القول المفيد على كتاب: «التوحيد» للشيخ محمد بن صالح العثيمين في (ج٣/ ١١٦): وأخرجه ابن منده في «الرد على الجهمية» (ص٩٨) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٠٦) والخطيب في الموضح (١/ ٣٥٢) و(٣٥٣) عن جابر ﷺ، وقال المنذري في «مختصر السنن» (٢/ ٢٥٣): «وسليمان بن قرم تكلم فيه غير واحد» والحديث ضعفه عبد الحق وابن القطان كما في «الفيض» (٦/ ٤٥١) والمناوي في «التيسير» (٢/ ٥٠٥) لكن يشهد لعموم النهي حديث أبي موسى ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: **«ملعونٌ من سأل بوجه الله، معلونٌ من سئل بوجه ثم منع سائله مالم يسأل هجرًا»** أخرجه الطبراني كما في «المجمع» (٣/ ١٠٣) وحسنه العراقي كما في «الفيض» (٦/ ٤) والمناوي في «التيسير» (٢/ ٤٧٨)، وقال الشيخ الوليد آل فريان في تحقيقه لكتاب: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (ج٢/ ٧٦١): «وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١١٠٧) وقال: هذا الحديث لا أعرفه عن محمد بن المنكدر إلَّا من رواية سليمان بن قرم... والديلمي في «الفردوس» رقم (٧٩٨٦) والبيهقي في «السنن» (٤/ ١٩٩) و«الأسماء والصفات» (٣٨٨) وفيه سليمان بن قرم سيئ الحفظ يتشيع كما في «التقريب» (٢٥٣) اهـ.

الثانية: إثبات صفة الوجه.

الشرح

وحيث إنَّ الحديث أخرجه أبو داود برقم (١٦٧١) وفي سنده سليمان بن قرم بن معاذ قال يحيى بن سعيد: «ليس بشيء» وقال عبد الحق، وابن القطان: «ضعيف» وضعفه الشيخ الألباني في المشكاة رقم (١٩٤٤) وقد عارضه ما يدل على جواز ذلك أحاديث منها الدعاء الذي دعا به النبي ﷺ عند منصرفه من الطائف حين كذبه أهلها، فدعا بهذا الدعاء: «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي وهواني على الناس، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟! إلى بعيدٍ يتجهمني، أو إلى عدو ملَّكته أمري؟! إن لم يكن بك غضبٌ فلا أبالي، غير أنَّ عافيتك هي أوسعَ لي**» وفي آخره: «**أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة: أن يحلَّ عليَّ عضبك، أو ينزل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله**»[٢٥١] وورد في دعاء آخر: «**اللهمَّ أنت أحق من ذكر، وأحق من عبد،- وفي آخره، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السملوات والأرض**»[٢٥٢] وفي دعاءٍ آخر: «**أعوذ بوجه الله الكريم، وبسم**

---

(٢٥١) قال الدكتور الوليد آل فريان في تخريج هذه الأحاديث: أخرجه الطبراني في كتاب: «الدعاء» رقم (١٠٣٦) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٥) رواه الطبراني، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقةٌ، وبقية رجاله ثقات، والطبراني في «التاريخ» (٢/ ٣٤٥) من حديث عبد الله بن جعفر، وأصله في «صحيح البخاري» رقم (٣٢٣١) ومسلم في «الصحيح» رقم (١٧٩٥) من حديث عائشة.

(٢٥٢) الحديث أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» في (ج٥/ ١٥٦) برقم (٩٢٣٤) وابن أبي شيبة

الله العظيم، وبكلماته التامة، من شر السامة واللامة، ومن شر ما خلقت أي رب، ومن شر هذا اليوم، ومن شر ما بعده، ومن شر الدنيا والآخرة»(٢٥٣)
والجمع بين هذه الأحاديث وحديث الباب أن هذه الأدعية التي ورد فيها السؤال بوجه الله؛ سأل النبي ﷺ فيها ربه سبحانه بما يكون سببًا في دخول الجنة، والنجاة من النار، فلا يتعارض مع حديث الباب؛ بل يقويه، ويدل على جواز مثل ذلك، يعني أنَّه يجوز ما يكون سببًا في دخول الجنة، والنجاة من النار.

ويؤخذ من هذا الحديث:

❑ أنَّ وجه الله عظيم؛ فلا يسأل به إلَّا عظيم، وينزه عن التوافه والدنيا تعتبر حقيرةً بالنسبة لوجه الله.

❑ إثبات صفة الوجه لله تعالى، ونسأل الله الكريم، رب العرش العظيم، أن يرزقنا الجنة، ويعيذنا من النار. وبالله التوفيق

= في (ج٦/ ٦٦) برقم (٢٩٥٢١) وأخرج نحوه الطبراني في «الكبير» في (ج٨/ ٣٦٤) برقم (٨٠٢٧) من حديث أبي أمامة؛ قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١١٧) وفيه فضالة ابن جبير؛ وهو ضعيفٌ مجمع على ضعفه، وأخرج بنحوه أيضًا ابن أبي شيبة في (ج٦/ ٦٩) برقم (٢٩٥٣٩) وفي «الأحاديث الطوال» لسليمان الطبراني في (ج١/ ٢٦٦) في حديث الصور.

(٢٥٣) أخرج بنحوه أبو يعلى في «مسنده» في (ج٤/ ٣٠٦) برقم (٢٤١٧) والطبراني في «المعجم الأوسط» في (ج٦/ ١٦٦)، باب: من اسمه محمد، وفي «المرضى والكفارات» لعبد الله محمد أبي بكر القرشي في (ج١/ ١٤٨)، باب: في ذكر مصافحة أهل المودة برقم (١٨٧) وقال الدكتور الوليد آل فريان وأخرج بنحوه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٨٩) من حديث ابن مسعود، وعلي بن أبي طالب وقال: وهو إسنادٌ صحيح، وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٩٣) عن سعيد بن المسيب موقوفًا وأخرج الشاهد منه: أبو داود في «السنن» رقم (٥٠٥٢) والدينوري في «عمل اليوم والليلة» رقم (٧١٣) من حديث علي، وأخرجه الطبراني في كتاب: «الدعاء» رقم (١٣٩٩) من حديث عائشة» اهـ.

(٥٦) بابُ ما جاء في اللَّو

وقولِ الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقولِه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٦٨].

في «الصحيح» عن أبي هريرة؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«احرص على ما ينفعُك، واستعن بالله، ولا تَعْجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنّي فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَّر الله، وما شاء فعل؛ فإنَّ (لو) تفتح عمل الشيطان»**(٢٥٤).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران.

الثانية: النهي الصريح عن قول: «لو» إذا أصابك شيء.

الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عملَ الشيطان.

الرابعة: الإرشاد إلى الكلام الحسن.

الخامسة: الأمر بالحرص على ما ينفع، مع الاستعانة بالله.

السادسة: النهي عن ضد ذلك، وهو العجز.

---

(٢٥٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب: القدر، باب: الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله.

الشرح

المراد باللو هي التي تقال عند المصائب، ونزول الأمور المكروهة، لو فعلنا كذا ما كان كذا، ولو كان كذا ما كان كذا، ولكون لو تدل على الإشعار بعدم الصبر، وكثرة الأسى والحزن على ما فات؛ حيث يزعم قائلها أنَّه لو حصل ما ظنَّه مما يكون فيه خلاصٌ من القدر لما وقع ذلك المكروه، وحيث إنَّه ينبئ بالاعتراض على الله وزعم القائل أنَّ ما قدَّر سيكون منه خلاصٌ لو كان كذا، فلذلك كان قول لو كان كذا ما حصل كذا أمرًا مذمومًا، وينبغي الإذعان لقدر الله؛ فإن قدر الله لا خلاص منه، ولا مناص؛ إذ ما قد قدَّر فلا بد أن يكون، ولهذا جاء في الحديث حديث أبي هريرة المذكور في الباب الحث على الحرص على ما ينفع قبل وقوع النوازل والاستعانة بالله ﷻ على التخلص من المكروه قبل نزوله؛ مع التوكل على الله، فإن أراد الله لك الخلاص فعل بك ذلك، وإن لم يرد الله؛ فإنَّه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

أمَّا إذا أصابك ما يوجب الأسى، والحزن؛ فإنَّ المفترض عليك أن ترضى بقدر الله، وأن تبتعد عن لو، وما نتج عنها، فإنَّها من عمل الشيطان.

وما أعظم دلالات النصوص النبوية؛ التي هي وحي من الله، إنَّ اتباعها فيه الخير، وفيه النجاة؛ حتى وإن نزل بك المكروه، ينبغي لك أن ترضى بقدر الله ﷻ، واعلم أنه إن حصل لك شيء مما يسوءك فلعله نشأ عن تقصيرك في الأسباب، وضعف توكلك؛ لهذا قال ﷺ في هذا الحديث: **«احرص على ما ينفك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل»** فيا أخي المسلم اعمل الأسباب ما دامت مواتية، وتوقَّي الشر بقدر ما تستطيع قبل

نزوله، ومتى نزل فاعلم أنَّ الله قد قدَّر هذا، فاصبر، واحتسب، واعلم أنَّه ما يكون شيءٌ إلَّا بقدر سابق كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]. فهذه الآية تدل على أنَّه ما يكون شيءٌ في الكون إلَّا وقد كتب؛ من قبل وجود الكون؛ كما قال ﷻ: ﴿إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ من قبل أن يخلق الخليقة، فاصبر، واحتسب، فلعل في ذلك خيرٌ لك، رفعة درجات؛ أو تكفير سيئات، وحكمة الله ﷻ في خلقه سرٌّ من أسراره لا يطلع عليها أحدٌ غيره ﷻ، فما أعظم التوجيهات الإلهية، والإرشادات النبوية نسأل الله أن يعطينا من الخير العاجل والآجل، وأن يصرف عنَّا الشر العاجل والآجل، وإن ابتلانا بشيءٍ؛ فنسأله أن يبصرنا بالحق فيه، ويرضينا بحكمه، وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنَّه قال: **«لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي، وجعلتها عمرة»**(٢٥٥) فهذا النص دليلٌ على استعمال اللو في تمني الأمر الفاضل إذا فات بأمرٍ

(٢٥٥) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب: «الزهد»، باب: المؤمن أمره كله خير، وعند البخاري بلفظ **«لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت ولولا أنَّ معي الهدي»** وذلك في كتاب: «الحج»، باب: تقضي الحائض المناسك كلها إلَّا الطواف من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه برقم (١٦٥١) و(٧٨٥) و(٢٥٠٦) و(٧٢٣٠) وبنحوه (٧٢٢٩) و(٧٣٦٧) وعند مسلم برقم (١٢١٦) وأخرجه الإمام البخاري في كتاب: الحج، باب: تقضي الحائض المناسك كلها إلَّا الطواف بالبيت من حديث جابر بن عبد الله، وفي باب: عمرة التنعيم، وفي كتاب: الشركة، باب: الإشتراك في الهدي من حديث ابن عباس، وفي كتاب: التمني، باب: قول النبي ﷺ: **«لو استقبلت من أمري ما استدبرت»** من حديث جابر أيضًا، وفي كتاب: الاعتصام بالكتاب: والسنة، باب: النهي عن التحريم إلَّا ما تعرف إباحته من حديث جابر أيضًا، وأخرجه الإمام مسلم بهذا اللفظ في كتاب: الحج، باب: بيان وجوه الإحرام، وأنَّه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران، وجواز إدخال الحج على العمرة، ومتى يحل القارن من نسكه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

مفضول، وأنَّ ذلك لا يدخل في اللو المنهي عنها، فقد تمنى رسول الله ﷺ أن لو وفق لعدم سوق الهدي، وجعل نسكه عمرةً متمتعًا بها إلى الحج، ليقتدي به أصحابه، وسائر الأمة، ولكن تعارض هنا أمران في كل منهما مصلحة مشروعة:

الأمر الأول: سوق الهدي، وجمع الحج والعمرة، والبقاء على الإحرام إلى يوم النحر؛ حتى يبلغ الهدي محله زمانًا ومكانًا.

والأمر الثاني: شَرعية العمرة لمن لم يسق الهدي؛ ليكون متمتعًا بها إلى الحج، فتعارض هنا أمران محبوبان إلى الله ﷻ، فكان تمني رسول الله ﷺ لترك سوق الهدي وجعل نسكة عمرة متمتعًا بها إلى الحج فيه ترجيح للتمتع في حق من لم يكن له قدرة على سوق الهدي ولكونه أيسر على أكثر الناس، فكان تمنيه لعدم سوق الهدي، وجعلها عمرة؛ ترجيحًا لأمر مشروع على أمر مشروع، فدل على جواز اللو في مثل ذلك، وأنَّ النهي خاص باللو التي يكون فيها اعتراض على القدر أو تمني معصية في المستقبل. وبالله التوفيق



(٥٧) بابُ النهي عن سبِّ الريح

عن أُبيِّ بن كعب رضي الله عنه؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تسبُّوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنَّا نسألك من خير هذه الريح، وخيرِ ما فيها، وخير ما أُمِرتْ به، ونعوذ بك من شرِّ هذه الريح، وشرِّ ما فيها، وشرِّ ما أُمرت به**»(٢٥٦). صححه الترمذي.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سبّ الريح.

الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره.

الثالثة: الإرشاد إلى أنها مأمورة.

الرابعة: أنها قد تُؤمر بخيرٍ، وقد تؤمر بشرٍّ.

---

(٢٥٦) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام الترمذي في كتاب: الأدب، باب: النهي عن سب الريح، والإمام أحمد في (ج٥/ ١٢٣) برقم الحديث (٢١١٧٦) والبيهقي في «السنن الكبرى» في (ج٦/ ٢٣١) برقم (١٠٧٦٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» في (ج١/ ٢٥١) برقم (٧١٩)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» في (ج٦/ ٢٧) برقم الحديث (٢٩٢١٩) وأصل الحديث بغير هذا اللفظ في صحيح مسلم في كتاب: الاستسقاء، باب: التعوذ عند رؤية الريح وفي كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

الشرح

يؤخذ من هذا الحديث النهي عن سب الريح؛ لأن الريح مأمورة فمن سبها فقد سبَّ الآمر لها، والمصرف لها، وهذا مثل النهي عن سب الدهر؛ لأنَّ التسخط من الفعل تسخطٌ من الفاعل؛ لذلك فإنَّه من تمام التوحيد أن نؤمن بأنَّ الريح، والدهر كلاهما مأمورٌ، مصرَّفٌ ومدبر.

فمن تمام توحيدنا لربنا أن نسأله ﷻ أن يجعل في هبوبها خيرًا لنا؛ ولذلك أرشدنا النبي ﷺ أن نسأل خالقها، ومصرفها، ومدبرها ﷻ أن نسأله جل شأنه أن يجعل في تصريفها، وتدبيرها خيرًا لنا في ديننا، وأن نعوذ به من شر ما أمرت به، وأن لا يجعلها عذابًا علينا؛ كما جعلها عذابًا على قوم عاد.

وينبغي للناس أن يفعلوا ما أمر به النبي ﷺ إذا رأوا شيئًا من ذلك؛ فقد أرشد النبي ﷺ الناس إذا رأوا هبوب الرياح أن يستقبلوها، ويجثو الشخص على ركبتيه؛ ويقول: «**اللهمَّ إنَّا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها وشر ما أمرت به**»؛ فإنَّ هذا فيه دفعٌ لمضرتها، واستجلابٌ لخيرها، وكم سمعنا في هذا الزمن من كوارث بسبب الأعاصير أو الفيضانات أو الزلازل أو غير ذلك من الأشياء المدمرة، ولكن لجهل الناس، وعدم علمهم لا يأتون بالأسباب التي أمر الله بها في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ ليستدفعوا بذلك شرًّا نزل أو متوقعًا نزوله، ويستجلب بذلك خيرًا ينزل أو يتوقع نزوله.

ملحوظة:

وردت الريح موحدة في ريح العذاب، ووردت الرياح مجموعة في الرياح المبشرة بالخير، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ

عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝﴾ [الحاقة: ٦، ٧] وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢] وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الروم:٤٦]. ومن هنا نعلم أنَّ الريح إذا أفردت قصد بها الريح التي تأتي بالعذاب، وإذا جمعت قصد بها الريح التي تأتي بالرحمة. وبالله التوفيق



(٥٨) بابُ قول الله تعالى:
﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ الآية

قال الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ الآية [الفتح: ٦].

قال ابنُ القيِّم في الآية الأولى: فُسِّرَ هذا الظنُّ بأنه سبحانه لا يَنْصرُ رسولَه، وأنَّ أمره سيضمحلُّ، وفُسِّر بأنَّ ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته. ففُسِّر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أنْ يتم أمرُ رسوله ﷺ، وأن يُظهره على الدين كله.

وهذا هو ظنُّ السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظنَّ السوء؛ لأنه ظنُّ غيرِ ما يليقُ به سبحانه، وما يليقُ بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يُديلُ الباطلَ على الحقِّ إدالةً مستقرة يضمحلُّ معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قَدَرُه لحكمة بالغةٍ يستحق عليها الحمدَ، بل زعم أن ذلك لمشيئةٍ مجرَّدة؛ فذلك ﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

وأكثرُ الناس يظنون بالله ظنَّ السَّوء فيما يختصُّ بهم، وفيما يفعله

بغيرهم، ولا يَسْلَمُ من ذلك إلا مَنْ عَرَف الله وأسماءه وصفاتِه، وموجِب حكمته وحمده.

فلْيَعْتن اللبيبُ الناصحُ لنفسه بهذا، وليتُبْ إلى الله، وليَسْتَغْفِره من ظنه بربه ظنَّ السوء.

ولو فتشت من فتشت؛ لرأيت عنده تعنُّتًا على القَدَر وملامةً له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقلٌّ ومستكثر، وفتش نفسك: هل أنت سالم؟!

فإن تَنْجُ منها تَنْجُ من ذي عظيمةٍ وإلَّا فإني لا إخالُك ناجيا(٢٥٧)

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية الفتح.

الثالثة: الإخبار بأن ذلك أنواعٌ لا تُحصر.

الرابعة: أنه لا يَسلمُ من ذلك إلَّا من عرف الأسماء والصفات، وعرف نفسه.

---

(٢٥٧) انظر «تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي» في (ج٦/ ٤٩١)، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، وفي «شرح مشكل الآثار» في (ج٦/ ٤٩١) و«الطبقات الكبرى» لابن سعد في (ج٧/ ١٥٣).

الشرح

يخبر الله ﷻ في هذه الآيات عمّا كان يدور في أنفس المنافقين من أنّ الله لا ينصر رسوله، وأنّ الله لا يتم له أمره، إذ كانوا يظنُّون هكذا، وبالأخص إذا وقعت على الرسول ﷺ وأصحابه أزمة أو ناكبة، وقد جاء في الآية الأخرى في سورة الفتح: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ وقد ذكر عن الجَدِّ بن قيس أنه قال حين خرج النبي ﷺ وأصحابه إلى تبوك: «لكأنّي بمحمدٍ وأصحابه مقرنين بالحبال» وفي هذه الآيات التي نزلت في سورة آل عمران في موقعة أحد يخبر الله عن المنافقين بأن حالتهم كانت بخلاف حال المؤمنين، فالمؤمنون عندما اشتدت الأزمة أوقع الله عليهم النعاس أمنةً منه، فكان الواحد منهم يسقط سيفه من يده، أمّا المنافقون فقد كانوا بخلاف ذلك يتملكهم الانزعاج، والخوف، والجزع والقلق، فلم يغشهم النعاس كما غشي المؤمنين؛ لأن المؤمنين كانت نفوسهم مطمئنة إلى أنّ الله سينصر رسوله ﷺ وأصحابه، وستكون العاقبة لهم.

أمّا المنافقون فإذا حصلت على الرسول ﷺ أزمة أو وقع قتل في أصحابه، فإنهم يظنون أن الإسلام قد انتهى، والرسول ﷺ قد هلك هو وأصحابه، فكانت نفوسهم متوقعة استعلاء المشركين، وإبادة الإسلام وأهله، فعابهم الله بهذا الظن، وذمهم به في مواقع كثيرة من كتابه منها قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج: ١٥] وردَّ عليهم في زعمهم أنّهم لو كانوا في بيوتهم ما قتلوا قال الله ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ فأخبر ﷻ أن ما يقع على

رسله، وأتباع رسله يقع لحكم منها: أنَّ الله ﷻ يكتب الشهادة لمن شاء من عباده المؤمنين، ويبتلي المنافقين، ليخرج من صدورهم بعض ما كانوا يكتمونه ويمحص المؤمنين الذين يبقون على قيد الحياة بالابتلاءات، التي يضاعف لهم فيها الحسنات، ويكتب لهم فيها الأجر والمثوبة، ثم تكون العاقبة بعد ذلك للرسل، والرسول ﷺ قد كانت العاقبة له نصره الله على أعدائه، وأظهر دينه، وأعلى كلمته، وخيَّب آمال المعتدين الظالمين من المشركين والمنافقين، فالحمد لله على ذلك.

ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد:

أنَّ أهل الظَّن ليسوا [illegible] التوحيد القائمين به وليسوا من أهل الإيمان الذين تيقنت قلوبهم ظهور هذا الدين بعد شيء من الابتلاءات، وهكذا ينبغي أن يكون أهل الإيمان في كل زمن، ينبغي أن يعتقدوا بأنَّ الله سيظهر دينه، ويعلي كلمته وأنَّ الابتلاءات، والأزمات قد تكون هي الطريق إلى النصر، والعاقبة الحميدة.

(٥٩) بابُ ما جاء في مُنكري القَدَر

وقال ابنُ عمر: والذي نفسُ ابن عمر بيده! لو كان لأحدهم مثلُ أُحدٍ ذهبًا، ثم أنفقه في سبيل الله؛ ما قَبِلَه الله منه، حتى يُؤمِنَ بالقدر.

ثم استدل بقول النبي ﷺ: **«الإيمانُ أَنْ تؤمِنَ بالله، وملائكته، وكُتبه، ورُسله، واليوم الآخر، وتُؤمنَ بالقدر خَيْرِه وشرِّه»**[٢٥٨]. رواه مسلم.

وعن عُبادة بن الصامت؛ أنه قال لابنه: يا بُني! إنك لن تجد طَعْمَ الإيمان حتى تعلم أنَّ ما أصابك لم يَكن لِيُخْطِئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«إنَّ أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: ربِّ! وماذا أكتبُ؟ قال: اكتبْ مقادير كلِّ شيء حتى تقوم الساعة»**. يا بُنَيَّ! سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«من مات على غير هذا فليس مني»**[٢٥٩].

وفي رواية لأحمد: **«إنَّ أوَّل ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة»**[٢٦٠].

---

(٢٥٨) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في «صحيحه» في كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام.

(٢٥٩) الحديث أخرجه الإمام أبو داود رحمه الله في «سننه» في كتاب: السنة، باب: في القدر كلها من حديث عبادة، وقد أشار إلى صحته الإمام الألباني في تحقيقه لكتاب: «مشكاة المصابيح» (ج١/ ٣٤) برقم الحديث (٩٤) وأخرجه الإمام أحمد في «مسند الشاميين» في (ج١/ ٥٧) برقم (٥٨) وفي (ج٣/ ١٣٨) برقم (١٩٤٩) والبيهقي في «السنن الكبرى» في (ج١٠/ ٢٠٤) برقم الحديث (٢٠٦٦٤).

(٢٦٠) هذه الرواية أخرجها الإمام أحمد رحمه الله في «باقي مسند الأنصار» بهذا اللفظ برقم

وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله ﷺ: **«فمن لم يُؤمن بالقدر خَيرِه وشره: أحرقه الله بالنار»**(٢٦١).

وفي «المسند» و «السنن» عن ابن الديلمي قال: أتيتُ أُبَيَّ بن كعب، فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يُذهبه من قلبي، فقال: لو أنفقت مثل أُحد ذهبًا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مُتَّ على غير هذا لكنت من أهل النار.

قال: فأتيت عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ.

حديثٌ صحيح، رواه الحاكم في «صحيحه»(٢٦٢).

= (٢٢١٩٧) من حديث عبادة بن الصامت وقد صححها الإمام الألباني في تحقيقه لكتاب: «السنة» للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني برقم الحديث (١٠٤) (ج١/ ٤٨) وأخرجها الإمام الترمذي في «سننه» في كتاب: القدر، باب: ما جاء في الرضا بالقضاء بلفظ **«إن أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب، فقال ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد»** وكذا أخرجها في كتاب: تفسير القرآن، باب: سورة ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ [القَلَم: الآية ١].

(٢٦١) أخرج هذه الرواية ابن وهب في «القدر» رقم (٢٦) وابن أبي عاصم في كتاب: «السنة» رقم (١١١) والآجري في «الشريعة» (١٨٦) كما قال الدكتور آل فريان.

(٢٦٢) الحديث أخرجه الإمام الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» في (ج٣/ ٦٢٤) برقم الحديث (٦٣٠٤) وأخرجه الإمام أبو داود في (ج٤/ ٢٢٥) برقم الحديث ٤٦٩٩ وابن ماجه في (ج١/ ٢٩) برقم (٧٧) والإمام أحمد في «المسند» في (ج٥/ ١٨٢) برقم (٢١٢٩) و(٢١٦٩٦) وابن حبان في «صحيحه» في (ج٢/ ٥٠٥) برقم (٧٢٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» في (ج١٠/ ٢٠٤) برقم (٢٠٦٦٣).

۞ فيه مسائل:

الأولى: بيان فرض الإيمان بالقدر.

الثانية: بيان كيفية الإيمان به.

الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن به.

الرابعة: الإخبار أنَّ أحدًا لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به.

الخامسة: ذكر أول ما خلق الله.

السادسة: أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة.

السابعة: براءته ﷺ ممن لم يؤمن به.

الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء.

التاسعة: أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته؛ وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط.



الشرح

باب ما جاء في منكري القدر أي من الوعيد الشديد ونحو ذلك[٢٦٣].

اعلم أنَّ القدر قد هلكت فيه فئتان:

الفئة الأولى: فئة أنكرته بالكلية أو أنكرت بعضه، والمشهور أنَّ هذه الفئة أنكرت الشر أن يكون من قدر الله، فأنكروا أن يكون الكفر قدرًا من الله أو المعاصي قدرًا من الله أو الشرك الأكبر قدرًا من الله؛ زاعمين أنَّ الله لا يقدِّر ذلك، ويعذب عليه، زاعمين بأنَّه لو عذب العباد عليه كان تعذيبه لهم ظلمًا منه لهم، وبهذا القول قالت المعتزلة؛ وهو ما قرره أئمتهم؛ وهم واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، والجبائي، وأبو هاشم، والنَّظَّام، وقد ظهرت هذه البدعة في آخر زمن الصحابة وجاء رجلان من الذين أنكروا على النفاة؛ فذكروا لعبد الله بن عمر قائلين أنَّه قد ظهر قِبَلَنا قومٌ يقرءون القرآن، ويتقفرون العلم، ويقولون لا قدر، فقال لهم عبد الله بن عمر أي قال للسائل: «إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريءٌ منهم، وأنَّهم برآء مني والذي نفسي بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبًا، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره».

الفئة الثانية: تقابل أهل هذا المذهب قومٌ أثبتوا القدر، وبالغوا فيه حتى

---

(٢٦٣) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في «فتح المجيد»: «أخرج أبو داود عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«القدرية مجوس هذه الأمة؛ إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»** وعن عمر مولى غُفْرة عن رجل من الأنصار عن حذيفة وهو ابن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوه؛ وهم شيعة الدجال، وحقٌّ على الله أن يلحقهم بالدجال»** اهـ رواه أبو داود في «السنن» (٤٦٩٢)، وأحمد في «المسند» (٥/٤٠٦، ٤٠٧) وغيرهما.

جعلوا الإنسان بمنزلة الحجر الذي يُدَهدَه أو الغصن الذي يحرك حتى قال قائلهم:

ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

وكلا الفريقين مبطلٌ، وظالم، وجاهل.

والحق أنَّ الله ﷻ قدر مقادير العباد قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء، وأنَّ أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، وأنَّ العباد لم يتجاوزوا ما قدر لهم إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر. ويجب أن نعلم أنَّ لله في عباده الحكمة البالغة، وأنَّ الله سبحانه لا يظلم أحدًا من خلقه، وأنَّ الله ﷻ جعل للعباد عقولًا، وأفهامًا، وأسماعًا، وأبصارًا، وألسنة، وجوارح، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل إليهم الكتب، ووعد بالجنة للمطيعين، والنار للعاصين، وأجرى ذلك على ألسنة رسله، وأنزله في كتبه، فمن كفر، فلله عليه الحجة، الله ﷻ يقول: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] والنبي ﷺ سأله عمر فقال: «أرأيت ما نعمل فيه؛ أمرٌ مبتدع أو مبتدأ أو أمرٌ قد فرغ منه؟ قال: **«أمرٌ قد فرغ منه، فاعمل يا ابن الخطاب؛ فإنَّ كلًّا ميسر؛ أمَّا من كان من أهل السعادة فإنَّه يعمل للسعادة، وأمَّا من كان من أهل الشقاوة فإنَّه يعمل للشقاء»** رواه أحمد(٢٦٤).

---

(٢٦٤) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد في «مسند المكثرين من الصحابة» [برقم إحياء التراث]: (٥٤٥٧) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبنحوه ورد عنه في رقم (١٩٧) و(٥١١٨) وورد بمثله عن ذي اللحية الكلابي برقم (١٦١٩٤) و(١٦١٩٥) في «مسند المدنيين»، وعن أبي بكر في «مسند العشرة المبشرين بالجنة» برقم ٢٠ وعن جابر بن عبد الله في «مسند المكثرين من الصحابة» برقم (١٣٧٠٢) بغير هذا اللفظ في (١٤١٩٠) وعن سراقة بن مالك في «مسند المكثرين من الصحابة» برقم (١٣٨٤٦) بنحو هذا اللفظ وكلها [بترقيم إحياء =

فالقدر سرٌّ من أسرار الله ﷻ يجب علينا أن نؤمن به؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩] وقال ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢] فيجب على كل مسلم أن يؤمن بقدر الله ﷻ، وفي المسند، وسنن أبي داود عن ابن الديلمي، واسمه عبد الله بن فيروز، ولفظ أبي داود كما قال ذلك صاحب فتح المجيد: «**لو أنَّ الله عذب أهل سماواته، وأهل أرضه، عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكان رحمته خيرًا لهم من أعمالهم ولو أنفقت مثل أحدٍ ذهبًا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار**» قال: فأتيت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال مثل ذلك، قال: ثمَّ أتيت حذيفة بن اليمان، فقال مثل ذلك قال: ثمَّ أتيت زيد ابن ثابت، قال: فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك» وأخرجه ابن ماجه اهـ.

ثمَّ اعلم أنَّ القدر قدَّره الله: «قال الإمام أحمد لما سئل عن القدر؛ قال: القدر قدره الرحمن واستحسن هذا ابن عقيل من أحمد رحمه الله تعالى، والمعنى: أنَّه لا يمتنع عن قدرة الله شيء، ونفاة القدر قد جحدوا كمال قدرة الله تعالى، فضلوا عن سواء السبيل، وقد قال بعض السلف: ناظروهم بالعلم؛ فإن أقروا به خصموا، وإن جحدوه كفروا اهـ.

والمهم أنَّ كلا الفريقين من أهل القدر: النافين؛ وهم الذين يقال لهم القدرية النفاة، والقدرية المجبرة؛ وهم الذين زعموا أنَّ العبد مجبورٌ على الكفر أو على المعاصي؛ كلهم مخطئون خطئًا فاحشًا، والحق ما ذهب إليه

= التراث]، وأورد نحوه أيضًا الإمام الترمذي في القدر، باب: ما جاء في الشقاء والسعادة وفي «تفسير القرآن»، باب: ومن سورة هود عن عمر وابن ماجه في المقدمة، باب: في القدر بغير هذا اللفظ عن سراقة رضي الله عنه وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» برقم (٢١٣٥) وابن ماجه برقم (٧٨).

سلف الأمة من الصحابة، والتابعين؛ وهو ما رواه عمر بن الخطاب، وغيره في حديث أركان الإيمان: «**وأن تؤمن بالقدر خيره وشره**» وما قرره عبد الله ابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت ﷺ «لو أن الله عذب أهل سماواته؛ وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم» قلت: معنى ذلك لعذبهم بحجة، والله قد نفى عن نفسه الظلم فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس: ٤٤] وقال سبحانه: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت: ٤٦]. وقال تعالى: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩] فَسِرْ أيها المسلم على هذا المبدأ، واسأل الله أن يوفقك إلى الحق، وأن يثبتك عليه حتى تلقاه. وبالله التوفيق



(٦٠) بابُ ما جاء في المصوِّرين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: ومَن أظلمُ ممن ذهب يخلقُ كخلقي، فليخلقوا ذرَّة، أو ليخلقوا حبةً، أو ليخلقوا شَعيرة**»(٢٦٥) أخرجاه.

ولهما عن عائشة رضي الله عنها؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة الذين يُضاهئون بخلق الله**»(٢٦٦).

ولهما عن ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل مصوِّر في النار، يُجعل له بكل صورةٍ صوَّرها نفسٌ يعذب بها في جهنم**»(٢٦٧).

ولهما عنه مرفوعًا: «**من صوَّر صورةً في الدنيا كُلِّف أنْ ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ**»(٢٦٨).

ولمسلم عن أبي الهيَّاج قال: قال لي عليٌّ: ألا أبعثُك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ «**أنْ لا تَدَعَ صورةً إلَّا طمَستها، ولا قَبْرًا مُشرِفًا إلَّا سوَّيته**»(٢٦٩).

---

(٢٦٥) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: اللباس، باب: نقض الصور، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان.

(٢٦٦) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: اللباس، باب: ما وطئ من التصاوير، والإمام مسلم في كتاب: اللباس، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان.

(٢٦٧) الحديث أخرجه البخاري في كتاب: البيوع، باب: بيع التصاوير، ومسلم في كتاب: اللباس، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان

(٢٦٨) أخرجه البخاري في كتاب: اللباس، باب: من لعن المصور، ومسلم في الموضع السابق.

(٢٦٩) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» في كتاب: الجنائز، باب: الأمر بتسوية القبر.

❁ فيه مسائل:

الأولى: التغليظ الشديد في المصورين.

الثانية: التنبيه على العلّة؛ وهو ترك الأدب مع الله؛ لقوله: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**».

الثالثة: التنبيه على قدرته وعجزهم؛ لقوله: «**فليخلقوا ذرة، أو حبّة، أو شعيرة**».

الرابعة: التصريح بأنهم أشدّ الناس عذابًا.

الخامسة: أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسًا يعذّب بها المصوِّر في جهنم.

السادسة: أنه يكلَّف أن ينفخ فيها الروح.

السابعة: الأمر بطمسها إذا وُجدت.

الشرح

باب ما جاء في المصورين أي من النهي، والزجر، والإخبار بما يلقونه من العذاب في البرزخ، ويوم القيامة.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة**» أخرجاه.

في هذا الحديث يخبر النبي ﷺ بما بلغه عن ربه بقوله قال الله تعالى: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**»:

أولًا: أنَّ هذا الحديث حديث قدسي؛ فإنَّ هذا وأمثاله مما يبلغنا به النبي ﷺ عن ربه بأنَّه كذا؛ فإنَّ هذا الحديث وأمثاله يقال له حديثٌ قدسيٌّ.

ثانيًا: يؤخذ من قوله: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**» الاستفهام هنا استفهام إنكاري أي لا أحد أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؛ أي كخلق الله ﷻ.

ثالثًا: يؤخذ من هذا تحريم التصوير وبشاعته؛ حيث إنَّه مضاهاةٌ لخلق الله تعالى، وذلك فيه من التشبه برب العزة ما يجعل هذا الذنب من أشد الذنوب.

رابعًا: يؤخذ من قوله: «**فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة**» المراد بالخلق هنا إيجاد ذرة فيها روح أو حبة أو شعيرة تؤكل، ويجد فيها الآكل ما يجد في الحبة الحقيقية والشعيرة الحقيقية؛ من الغذاء أو أنَّ التصوير هو جعل صورة مشابهة لصورة الله ﷻ، ولكن لا يقدرون أن يوجدوا فيها ماهية يكون لها نفعٌ كماهية الذرة الحقيقية؛ أو الحبة

الحقيقية، وإذا نظرنا في عناقيد العنب المصورة أو عناقيد الموز، نجد أنَّ هؤلاء الذين صوروا تلك الأشياء لا يستطيعون، ولا يستطيع أمثالهم بالملايين، والمليارات، ولو اجتمعت حكماء الجن والإنس، ومفكروهم، لما استطاعوا أن يوجدوا في عنقود العنب المصور ماهية العنب الحقيقي مهما كانت قدراتهم؛ فإنَّهم لا يستطيعون ذلك؛ بل لا يستطيعون أن يوجدوا في حبة واحدة الشيء الذي يوجده الله في ماهية العنب الحقيقي أو الموز الحقيقي، فما هي إلَّا الصورة يضاهئون بها، ولذلك فإنَّ الله ﷻ يعاقب من فعل ذلك بتكليفه؛ أي بتكليف المصور أن يوجد في ذات الروح روحًا وذات الماهية النافعة، ماهية نافعة، والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ [الحج: ٧٣]. فهو الخلاق العظيم، والقادر على كل ما يريده ﷻ.

أما حديث عائشة التي ذكره المؤلف بقوله: ولهما عن عائشة ﵂: **أنَّ** رسول الله ﷺ قال: «**أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله**».

المضاهاة: هي المشاكلة، والمشابهة، فالله ﷻ يخلق خلقًا حقيقيًّا، وهؤلاء يضاهئون بخلق الله، ويجعلون شيئًا يشابهون به خلق الله ﷻ؛ فلكونهم يفعلون ذلك؛ تشبهًا بالله الذي يخلق؛ فإنَّ نوع هذه المشابهة موجبةٌ لغضب الله عليهم؛ فلذلك كانوا أشد الناس عذابًا يوم القيامة؛ لكونهم يضاهئون بخلق الله؛ أي يجعلون للشيء شكلًا كشكل الخلق، كما قلنا في شرح الحديث السابق، لكنهم لا يوجِدُون فيه الحقيقة؛ التي خلق الله الشيء لها؛ سواءٌ كان مأكولًا أو غير مأكول، فالمأكول يوجد فيه لذةٌ، ونفعٌ يعود على العبد في صحته، وعقله، وسمعه وبصره، وقوته، لما حصلت منهم المشاكلة لخلق الله ﷻ عوقبوا أشد العقوبة، وعذبوا أشد

العذاب على كونهم يضاهئون بخلق الله، ويجعلون له شكلًا ادعاءً للمشاركة في الخالقية التي اختص الله بها.

وكذلك ما ورد في حديث ابن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل مصورٍ في النار يجعل له بكل صورةٍ صورها نفسٌ يعذب بها في جهنَّم**».

فالمصور لما صور الصورة على شكل ما خلقه الله؛ من إنسان أو بهيمةٍ أو شيءٍ من الأطعمة فإنَّه يعتبر قد ضاهى الله ﷻ؛ لهذا يجعل له بكل صورةٍ صورها نفسٌ يعذب بها.

ومثل ذلك في الحديث الرابع: ولهما عنه مرفوعًا: «**من صور صورةً في الدنيا كلِّف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ**».

كل هذه الأحاديث دالة على عقوبة من ضاهى خلق الله؛ وهو يعتبر نوعًا من الشرك، قال في فتح المجيد: «فإذا كان هذا فيمن صور صورة على مثال ما خلق الله تعالى؛ فكيف بحال من سوَّى المخلوق برب العالمين، وشبهه بخلقه، وصرف له شيئًا من العبادة؛ التي خلق الله الخلق ليعبدوه وحده بما لا يستحقه غيره من كل عمل يحبه الله من العبد ويرضاه؟» اهـ.

قلت ويشهد لهذا قول الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [أول سورة الأنعام] أي يعدلون به غيره، ويسوون الخلق به فيجعلون لهم نصيبًا من العبادة يشركونهم فيها مع الله.

ولذلك كان المشرك أشد عقوبةً؛ لأنَّه جعل شريكًا مع الله، وهذا هو نهاية ما يكون في الذنوب، فلذلك أوجب الله إحباط العمل، والخلود في النار، وحرمان الجنة؛ فالمشرك لا تغفر له سيئة، ولا تقبل منه حسنة: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] نعوذ بالله من ذلك.

ثمَّ الحديث الأخير: عن أبي الهياج قال: قال لي علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ «**ألا تدع صورةً إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلَّا سويته**».

قوله: «**ولا صورة إلَّا طمستها**» ومعنى طمستها أزلتها، ومن هذا يؤخذ: وجوب طمس الصور؛ لأنَّ فيها مضاهاةً لخلق بالله؛ لذلك أمر النبي ﷺ بطمسها؛ وهو إزالة معالمها.

كذلك قوله: «**ولا قبرًا مشرفًا إلَّا سويته**» في هذه الفقرة النهي عن رفع القبور؛ لأنَّ في رفعها ذريعةً إلى عبادتها، فلذلك نهي عن رفعها، ونهي عن البناء عليها، ونهي عن تشييدها ونهي عن إسراجها؛ كل ذلك محافظةً على التوحيد، وإمعانًا في إزالة الشرك، اللهم نسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العليا، أن تجعلنا من المؤمنين بك الموحدين لك، المخلصين لجلالك، القائمين بحق العبودية لربوبيتك، وأن تصرف عنَّا كل سبب من أسباب الشرك وذريعة من ذرائعه، وعملٍ من أعماله؛ إنَّك القادر على ذلك. وبالله التوفيق

ملحوظة:

ويؤخذ مما تقدم تحريم التصوير بجميع أنواعه؛ سواءٌ كان نقشًا باليد أو تصويرًا بالكاميرا أو غيرها من آلات التصوير، فكله حرام، ولا يستثنى من ذلك حبس الظل كما قاله بعض الفضلاء لأنَّ الأحاديث في ذلك عامة، فهي تعمُّ كل أنواع التصوير، وأشدُّ التصوير ما كان فيه حركة وكلام، ودونه ما كان فيه الصورة بدون حركة، ولا كلام، فكلها متوعدٌ فاعلها بالعذاب الذي ورد في النصوص.

وهل يجوز تصوير الشجر، والجبال، وما لا روح فيه؟ هذا محل نظر، فمن أهل العلم من أجازه بناءً على قول ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لذلك المصور

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل مصور في النار يجعل له بكل صور صورها نفسًا فتعذبه في جهنَّم، فإن كنت لا بد فاعلًا فاصنع الشجر، وما لا نفس له**»(٢٧٠) ومن أهل العلم من منع ذلك، واستدل بالحديث الذي سبق ذكره وهو حديثٌ متفقٌ عليه: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة**» الحديث فقالوا: أنَّ الحبة، والشعيرة لا روح فيها، وقد نهى النبي ﷺ عن تصويرها، وجعله مضاهاةً لخلق الله (تعالى).

وأمَّا فعل التصوير فلا يجوز، وأمَّا حمل الصورة، وطلبها، وأخذها إذا اضطر إليها؛ فإنَّ ذلك يجوز للضرورة؛ التي يلجؤ إليها النظام كصورة البطاقة، والرخصة، والجواز، وما إلى ذلك فيعفى عمَّا كان كذلك للضرورة الملحة في أخذه في حقِّ الآخذين. وبالله التوفيق

---

(٢٧٠) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتًا فيه صورة ولا كلب، وبنحوه عند البخاري في كتاب: «اللباس» وقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ . قال النبي ﷺ: «**كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة**» وقال ابن عباس: كل ما شئت والبس واشرب ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف أو مخيلة»، باب: عذاب المصورين يوم القيامة.

(٦١) بابُ ما جاء في كثرة الحَلِف

وقولِ الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوٓا أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**الحلِفُ منْفَقةٌ للسِّلعة، ممحقةٌ للكسب**»(٢٧١). أخرجاه.

وعن سلمان الفارسي؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثةٌ لا يكلِّمهم الله، ولا يزكِّيهم، ولهم عذابٌ أليم: أُشَيْمِطٌ زانٍ، وعائلٌ مستكبرٌ، ورجلٌ جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه**». رواه الطبرانيُّ بسند صحيح(٢٧٢).

وفي «الصحيح» عن عمرانَ بن حُصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيرُ أُمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**- قال عمران: فلا أدري، أذكرَ بعد قرنه مرَّتين أو ثلاثًا؟ -، **ثم إنَّ بعدكم قومٌ يشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمَن**»(٢٧٣).

وفيه عن ابن مسعود؛ أنَّ النبي ﷺ قال: «**خيرُ الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قومٌ تسبق شهادةُ أحدهم يمينَه، ويمينُه**

---

(٢٧١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: البيوع، باب: يمحق الله الربا، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: المساقاة، باب: النهي عن الحلف في البيع.

(٢٧٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» في (ج٦/ ٢٤٦) برقم (٦١١١) وفي «المعجم الصغير» في (ج٢/ ٨٢) برقم الحديث (٨٢١) وفي «المعجم الأوسط» في (ج٥/ ٣٦٧) برقم الحديث (٥٥٧٧) إلَّا أنَّه جاء بلفظ: «أشمطُ زانٍ».

(٢٧٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم.

شهادَته».

وقال إبراهيمُ: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد، ونحنُ صغار(٢٧٤).

فيه مسائل:

الأولى: الوصية بحفظ الأَيمان.

الثانية: الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة.

الثالثة: الوعيد الشديد فيمنْ لا يبيع إلَّا بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه.

الرابعة: التنبيه على أن الذنب يَعظُم مع قلّة الداعي.

الخامسة: ذمُّ الذين يحلفون ولا يُستَحلَفون.

السادسة: ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة، وذكر ما يحدث بعدهم.

السابعة: ذم الذين يشهدون ولا يُستشهدون.

الثامنة: كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.

---

(٢٧٤) أخرجه أيضا الإمام البخاري في كتاب: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور، وفي كتاب: فضائل الصحابة برقم الحديث (٣٦٥١) وفي كتاب: الرقاق برقم (٦٤٢٩) وفي كتاب: الأيمان برقم (٦٦٥٨) وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذي يلونهم.

الشرح

الكلام على الباب، وعلاقته بكتاب التوحيد، أقول علاقة هذا الباب بكتاب التوحيد أنَّه لا ينبغي للمسلم كثرة الحلف، حتى ولو كان صادقًا؛ لأنَّ ذلك يؤدي إلى امتهان اسم الله تعالى، فربما أنَّه إذا أكثر الحلف يحنث في بعض أيمانه أو كثيرًا منها، فلا يكفِّر، ويكون ذلك من امتهان اسم الله تعالى، وعدم التعظيم لجلاله.

أمَّا قوله تعالى: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ فإنَّ معناه لا تكثروا من اليمين، فيؤدي ذلك منكم إلى الحنْث في الأيمان، وعدم تكفيرها، ويكون ذلك مؤديًا إلى الاستخفاف بالأيمان، وذلك ينافي كمال التوحيد.

أمَّا حديث أبي هريرة رضي الله عنه ففيه أنَّ الحلف على الكذب مذموم؛ العلة يكون فيه منفقة للسلعة لكنَّه يكون مَمحَقة للكسب؛ لأنَّ الحالف أنفق سلعته بيمين كاذبة، وكان كسبه ممحوقًا من أجل ذلك، وفيه كراهة كثرة الأيمان، وبالأخص في البيع والشراء.

أمَّا حديث سلمان رضي الله عنه ففيه الذم لثلاثة، وأنَّهم: «**لا يكلمهم الله**» أي يوم القيامة «**ولا يزكيهم**» أي لا يطهرهم من الذنوب «**ولهم عذابٌ أليم**» أليم بمعنى مؤلم «**أشيمط زان**» المراد به: الرجل الطاعن في السن؛ وهو مع ذلك يقارف جريمة الزنا «**وعائلٌ مستكبر**» المراد بالعائل: الفقير وهو مع ذلك مستكبر؛ أي مع فقره فهو مستكبر ومتعال على الناس، وكان من حقِّه يتواضع «**ورجلٌ جعل الله بضاعته لا يشتري إلَّا بيمينه ولا يبيع إلَّا بيمينه**» فيه دليلٌ على فظاعة جرم هؤلاء الثلاثة، فالأشيمط الذي قد وضح الشيب في رأسه أكثر؛ وهو مع ذلك يستخف بجريمة الزنا، ويواقعها، هذا دليلٌ على خسة النفس، ودناءتها، واستخفافها بالمعاصي والثالث: من جعل الله

بضاعته فكأنَّه جعل اليمين سلعة لا يبيع، ولا يشتري إلّا بيمينه، وهذا استخفافٌ بعظمه الله، وقلة احترامه له، ومن لا يكلمه الله ولا ينظر إليه، ولا يزكيه؛ فإنَّه سيناله العذاب الأليم؛ الذي أعدَّه الله لمن يستخف بمعاصيه ويقارفها غير مبالٍ بما يترتب على ذلك من غضب الله، وأليم عقابه.

أمَّا حديث عمران بن حصين، وحديث ابن مسعود رضي الله عنه في خير القرون، وكلاهما في الصحيحين فقد ذكر في حديث عمران بن حصين: ثلاثة قرون، وشك في الرابع، وفي حديث ابن مسعود ذكر أربعة قرون حيث قال النبي ﷺ: «**خير الناس قرني، ثمَّ الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم**» والقرن يطلق تارةً ويراد به مائة سنة، ويطلق تارةً أخرى ويراد به الجماعة؛ الذين يشتركون في زمن، وحمله على الجماعة الذين يشتركون في زمن لعلَّه هو الأولى، وإذا قلنا بهذا؛ فإنَّ الثلاثة القرون قد انقضت بمائتين وعشرة؛ لأنَّ النبي ﷺ قال: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك**»[٢٧٥] فإذا كان قرن له سبعون سنة؛ فإنَّ

---

(٢٧٥) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في «صحيحه»، باب: ذكر الأخبار عن وصف العدد في (ج٧/ ٢٤٦) رقم (٢٩٨٠) وفي «المستدرك على الصحيحين» برقم الحديث (٣٥٩٨) في (ج٢/ ٤٦٣) وأخرجه الترمذي في باب: ما جاء في فناء أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين برقم الحديث (٢٣) في (ج٤/ ٥٦٦) وفي (ج٥/ ٥٥٣)، باب: في دعاء النبي ﷺ، وأخرجه ابن ماجه في باب: الأمل والأجل في (ج٢/ ١٤١٥) برقم الحديث (٤٢٣٦)، وأخرج في «سنن البيهقي»، باب: من بلغ سنُّه ستين سنة فقد أعذر الله إليه برقم الحديث (٦٣١٤) في (ج٣/ ٣٧٠)، وفي مسند أبي يعلى في (ج١٠م٣٩٠) برقم الحديث (٥٩٩٠)، وفي «المعجم الأوسط» في (ج٦/ ٨٥)، باب: من اسمه محمد، وفي «مسند الشهاب» في (ج١/ ١٧٢) برقم الحديث (٢٥٠) وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (ج١/ ٢٤٣) برقم الحديث (١٠٧٣) وأما رواية: «معترك المنايا بين الستين إلى السبعين» فقد أخرجها أبو يعلى في «مسنده» في (ج١١/ ٤٢٢) برقم الحديث (٦٥٤٣) والحديث بروايتيه رواه الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه.

القرن الثالث ينتهي عند المائتين وعشر سنين، وبعد المائتين وعشر حدث في الأمة ما حدث، فقد كان الولاة يقتلون الزنادقة؛ والذين يخرجون على الأمة الإسلامية بالبدع، فقد ضحى خالد القسري بالجعد بن درهم، وهكذا من بعده من الولاة، قتلوا كثيرًا من المبتدعة ولما تولى المأمون، وخدع بقبول آراء المعتزلة، وحمل الناس على القول بخلق القرآن؛ تغيرت الحال وصارت الأمة من ضعف إلى ضعف، وجاء تحقيق قول النبي ﷺ: «**فإنَّه لا يأتي عليكم زمانٌ إلَّا الذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم**»(٢٧٦) فالنقص في التزام عموم أمَّة محمد ﷺ بالدين حصل كثيرًا بعد القرون الثلاثة، ولهذا جاء في حديث عمران بن حصين «**ثمَّ إنَّ بعدكم قومٌ يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن**».

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «**ثمَّ يجيء قومٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**» وكلاهما دل على تغير الأنفس، وقلة اصطباغها بالدين، بحيث إنَّ ذلك يضعف في نفوسهم، وهذا ما يشاهد في الكثرة الكاثرة؛ من انتشار الخيانات، وضعف الأمانات، وقلة الالتزام بالأوامر الشرعية، وما ذلك إلَّا لضعف الإيمان في النفوس، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

فينبغي لك يا عبد الله أن تحرص على المتابعة، والامتثال لأوامر الله.

قوله: «**قومٌ يشهدون ولا يستشهدون**» لاستخفافهم بأمر الشارع وعدم تحليهم بالصدق بل قد جعلت الشهادة مرتبطة بالدفع عن القرابة،

---

(٢٧٦) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: الفتن، باب: لا يأتي زمانٌ إلَّا الذي بعده شرٌّ منه بلفظ: عن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج فقال: اصبروا؛ فإنَّه لا يأتي زمانٌ إلَّا الذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ اهـ.

والأصدقاء؛ فإن كانت عليهم فإنهم يمنعون أداءها، وكم رأينا من هذا القبيل؛ نسأل الله السلامة، والتوفيق. وبالله التوفيق

(٦٢) بابُ
ما جاء في ذمَّة الله وذمَّةِ نبيِّه

وقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ الآية [النحل: ٩١].

وعن بُريدة قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سريَّة أوصاه في خاصَّته بتقوى الله[٢٧٧]، ومن معه من المسلمين خيرًا؛ فقال: «**اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تَغلُّوا ولا تغدِروا، ولا تُمثِّلوا، ولا تقتلوا وليدًا. وإذا لقيتَ عدوَّك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال** - أو: **خلال** -، **فأيَّتهُن ما أجابوك فاقبل منهم، وكُفَّ عنهم. ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعهم إلى التحوّل من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين. فإن أبوا أن يتحوَّلوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين؛ يجري عليهم حكمُ الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلَّا أن يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإنْ هم أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.**

---

(٢٧٧) وفي رواية أبي داود في «سننه» في (ج٣/ ٣٧) برقم (٢٦١٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» في (ج٩/ ٩٧) برقم (١٧٩٦٥) و(١٨٤١١): «أوصاه بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين».

وإذا حاصرت أهل حصنٍ، فأرادوك أنْ تجعل لهم ذمَّة الله وذمَّة نبيه[٢٧٨]، فلا تجعل لهم ذمَّةَ الله وذمةَ نبيه، ولكن اجعل لهم ذمَّتَك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهونُ من أن تخفروا ذمَّة الله وذمة نبيه. وإذا حاصرت أهل حصن[٢٧٩]، فأرادوك أن تُنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيبُ فيهم حُكمَ الله أم لا؟»[٢٨٠]. رواه مسلم.

فيه مسائل:

الأولى: الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه، وذمة المسلمين.

الثانية: الإرشاد إلى أقلّ الأمرين خطرًا.

الثالثة: قوله: **«اغزوا بسم الله في سبيل الله»**.

الرابعة: قوله: **«قاتلوا من كفر بالله»**.

الخامسة: قوله: **«استعن بالله وقاتلهم»**.

السادسة: الفرق بين حُكم الله وحكم العلماء.

السابعة: في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق

---

(٢٧٨) وفي رواية مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها: **«فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل ذمتك وذمة أصحابك»**.

(٢٧٩) وفي رواية مسلم السابقة: **«فلا تنزلهم على حكم الله»**.

(٢٨٠) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، وأخرجه أيضًا الترمذي برقم (١٦١٧) وابن ماجه برقم (٢٨٥٨) والبيهقي في «السنن الكبرى» برقم (٨٧٦٥) و(٨٧٨٢).

حكم الله أم لا؟

الشرح

فقوله: باب ما جاء في ذمة الله وذمة رسوله أي من النهي عن إخفار ذمة الله وذمة نبيه، وأن نحتاط لذلك.

وقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ وهذا مما يأمر الله تعالى به؛ وهو الوفاء بالعهود، والمواثيق، والمحافظة على الأيمان المؤكدة، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ ولا تعارض بين هذا، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ وبين قوله: ﴿ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أي لا تتركوها بلا تكفير» اهـ وأقول: إنَّ هذه الآيات لا يعارض بعضها بعضًا، فقد أمر الله ﷻ بالوفاء بالعقود، والعهود، فقال تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ﴾ وقال جل من قائل: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ أي أوفوا بما عاقدتم عليه الناس كالعقود التي أمر الله بالوفاء بها، وأوفوا بما عاهدتم عليه؛ سواء كان العهد لله أو من المخلوقين، وأوفوا بأيمانكم المؤكدة؛ التي عقدتم قلوبكم عليها، وأقلوا من الحلف بالله ﷻ حتى لا يكون ذلك امتهانًا منكم لاسمه، فإن حلفتم على شيء بيمين لم تعقدوها؛ بل جرت على ألسنتكم؛ فإنَّه يجب عليكم ألا تكفروه؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ إلى أن قال: ﴿ذَٰلِكَ

كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾.

وقد تبين من هذا أولًا: أنَّ لغو اليمين لا يؤاخذ الله به، ولم يشرع فيه الكفارة؛ وهو ما جرى على اللسان من غير عقد للقلب عليه.

ثانيًا: اليمين المعقود عليها في المستقبل؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ فهذه يلزم الوفاء بها؛ إذا كان المحلوف عليه طاعة؛ أو مباحًا وكان في المستقبل؛ أي في الأمور الآتية:

أولًا: إذا عقدت اليمين على فعل شيء معصيةً لله؛ فإنَّه لا يجب الوفاء بهذا اليمين، ولا كفارة فيها على القول الأصح.

ثانيا: إذا كانت اليمين معقودةً على فعل شيء في المستقبل، ولم يتمكن العاقد من فعله؛ وهو من الطاعة أو المباح، فهذه التي تلزم فيها الكفارة.

ثالثًا: من لزمته كفارة في يمين، ولم يكفرها؛ فهو آثم، وفعله معصية من المعاصي.

رابعًا: إذا حلف على شيءٍ مما مضى وهو كاذبٌ في يمينه، فهذه اليمين لا تشرع فيه الكفارة والحالف مستحقٌّ للعقوبة فيها؛ وهي التي تسمَّى اليمين الغموس.

خامسًا: اختلف أهل العلم في العهد إذا كان عازمًا فيه على الوفاء ولم يتمكن، فهل تلزمه كفارة في ذلك أم لا؟

سادسًا: يؤخذ من هذا أنَّ الغدر بالعهود من الأمور المحرمة أشد التحريم.

وعن بريدة رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله ﷺ** إذا أمرَّ أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، من معه من المسلمين خيرًا، فقال: «**اغزوا بسم الله**...» الحديث.

يؤخذ من هذا الحديث مسائل:

الأولى: أنَّه مما يجب على الإمام أن يوصي به أمير الجيش أو أمير السرية ومن معه تقوى الله.

ثانيا: يوصيه أيضًا بحسن التصرف، والرفق بمن تحت يده؛ لقوله: «**أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا**».

ثالثًا: يوصيه، ومن معه بوصية النبي ﷺ: «**اغزوا بسم الله في سبيل الله**».

رابعًا: في قوله ﷺ: «**اغزوا بسم الله في سبيل الله**» أمرٌ بإخلاص النية، وأن تكون النية أي نية القتال؛ أن يكون ذلك في سبيل الله؛ لا لغرض من أغراض الدنيا؛ كامتلاك الأراضي؛ أو غلب القوم الذين يغزونهم؛ أو الحصول على الغنائم؛ كل ذلك لا يجوز أن يكون من مقاصد المجاهدين.

خامسًا: في قوله ﷺ: «**قاتلوا من كفر بالله**» أمرٌ بقتال الكفار؛ سواءٌ كانوا مشركين أو ملحدين أو أهل كتاب، وكلٌّ منهم قد ورد فيه ما يدل على قتالهم حتى يذعنوا للحق قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة:٣٦] وقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة: ٢٩].

سادسًا: يؤخذ من قوله ﷺ: «**اغزوا، ولا تغلُّوا**» أمر بالغزو، ونهيٌ عن الغلول؛ وهو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها.

سابعًا: قوله ﷺ: «**ولا تغدروا**» نهي عن الغدر، والغدر هو الخيانة؛ وهو الانطواء على شيءٍ من الخيانة التي لا تجوز.

ثامنًا: أنَّ من الغدر ما يفعله أصحاب العمليات الانتحارية؛ وهو أن يأتي الشخص بسيارة مفخخة، ويفجرها في نفسه، وفي قوم غافلين ليس عندهم علم عن القتال، وأنَّ هذه العمليات من أعظم الغدر؛ من وسائل الإرهاب، وأنَّها لا تجوز، ومن أجازها ممن يفتون هؤلاء فإنَّه قد ارتكب خطئًا عظيمًا، وإثمًا كبيرًا.

تاسعًا: يؤخذ من قوله: «**ولا تمثلوا**»التمثيل هو قطع الأطراف والتشويه لمن قتل وهذا لا يجوز وقد اختلف أهل العلم فيمن مثَّل هو في قتله هل يمثل به في القصاص أم أنَّ النهي عن التمثيل كان بعد قتل المحاربين، وسمل أعينهم؟ فإن كان كذلك فإنَّ التمثيل في القصاص يكون منسوخًا.

عاشرًا: يؤخذ من قوله ﷺ: «**ولا تقتلوا وليدًا**» وفي رواية: «**ولا امرأة**» وقد نهى عن قتل الشيوخ الكبار الذين لا يقاتلون، والرهبان المنقطعين للعبادة، وأنَّ العمليات الانتحارية تستهدف النساء، والأطفال، ولا تبقي أحدًا، فهي منكرٌ من المناكر، التي يجب إنكارها.

الحادي عشر: قوله ﷺ: «**وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهنَّ ما أجابوك، فاقبل منهم، وكفَّ عنهم**» وقد فصل هذه الثلاث فيما يأتي:

وهي أولًا: الدعوة إلى الإسلام فإن أجابوا إلى ذلك وجب على قائد الجيش القبول منهم والكف عن قتالهم.

ثانيًا: دعوتهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وهذه قد انتهت في زمن الفتح حينما استولى صلوات الله وسلامه عليه على مكة، وقال: «**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهادٌ ونية**»[٢٨١] .

---

(٢٨١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل الجهاد والسير =

ثالثًا: فإن هم أبوا فيسألهم الجزية أي إذا أبوا أن يقبلوا الإسلام فاطلب منهم الجزية «**فإنَّ هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنه**» أي إذا أعطوا الجزية «**فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم**».

الثاني عشر: قوله ﷺ: «**إذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله، وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله، وذمة نبيه، ولكن اجعل له ذمتك، وذمة أصحابك، فإنَّكم أن تخفروا ذممكم، وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله، وذمة نبيه**».

الثالث عشر: قوله ﷺ: «**وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك على أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك فإنَّك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا؟**».

الرابع عشر: ويؤخذ من المسألة الأخيرة أيضًا كما قال المصنف، الفرق بين حكم الله وحكم العلماء، ومعنى ذلك أنَّ حكم العلماء اجتهادٌ قد يصيب حكم الله أو لا يصيب. وبالله التوفيق

= وفي باب: وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية، وأخرجه أيضًا الإمام مسلم في كتاب: الإمارة، باب: المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير.

(٦٣) بابُ
ما جاء في الإِقسام على الله

عن جُندب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال رجلٌ: والله لا يغفر الله لفلان! فقال الله ﷻ: من ذا الذي يتألَّى عليَّ أنْ لا أغفرَ لفلان؟ إني قد غفرتُ له، وأحبطتُ عملَك»**(٢٨٢). رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة: أنَّ القائل رجلٌ عابد.

قال أبو هريرة: تكلَّم بكلمة، أوبقت دنياه وآخرته(٢٨٣).

۞ فيه مسائل:

الأولى: التحذير من التألِّي على الله.

الثانية: كون النار أقرب إلى أحدنا من شِراك نعله.

الثالثة: أن الجنة مثل ذلك.

الرابعة: فيه شاهد لقوله: **«إن الرجل ليتكلم بالكلمة...»** إلى آخره.

---

(٢٨٢) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب: البر والصلة، باب: النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله.

(٢٨٣) الأثر أورده الإمام ابن حبان في «صحيحه» في (ج١٣/ ٢٠) برقم الحديث (٥٧١٢) وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» في (ج٢/ ٣٢٣) برقم (٨٢٧٥) والإمام أبو داود في «سننه» في (ج٤/ ٢٧٥) برقم (٤٩٠١) وورد في كتاب: «حسن الظن بالله» لعبد الله بن محمد أبي بكر القرشي في (ج١/ ٥٤) حديث رقم (٤٥).

الخامسة: أن الرجل قد يُغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه.

الشرح

الأقسام على الله ربما يكون تجرًأ على حقه ﷻ، وحينئذ يكون فيه تجرأٌ على مقام الربوبية؛ إذ إنَّ الله سحبانه وتعالى لا يستطيع أحدٌ أن يفرض عليه شيئًا؛ لأنَّه هو رب كل شيء، ومالكه.

فمن حلف أنَّ الله لا يغفر لفلان؛ فإنَّه قد تجرأ على مقام الألوهية، وظنَّ أنَّ الأمر في ذلك سهلٌ، وكأنَّه أراد أن يفرض على مقام الربوبية ما يشاء، فلذلك غضب الله عليه، فأحبط عمله وغفر لذلك الفاسق، فالله سبحانه وتعالى لا يتعاظمه ذنب، ولا ينبغي للعبد أن يتجرأ على مقام الألوهية بمثل هذا التألي.

فمن هنا جاءت مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد، وقد يأتي الإقسام مبني على الرجاء، ومن ذلك حديث محمد بن عبد الله الأنصاري؛ قال: حدثني حميدٌ أنَّ أنسًا حدثهم أنَّ الرُّبيِّع؛ وهي ابنة النضر كسرت ثنية جارية، فطلبوا الأرش، وطلبوا العفو، فأبوا، فأتوا النبي ﷺ فأمرهم بالقصاص، فقال: أنس بن النضر: أتكسر ثنية الربيِّع يا رسول الله؟!! لا؛ والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها، فقال يا أنس: كتاب الله القصاص، فرضي القوم، وعفوا، فقال النبي ﷺ: «**إنَّ من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرَّه**» زاد الفزاري عن حميد عن أنس: فرضي القوم، وقبلوا الأرش»[٢٨٤].

---

(٢٨٤) الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب: «الصلح»، باب: الصلح في الدية، =

وقد كان من السلف من يطلب منه أن يقسم على الله أن يمنح المجاهدين رقاب العدو، فيحقق الله لهم ما أرادوا؛ إمَّا أن يكون ذلك بدعاء: «**اللهم امنحنا رقابهم**» وإمَّا أن يكون بطريق الإقسام، والفارق بين الأمرين:

الأمر الأول: أنَّ الإقسام على الله ألَّا يفعل كذا على سبيل التحقيق لا يجوز؛ لكونه فيه استخفاف بمقام الألوهية.

والأمر الثاني المباح: إذا كان المقسم راجيًا من الله أن يحقق له ما يريد، وكان من أهل القربة إلى الله سبحانه وتعالى.

فهذا الحديث حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه صحَّ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بأطول من هذا كما نقله صاحب فتح المجيد من شرح السنة للبغوي، قال: «وساق بالسند إلى عكرمة بن عمار قال: دخلت مسجد المدينة، فناداني شيخ، فقال: يا يماميُّ تعال، وما أعرفه، قال: لا تقولنَّ لرجل: والله لا يغفر الله لك أبدًا، ولا يدخلك الجنة، قلت: ومن أنت يرحمك الله؟ قال أبو هريرة رضي الله عنه قال: فقلت: إنَّ هذه كلمة يقولها أحدنا لأهله إذا غضب أو لزوجته أو لخادمه قال: فإني سمعت رسول ﷺ يقول: «**إنَّ رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين؛ أحدهما مجتهدٌ في العبادة، والآخر كأنَّه يقول مذنب، فجعل يقول: أقصرْ عما أنت فيه؟**

قال: فيقول: خلني وربي، حتى وجده يومًا على ذنب استعظمه، فقال: أقصر، فقال: خلني وربي، أبعثت عليَّ رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، ولا

= أخرجه بنحوه في كتاب: الجهاد والسير، باب: قول الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ...﴾ وفي كتاب: تفسير القرآن، باب: قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ وفي باب: قول الله تعالى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: إثبات القصاص في الأسنان وما في معناها.

يدخلك الجنة أبدًا، قال: فبعث الله إليهما ملكًا، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عنده، فقال للمذنب: ادخل الجنة برحمتي وقال للآخر: أتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي؟ قال: لا يارب؛ قال: اذهبوا به إلى النار» قال أبو هريرة ﷺ: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته، وعزاه إلى أبي داود في سننه مختصرًا.

ويؤخذ من هذا:

١- أنَّه لا يجوز الإقسام على الله أنَّه لا يغفر لفلان؛ إذ إنَّ الله قد أخبر أنَّ رحمته سبقت غضبه كما جاء في الحديث القدسي: «**إنَّ الله لمَّا قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه: إنَّ رحمتي سبقت غضبي**»(٢٨٥).

٢- يؤخذ منه أنَّه لا يجوز لنا أن نحكم على أحد بجنة، ولا نار من خلال الأعمال، ولكن نقول من مات على الكفر دخل النار، ومن مات على الشرك الأكبر أو النفاق دخل النار ومن مات على فسق، وعنده أصل الإسلام والتوحيد؛ فهو بين الرجاء والخوف؛ وهو تحت مشيئة الله؛ إن شاء غفر له، وأدخله الجنة بلا عذاب، وإن شاء عذبه بقدر جنايته، ثم أدخله الجنة.

٣- يؤخذ منه أنَّه لا يجوز الاعتراض على الله في ملكه.

---

(٢٨٥) الحديث أخرجه الإمام البخاري بهذا اللفظ في كتاب: التوحيد باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ من حديث أبي هريرة ﷺ وفي باب: قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ وفي باب: قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله وأنَّها سبقت غضبه من حديث أبي هريرة ﷺ وجاء الحديث أيضًا بلفظ: «**إنَّ رحمتي تغلب غضبي**» ووردت عند البخاري في كتاب: بدء الخلق برقم (٣١٩٤) وفي كتاب: «التوحيد» برقم (٧٤٠٤) ومسلم في كتاب: التوبة برقم (٢٧٥٠) و(٢٧٥١).

٤- أنَّ الجنة والنار كلًّا منهما أدنى إلى أحدنا من شراك نعله، أسأل الله أن يختم لنا بخير.

٥- يؤخذ منه أنَّه لا ينبغي للعاقل أن يستخف بالكلام؛ فربما أنَّ كلمة أوبقته، ودخل بسببها النار وقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**»(٢٨٦). نسأل الله أن يختم لنا بخير. وبالله التوفيق



(٢٨٦) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب: الزهد، باب: يتكلم بالكلمة يهوي بها في النار، وفي نسخة، باب؛ حفظ اللسان من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٦٤) بابٌ
لا يُستشفع بالله على خلقه

عن جُبير بن مُطعِم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! نُهِكَت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموالُ، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النبي ﷺ: **«سُبحان الله! سبحان الله!»**، فما زال يُسبِّح، حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: **«ويحك! أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظمُ من ذلك، إنه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه»**. وذكر الحديث. رواه أبو داود(٢٨٧).

فيه مسائل:

الأولى: إنكاره على من قال: «نستشفع بالله عليك».

الثانية: تَغَيُّرُهُ تَغيُّرًا عُرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة.

الثالثة: أنه لم يُنكر عليه قوله: «نستشفع بك على الله».

الرابعة: التنبيه على تفسير: **«سبحان الله»**.

الخامسة: أن المسلمين يسألونه الاستسقاء.

---

(٢٨٧) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في كتاب: السنة، باب: في الجهمية، وأخرجه أيضًا الإمام الطبراني في «المعجم الكبير» في (ج٢/١٢٨) برقم الحديث (١٥٤٧).

الشرح

تمام الحديث: «**ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه؛ شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله؟! إنَّ عرشه على سماواته لهكذا، وقال بأصابعه مثل القبة عليه، وإنَّه ليئط به أطيط الرحل بالراكب**» قال عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد: «قال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن عنده في الرد على الجهمية من حديث محمد بن إسحاق بن يسار قوله: «**ويحك إنَّه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه**»، فإنَّه تعالى رب كل شيء، ومليكه، والخير كله بيده، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا راد لما قضى، وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات، ولا في الأرض؛ إنَّه كان عليمًا قديرًا؛ إنَّما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون، والخلق وما في أيديهم ملكه، يتصرف فيه كيف يشاء، وهو الذي يشفع الشافع إليه، ولهذا أنكر على الأعرابي قوله هذا، وسبَّح الله كثيرًا، وعظَّمه؛ لأنَّ هذا القول لا يليق بالخالق سبحانه وبحمده؛ إن شأن الله أعظم من ذلك» اهـ.

وفي هذا الحديث:

أولًا: إثبات علو الله على خلقه.

ثانيًا: أنَّه مستوٍ على عرشه.

ثالثًا: أنَّ عرشه فوق سماواته.

رابعًا: أنَّ الله في العلو؛ إذ السماء ما علا، وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦] دليل على ذلك.

خامسًا: يعلم من هذا ضلال من يقولون: أنَّ الله لا فوق العرش، ولا

تحته، ولا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل به، ولا منفصل عنه، وضلال من يقولك أنَّ الله في كل مكان.

سادسًا: أنَّ النبي ﷺ وصف العرش فوق السموات بأنَّه عليه كالقبة حتى وصف ذلك بكفه.

سابعًا: أنَّ هذا القول وهو الاستشفاع بالله على خلقه قولٌ باطل، لا يجوز لأحد أن يقوله، فالله مالك الخلق، وما ملكوا، وإنَّما يستشفع العبد الضعيف إلى من يملك الأشياء، أمَّا مالك الأشياء فإنَّه لا يجوز أن يقال في حقه إنَّا نستشفع بالله على فلان، فهل يصح في عقل عاقل أن يستشفع بمن يملك إلى من هو مملوكٌ له هو وكل ما ملكه.

ثامنًا: وهذا هو الذي أثار غضب رسول الله ﷺ أي يقال في حق من تعنو له رقاب الجبابرة وتذل له، ولعزته عظماء الخلق، فهل يعقل في حقه أن يقال بأنَّه يستشفع على خلقه؟! الجواب: لا، فشأن الله عظيم كما قال رسول الله ﷺ: **«شأن الله أعظم من ذلك»**. وبالله التوفيق



(٦٥) بابُ ما جاء في حماية النبي ﷺ حِمى التوحيد، وسدِّه طُرقَ الشرك

عن عبدالله بن الشخِّير رضي الله عنه قال: انطلقتُ في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: أنت سيِّدُنا. فقال: «**السيِّدُ الله تبارك وتعالى**». قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طَوْلًا. فقال: «**قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجْرينَّكم الشيطان**». رواه أبو داود بسندٍ جيد(٢٨٨).

وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ ناسًا قالوا: يا رسول الله! يا خيرَنا وابنَ خيرنا، وسيدَنا وابن سيدنا! فقال: «**يا أيها الناس! قولوا بقولكم، ولا يستهوينَّكم الشيطان، أنا محمدٌ عبد الله ورسوله، ما أُحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل**». رواه النسائي بسندٍ جيد(٢٨٩).

---

(٢٨٨) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في كتاب: الأدب، باب: في كراهية التمادح، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» في (ج٤/ ٢٤) برقم الحديث (١٦٣٥٠) و(١٦٣٥٩) وأخرجه الإمام البيهقي في «السنن الكبرى» في (ج٦/ ٧٠) برقم الحديث (١٠٠٧٦) وبنحوه أيضا في «السنن الكبرى» برقم (١٠٠٧٤) وأخرجه الإمام البخاري في «الأدب المفرد» في (ج١/ ٨٣) برقم الحديث (٢١١).

(٢٨٩) أخرجه الإمام النسائي في «السنن الكبرى» في (ج٦/ ٧١) برقم الحديث (١٠٠٧٨) والإمام أحمد في (ج٣/ ١٥٣) برقم (١٢٥٧٣) وعبد بن حميد في «مسنده» في (١/ ٣٩٠) برقم (١٣٠٩، ١٣٣٧) وابن الجعد في «مسنده» (ج١/ ٤٧٣) برقم الحديث (٣٢٩٠) وقال الدكتور الوليد آل فريان على «فتح المجيد» (ج٢/ ٨٣٥) الحديث: أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٢٤٨، ٢٤٩) اهـ.

فيه مسائل:

الأولى: تحذير الناس من الغُلوِّ.

الثانية: ما ينبغي أن يقول من قيل له: أنت سيدنا.

الثالثة: قوله: «**لا يستجرينكم الشيطان**»، مع أنهم لم يقولوا إلَّا الحق.

الرابعة: قوله: «**ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي**».



الشرح

وأقول: إنَّ الأولى أن يقال وسده الطرق الموصلة إلى الشرك.

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: «انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا؛ فقال: **السيد الله تبارك وتعالى**» الحديث.

قوله: «أنت سيدنا» السيد عند العرب هو المطاع في القبيلة المتبع فيها.

فقال ﷺ: «**السيد الله تبارك وتعالى**» هذا من النبي ﷺ تواضعٌ؛ وهو من الهضم لنفسه، وإلَّا فهو سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر.

قوله: «**وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا**» الطول هو السيادة، والكرم، وهذه كلها لائقةٌ بالنبي ﷺ لكنه صلوات الله وسلامه عليه أحب أن يُقتدى به في رد مدح المادح؛ لأنَّ المدح مما يجعل النفوس تتعاظم، وتخرج عن طورها، وذلك يتنافى مع مقام العبودية للإنسان، فردع المادح بأن يرد عليه مدحه، والنبي ﷺ أراد أن تقتدي أمته في تجاوز ذلك، وعدم قبوله، وأن

يقابل المادح بما يرده، ويمنعه عن المدح.

وكذلك الحديث الثاني عن أنس رضي الله عنه أنَّ ناسًا قالوا: يا رسول الله: يا خيران، وابن خيرنا وسيدنا، وابن سيدنا»الحديث.

قولهم: «يا خيرنا، وابن خيرنا، وسيدنا، وابن سيدنا» لا شك أنَّ أهل بيت النبي ﷺ كانوا أصحاب شرف، ونبل في زمن الجاهلية، ولكن الخيرية؛ التي ترتَّبت على النبوة لم تنلهم، ففي ذلك مجاوزة للحق، والله أعلم؛ علمًا أنَّ النبي ﷺ كان يكره المدح، وينهى عنه، وقال للمادح: **«ويلك قطعت عنق صاحبك -ثلاثًا»**[٢٩٠] وقال: **«إذا لقيتم المداحين؛ فاحثوا في وجوههم التراب»**[٢٩١] أخرجه مسلم، والترمذي، وابن ماجه عن المقداد بن الأسود.

فيؤخذ أولًا من هذا:

أولًا: النهي عن المدح.

ثانيًا: قطع أسباب الغلو.

ثالثًا: تواضع النبي ﷺ.

رابعًا: كونه ﷺ حمى جانب التوحيد، وقال: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنَّما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله»**[٢٩٢].

---

(٢٩٠) الحديث أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب: الشهادات، باب: إذا زكَّى رجلٌ رجلًا كفاه، وفي كتاب: الأدب، باب: قول الرجل ويلك، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: الزهد والرقاق، باب: النهي عن المدح إذا كان فيه إفراطٌ وخيف منه فتنةٌ على الممدوح من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنهما.

(٢٩١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب: الزهد والرقاق، باب: النهي عن المدح إذا كان فيه إفراطٌ وخيف منه فتنةٌ على الممدوح من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنهما.

(٢٩٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي =

خامسًا: أراد أن يبين لهم أنَّ السيادة المطلقة هي للرب تبارك وتعالى، وفي الحديث القدسي: «**الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار**»(٢٩٣).

إذن فهذا من حماية جناب التوحيد، وقطع أسباب الغلو، وقد قال النبي ﷺ حين جاء سعد بن معاذ رضي الله عنه؛ ليحكم في بني قريظة، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «**قوموا إلى سيدكم**»(٢٩٤).

سادسًا: يؤخذ من قوله: «**لا يستجرينكم الشيطان**» أنَّ الشيطان يستجري بني آدم بمعنى أنَّه ينزلهم درجةً درجة؛ ليوقعهم في الشرك؛ كما فعل مع قوم نوح، وكما يفعل من الناس في إيقاعهم في المعاصي، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ وفي كتاب: الحدود، باب: رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت.

(٢٩٣) الحديث أصله عند مسلم في كتاب: البر والصلة، باب: تحريم الكبر بلفظ: «**العز إزاره والكبرياء رداؤه، فمن نازعني عذبته**» وبنحو هذا اللفظ ورد بألفاظ أخرى كما ورد في الشرح، وبلفظ: «**ألقيته في جهنم**» وفي لفظ «**قذفته في النار**» وفي لفظ: «**أدخلته جهنَّم**» كما عند ابن ماجه برقم (٤١٧٤) و(٤١٧٥) وأبو داود برقم (٤٠٩٠) وأحمد في «مسند باقي المكثرين من الصحابة» برقم (٧٣٣٥) و(٩٢٢٤) و(٩٤١٠) (٩٠٩٠) و(٨٦٧٧) و«مصنف ابن أبي شيبة» رقم (١٩٥٤٧) و«مسند الشهاب» برقم (١٤٦٤) وفي «الأدب المفرد» برقم (٤٠٩٠) و(٥٥٢) وفي «مسند إسحاق بن راهويه» برقم (٢٨٨٥) وفي «صحيح ابن حبان» برقم (٣٢٨) وفي «المستدرك على الصحيحين» برقم (٢٠٣) وفي «المعجم الأوسط» برقم (٩٢٥٣) وفي «المسند للحميدي» برقم (١١٤٩) وفي «معرفة الآثار والسنن» برقم (٦١٥٤) وفي «التواضع والخمول» لعبد الله بن محمد القرشي برقم الحديث (١٩٥).

(٢٩٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: المغازي، باب: مرجع النبي ﷺ من الأحزاب عن أبي سعيد رضي الله عنه، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: جواز قتال من نقض العهد.

تنبيه:

بعد أن أمليت ما حضرني في شرح هذا الباب، وكنت متذكرًا أنَّه قد سبق باب شبيهه لهذا نبهني أحد الإخوة جزاه الله خيرًا بأنَّه في بعض الأسئلة التي قدمت للطلاب في بعض المدارس: ما هو الفرق بين الباب (باب ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك)، وبين هذا الباب الذي هو باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك؟ وأنَّه قد اطلع هو وبعض زملائه على شرح الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأنَّه فرق بين البابين: أنَّ الأول في الأفعال، وهذا في الأ[illegible]ل» وبعد التأمل فيما أورده المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجدنا أنَّ قول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو الحقيقة، والكل مقصودٌ به حماية التوحيد مما يخدشه، فنسأل الله أن يفقهنا في دينه، وأن يهدينا صراطه المستقيم، وأن يعلمنا ما لم نكن نعلم ويرزقنا العمل به. وبالله التوفيق.



(٦٦) بابُ ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية [الزمر: ٦٧]

عن ابن مسعود قال: جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد! إنَّا نجدُ أنَّ الله يجعلُ السماواتِ على إصْبَع، والأرضين على إصبع، والشجرَ على إصبع[٢٩٥]، والماء على إصبع، والثَّرَى على إصبع، وسائرَ الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملِكُ. فضحك النبيُّ ﷺ حتى بدت نواجذُه؛ تصديقًا لقول الحَبْر، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[٢٩٦] الآية. متفق عليه.

وفي روايةٍ لمسلم: «**والجبالَ والشجر على إصبع، ثم يهزهُنَّ، فيقول: أنا الملك، أنا الله**»[٢٩٧].

وفي روايةٍ للبخاري: «**يجعلُ السماواتِ على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع**»[٢٩٨]. أخرجاه.

---

(٢٩٥) وفي لفظ «والماء والثرى على إصبع» كما رواها البخاري في كتاب: التفسير، باب: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ وفي كتاب: التوحيد، باب: كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم.

(٢٩٦) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب: تفسير سورة الزمر، باب: قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ وفي كتاب: ، باب: كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، والإمام مسلم في كتاب: صفة القيامة والجنة والنار.

(٢٩٧) أخرج هذه الرواية مسلم في كتاب: صفة القيامة والجنة والنار.

(٢٩٨) أخرجها البخاري في كتاب: التفسير باب: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعًا: «**يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذُهنَّ بيده اليمنى، ثم يقول: أنا المَلِكُ، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملِكُ، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**»(٢٩٩).

ورُوي عن ابن عباس قال: ما السماوات السبع والأرضون السبع في كَفِّ الرحمٰن إلا كخردلةٍ في يد أحدكم(٣٠٠).

وقال ابنُ جرير: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابنُ زيد: حدثني أبي، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما السماوات السبع في الكرسي، إلَّا كدراهم سبعةٍ أُلقيت في تُرْسٍ**»(٣٠١).

قال: وقال أبو ذر رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما الكرسيُّ في العرش إلَّا كحَلَقة من حديد أُلقيت بين ظَهْرَي فلاةٍ من الأرض**»(٣٠٢).

---

(٢٩٩) أخرجه مسلم في كتاب: صفة القيامة والجنة والنار.

(٣٠٠) الحديث أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» في (ج٢٤/ ٢٥) في «سورة الزمر» عند قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال محققا «القول المفيد»: وفي إسناده: عمرو بن مالك النكري قال ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٨/ ٩٦): ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: مات سنة تسع وعشرين ومائة، وقال: يعتبر حديثه من غير رواية ابنه عنه يخطئ ويغرب، وقال الشيخ سليمان بن عبد الله كما في «إبطال التنديد» (ص١٧٠): (وهذا الإسناد في نقدي صحيح) اهـ. قلت: وأخرج بنحوه مختصرًا الإمام ابن أبي شيبة في «مصنفه» في (ج٧/ ١٨٦) برقم الحديث (٣٥١٨٤).

(٣٠١) انظر «تفسير ابن جرير الطبري» رحمه الله في (ج٣/ ١٠) في «سورة البقرة» عند قول الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وقال الشيخ سليمان بن عبد الله كما في «إبطال التنديد» (ص١٧٠): رواه أصبغ بن الفرج بهذا الطريق واللفظ له؛ وهو مرسلٌ، وعبد الرحمن بن زيد ضعيف) اهـ.

(٣٠٢) انظر أيضًا تفسير ابن جرير الطبري رحمه الله في (ج٣/ ١٠) في «سورة البقرة» عند قول الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قال الدكتور آل فريان وأخرجه: «وأخرجه أبو الشيخ في العظمة رقم (٢٢٠، ٢٥٢) قال ابن كثير في «التاريخ» (١/ ١١): (أوَّل الحديث =

وعن ابن مسعود قال: بَين السماء الدنيا والتي تليها خمسُمائة عام، وبين كلِّ سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرشُ فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالكم.

أخرجه ابنُ مهدي عن حمَّاد بن سلمة، عن عاصم، عن زرّ، عن عبد الله.

ورواه بنحوه المسعوديُّ عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله.

قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، قال: وله طرق[٣٠٣].

= مرسل، وعن أبي ذر منقطع، وقد روي عنه من طريق أخرى موصولًا) وأخرجه من هذا الطريق: أبو الشيخ في «العظمة» (٢٠٦، ٢٥٩) وابن مردويه في التفسير كما في «الدر المنثور» (٢/ ١٧) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦٦) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٥١٠) قال ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤١١): صححه ابن حبان، وله شاهدٌ عن مجاهد، أخرجه سعيد بن منصور في «التفسير» بسند صحيح وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٢١٨، ٢٤٨، ٢٤٩) وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٥٩١)، اهـ قال محققا «القول المفيد»: أخرجه محمد بن أبي شيبة في «العرش» (٥٨) وفي إسناده إسماعيل بن مسلم المكي كما في «السلسلة» (١٠٩) وهو متروك، وفيه أيضًا: المختار بن غسان مجهول لا يعرف بجرح ولا تعديل، انظر «التهذيب» (١٠/ ٦٨) وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٠٤، ٤٠٥) وفيه يحيى بن سعيد (٣/ ١٢٩): (يروي المقلوبات والملزقات لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد وفيه أيضًا ابن جريج وهو مدلس، وقد عنعنه، وقد أخرجه أيضًا من طريق آخر، وفيه: إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني كذَّبه أبو حاتم، وأبو زرعة كما في «الميزان» (١/ ٧٢، ٧٣) وأخرجه ابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٠٩، ٣١٠) وفيه مجهولان، وضعيفان اهـ.

(٣٠٣) الأثر أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» في (ج٩/ ٢٠٢) برقم الحديث (٨٩٨٧) وابن حجر في «فتح الباري» في (ج١٣/ ٤١٣) في كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ وقال الشيخ آل فريان: أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٢٦) وابن خزيمة في كتاب: «التوحيد» رقم (٥٩٤) وأبو =

وعن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«هل تدرون كم بين السماء والأرض؟»**. قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: **«بينهما مسيرةُ خمسمائة سنة، ومن كلِّ سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكِثَفُ كلِّ سماء مسيرةُ خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر؛ بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيءٌ من أعمال بني آدم»**. أخرجه أبو داود وغيره[٣٠٤].

= الشيخ في «العظمة» رقم (٢٠٣، ٢٧٩) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٥٠٧) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٦٥٩) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/٨٦) ورجاله رجال الصحيح اهـ وقال محققا «القول المفيد»: وأخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٢٦) وفي «النقض على المريسي» (ص٧٣، ٩٠، ١٠٥) والخطيب في «الموضح» (٢/٤٧) وقد صححه ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٠٠) والذهبي في «العلو» (ص٦٤) اهـ مختصرًا.

(٣٠٤) الحديث أخرجه الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» عند تفسير سورة آل عمران برقم (٣١٣٧) وطه برقم (٣٤٢٨) والحاقة برقم (٣٨٤٩) والسجدة برقم (٣٥٤٧) وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» في (ج١٢/ ٧٥) برقم (٦٧١٣) وأحمد في (ج١/ ٢٠٦) برقم (١٧٧٠) و(٨٨١٤) وأخرجه عبد الله بن عدي الجرجاني في «كامل ضعفاء الرجال» في (ج٧/ ٢٠٠)، باب: من اسمه يحيى، وبنحوه عند أبي داود في «سننه» في (ج٤/ ٢١٣) برقم (٤٧٢٣) والترمذي في «سننه» أيضًا في (ج٥/ ٤٠٣) برقم (٣٢٩٨) و(٣٣٢٠) وقال محققا «القول المفيد» في هذا الحديث: وأخرجه عثمان الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٤) وفي «النقض على المريسي» (ص٩٠) وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧٧) وابن خزيمة في «التوحيد» (١٠١، ١٠٢) والآجري في «الشريعة» (٢٩٢، ٢٩٣) ومحمد بن أبي شيبة في «العرش» (١٠٩) واللالكائي (٦٥١) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/٢) والبيهقي في «الأسماء» (ص٣٩٨) وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٤٠) وابن حزم في «الفصل» (٢/ ١٠٠) وابن قدامة في «العلو» (ص٧) والمزي في «تهذيب الكمال» (٢/ ٧١٩) والذهبي في «العلو» (٤٩، ٥٠) من طريق عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس، وقال الذهبي في «الميزان» (٢/٤٦٩): (وفيه - أي عبد الله فيه جهالة، قال البخاري لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس) وهذا الحديث يعرف بحديث الأوعال، =

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

الثانية: أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ، لم ينكروها، ولم يتأولوها.

الثالثة: أن الحبر لَمَّا ذكر للنبي ﷺ صَدَّقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك.

الرابعة: وقوع الضحك من رسول الله ﷺ لما ذكر الحبر هذا العِلْمَ العظيم.

الخامسة: التصريح بذكر اليدين، وأن السماوات في اليد اليمنى، والأرضين في اليد الأخرى.

السادسة: التصريح بتسميتها الشمال.

السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

الثامنة: قوله: «**كخردلة في كفِّ أحدكم**».

التاسعة: عِظَم الكرسي بالنسبة إلى السماء.

العاشرة: عِظَم العرش بالنسبة إلى الكرسي.

الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء.

= وقد قال ابن العربي في «عارضته»: (إنَّ خبر الأوعال متلقَّف من الإسرائيليات) وانظر «تهذيب السنن» لابن القيم (٧/ ٩٢، ٩٣) اهـ وقال الدكتور الوليد: «وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٢٠٤) وابن منده في «التوحيد» (٢١) وابن أبي حاتم، والبزار كما في «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٣) اهـ مختصرًا.

الثانية عشرة: كم بين كل سماء إلى سماء.

الثالثة عشرة: كم بين السماء السابعة والكرسي.

الرابعة عشرة: كم بين الكرسي والماء.

الخامسة عشرة: أن العرش فوق الماء.

السادسة عشرة: أن الله فوق العرش.

السابعة عشرة: كم بين السماء والأرض.

الثامنة عشرة: كثف كل سماء خمسمائة سنة.

التاسعة عشرة: أن البحر الذي فوق السموات بين أعلاه وأسفله خمسمائة سنة. والله تعالى أعلم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الشرح

في هذه الآية ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ ردٌّ على المشركين في زعمهم أنَّ عبادة غير الله جائزة؛ حين طلبوا التصالح مع النبي ﷺ بأن يعبدوا إلهه سنة، وهو يعبد إلههم سنة، فأنزل الله ﷻ؛ إنكارًا عليهم: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [سورة الكافرون].

وفي هذه الآيات يقول الله ﷻ: قل لهم يا محمد: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ۝٦٤ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ۝٦٦ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ ثم قال بعد ذلك: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزمر: ٦٤-٦٧] ففي هذا ردٌّ عليهم في زعمهم جواز عبادة غير الله، وبيان عظمة الله في هذه الآيات؛ حيث بيَّن ﷻ أنَّ جميع الأرض تكون ﴿قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي مقبوضة في كفه، وأنَّ السماوات مطويات كلها بيمينه، وذلك دليل على عظمة الله الرب جل شأنه، وتعالت أسماؤه وصفاته، فلمن تأمروني أن أصرف العبادة؛ مع أنَّ إلهي من وصف نفسه بهذا الوصف؛ أأصرف العبادة للمخلوقين الضعاف؛ الذين لا يقومون بحاجة أنفسهم: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ۝٦٤﴾ فسبحان الله العظيم؛ الذي لم يقدِّر الخلق قدره؛ لجهلهم به، وبعظمته، ولذلك يقول: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

ومن هنا تبين أنَّ الشرك محبطٌ للأعمال؛ لأنَّ المشرك ساوى المخلوق الضعيف بالرب الجليل فإذا كان الرسل، بل أفضلهم محمدٌ ﷺ توعد بإحباط العمل؛ إن هو أشرك بربه، وحاشاه أن يكون منه ذلك، فإذا كان الرسل توعدوا بذلك، فغيرهم من باب أولى، وقد أعقب الله ذلك بقوله: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾؛ لأنَّه أهلٌ للعبادة؛ أمَّا من سواه، فمن حقه أن يكون عابدًا لربه لا معبودًا، والله تعالى الذي عظمته لا توازى، وقدرهُ كما وصف سبحانه نفسه بأنَّه يوم القيامة يطوي السماوات السبع بيمينه، والأرضين السبع بيده الأخرى، فمن أحق بالعبادة؟ صاحب هذه القدرة التي لا يتعاصى عليها شيء؟ !! الجواب: لا أحد، فهو الحقيق بالعبادة، والجدير بها.

ولمسلم: عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «**يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثمَّ يأخذهنَّ بيده اليمنى، ثمَّ يقول: أنا الملك...**» في هذا الحديث، والذي قبله إثبات اليدين لله ﷻ، وفي الحديث الأول إثبات الأصابع لله ﷻ.

وفي قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إثبات الكف لله ﷻ، وإثبات القبضة لله ﷻ، ونؤمن بأنَّ الله يفعل ما يشاء، وأنَّ بيده ملك الأشياء جميعًا والتصرف فيها كما يشاء.

ويؤخذ منه أنَّ الله يطوي السماوات السبع كلهنَّ، ويطوي الأرضين السبع كلهنَّ.

ويؤخذ من الحديث الأول:

أنَّ النبي ﷺ ضحك تصديقًا لقول الحبر، وقد يكون تعجبه من كون الحبر يعلم هذا، ولا يؤمن بالقرآن الذي نزل فيه تصديق ما وصف في هذا الحديث، والله تعالى يقول: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ سبحان الله العظيم؛ السماوات بسعتها، وكثافتها،

وارتفاعها يطويها الله ﷻ كطي السجل للكتب ما أعظم قدرة الله!!.

لذلك فإنَّ الواجب على جميع المخلوقين أن يوحدوه بالعبادة، وأن يفردوه بها، وأن لا يجعلوا معه شريكًا؛ فهو الإله الحق الذي تنبغي له العبادة؛ خضوعًا لجلاله، وإيمانًا بعظمته، وقدرته.

ثم أورد بصيغة التضعيف وروي عن ابن عباس ﷺ قال: «ما السماوات السبع، والأرضون السبع في كف الرحمن إلَّا كخردلة في يد أحدكم».

وقال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما السماوات السبع في الكرسي إلَّا كدراهم سبعة ألقيت في ترس»**.

قال: وقال: أبو ذر ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما الكرسي في العرش إلَّا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض»**.

وعن ابن مسعود ﷺ قال: «بين السماء الدنيا، والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام...».

وعن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله ﷺ: **«هل تدرون كم بين السماء والأرض؟** قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: **«بينهما مسيرة خمسمائة سنة...»**.

أقول: في هذه الأحاديث إثبات سعة العرش، وأنَّ كل شيء دونه، فالكرسي والسماوات والبحر الذي فوق السماء السابعة؛ كل هذه تدل على سعة خلق الله ﷻ وقدرته، فينبغي أن نتأمل كيف هذا البحر الذي جعله الله في الهواء فوق السماء السابعة، وما بين أسفله وأعلاه كما بين سماء وسماء، ما أجلَّ عظمه الله؟!.

إذا فكرنا في مخلوقات الله هذه كيف عظمتها ! كيف عظمة حملة العرش! كيف عظمة ذلك الملك؛ الذي بين عاتقه وشحمة أذنه مخفق الطير

سبعين عامًا، وإذا كان الملائكة الحفظة يعرجون إلى السماء السابعة، ويطلعون على ما كتب في اللوح المحفوظ عن كل شخص، ويقابلون ما بينه وبين الأعمال المنسوخة من أفعالهم، فيجدونها متساوية، وإذا كان من الأرض إلى ما فوق السماء السابعة مسيرة سبعة آلاف عام، وهم يقطعونها في بضع ساعات؛ كيف أنَّ الله ﷻ مكنهم من قطع هذه المسافة العظيمة، فيجب أن نتأمل في هذه الأمور، وما ثبت في هذه الأحاديث من الصفات الدالة على قدرة الله ﷻ، فمن عرف الله بهذه الصفات حق المعرفة ووحده حق التوحيد؛ عبده حقَّ العبادة؛ لما له من كمال القدرة، والعظمة، والجلال.

قال في فتح المجيد:

«وروى الترمذي نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «**بعد ما بين سماء إلى سماء خمسمائة عام**» ولا منافاة بينهما؛ لأنَّ تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير القافلة مثلًا ونيف وسبعون سنة على سير البريد؛ لأنَّه يصح أن يقال: بيننا وبين مصر عشرون يومًا باعتبار سير العادة، وثلاثة أيام باعتبار سير البريد، وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك فوقفه هذا آخر كلامه».

وأقول: في هذه الأحاديث إثبات علو الله ﷻ على عرشه، ﷻ، وإثبات هذه المسافات بالنسبة لسيرنا نحن بني آدم، وقد أنكرت الجهمية علو الله على عرشه يقول الحافظ الذهبي كما في «فتح المجيد»: «وأول وقت سمعت مقالة من أنكر أن الله تعالى فوق العرش: هو الجعد بن درهم، وكذلك أنكر جميع الصفات، فقتله خالد بن عبد الله القسري وقصته مشهورة وأخذ عنه هذه المقالة: الجهم بن صفون إمام الجهمية، فأظهرها، واحتج لها بالشبهات، وكان ذلك في آخر عصر التابعين، فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر، مثل الأوزاعي، وأبي حنفية ومالك، والليث بن سعد،

والثوري، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، ومن بعدهم من أئمة الهدي» إلى أن قال: «وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ تعالى: لله أسماءٌ، وصفات لا يسع أحدٌ ردَّها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر، وأمَّا قبل قيام الحجة؛ فإنَّه يعذر بالجهل، ونثبت هذه الصفات، وننفي عنه التشبيه؛ كما نفى عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ انتهى[٣٠٥].

والواجب أن نؤمن بما جاء في هذه الأحاديث من الصفات؛ التي ثبتت لله ﷻ، فنؤمن بذلك حق الإيمان، ونستيقنه حق اليقين، وما ذكر من الأبعاد، ما بين السموات والأرض، في هذه الأحاديث نؤمن بها، ونعلم أنَّ عظم مخلوقات الله دالة على كماله، فنسأل الله أن يرزقنا الإيمان، واليقين، والثبات على الحق حتى نلقاه على ذلك، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

انتهى من إملائه على الطلاب في ١١/ ٦/ ١٤٢٥هـ

المؤلف

أحمد بن يحيى بن محمد شبير النَّجمي

(٣٠٥) قال الدكتور الوليد بن عبد الرحمن آل فريان على تحقيقه لفتح المجيد على كتاب: «التوحيد» انظر «فتح الباري» (ج١٣/ ٤٠٧).

فهرس الموضوعات

